العنوان: البحوث الحوزوية المشاركة ضمن فعاليات المؤتمر العلمي الدولي السنوي التاسع لفكر الإمام الحسن المجتبى عليه السلام

الناشر: جمعية العميد العلمية والفكرية – قسم النشر

الإشراف العام: السيد عقيل عبد الحسين الياسري

أ.د. شوقي مصطفى الموسوي

المتابعة والتنفيذ: م.م.ضياء محمد حسن

الإدارة الفنيــة : م.م. علي رزاق خضير

التصميم و الاخراج الطباعي: علي عبدالحليم - احمد هاشم الحلو

عدد النسخ: ٢٥٠

١٤٤٥هـ – ٢٠٢٣ م

للطباعة والنشر والتوزيع

ISBN:978-9922-680-36-1

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٩٥٨) لسنة ٢٠٢٣

العتبة العباسية المقدسة. قسم الشؤون الفكرية والثقافية
البحوث الحوزوية المشاركة ضمن فعاليات المؤتمر العلمي الدولي السنوي التاسع لفكر الامام الحسن المجتبى عليه السلام. الجزء الاول.-الطبعة الاولى.- كربلاء، العراق : العتبة العباسية المقدسة، مركز العميد الدولي للبحوث والدراسات، ١٤٤٥ هـ = ٢٠٢٣.
مجلد ؛ ٢٤ سم
يتضمن إرجاعات ببليوجرافية.
ردمك : ٩٧٨٩٩٢٢٦٨٠٣٦١
١. الحسن بن علي بن ابي طالب (عليه السلام)، الامام، ٣-٥٠ هجري -- مؤتمرات. أ. العنوان.

LCC : BP193.12 .A836 2023

مركز الفهرسة ونظم المعلومات التابع لمكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة
فهرسة اثناء النشر

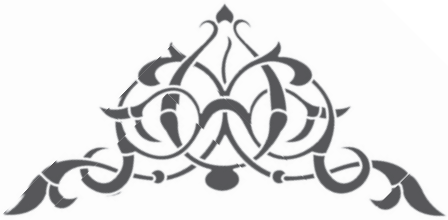

المؤتمر العلمي الدولي السنوي التاسع لفكر

الإمام الحسن المجتبى عليه السلام

-الجزء الاول -

البحوث الحوزوية

٧	الأثــر العقــديّ في مرويّات الإمام الحسن المجتبى عليه السلام الإمــامــة أنموذجــاً	الباحث أحمد الشيخ محمد علي البهادليّ.
٢٧	المصادر الماليّة عند الإمام الحسن عليه السلام والأمن الاجتماعيّ للأمّة	الشيخ عبد الغني العرفات
٤٣	الإمام الحسن عليه السلام وإدارة الأزمات	الشيخ لقاء جواد كاظم
٦١	خصائص معالم التوحيد عند الإمام الحسن عليه السلام – دراسة تحليليّة –	الشيخ رسول مالك الدجيليّ
١٠٣	دور الإمام الحسن عليه السلام في التصدّي للتضليل الإعلاميّ	الشيخ حميد الجاف
١٣٥	دور الإمام الحسن عليه السلام في ترسيخ عقيدة التوحيد	الشيخ فارس آل شريف الجبوريّ
١٧٥	زواج الإمام الحسن عليه السلام	الشيخ جاسم الوائليّ
٢٠٣	قواعد في السلوك السياسيّ والاجتماعيّ عند الإمام الحسن المجتبى عليه السلام	السيد إياد الشريفيّ

كلمة الجمعية

بسم الله الرحمن الرحيم

ببسم الله تعالى نستهل الكلام وبحمده نبدأ وبه نستعين، وبالصلاة على نبيه الأمين محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين، وبعد،

فإنه من كمال العمل العلمي في دراسة شخصية الإمام أبي محمد الحسن الزكي ﷺ محاولة استقصائها واستيفاء جوانبها السيرية والتاريخية والروائية، وما أثر عنها من فيوضات التفسير وعلوم الشريعة الغراء، ولذا جاءت هذه الوقائع لتوثق هذه الدراسات المتعلقة بذلك آملين أن تكون فيها إضافة قيمة علمية جديدة في مجال المكتبة الحسنية إذا صح الكلام، فإن هذه المكتبة ينبغي أن تثرى وتغتني بمزيد من أقلام الباحثين لأنها ما زالت بحاجة إلى الدراسة والتعمق في هذه الشخصية الإلهية، فهي كما يعلم القارئ من كمالات شخصيات البيت النبوي العلوي التي تستمد بهاءها من نور الكمال الإلهي، فهي لسيد شباب أهل الجنة وكفى.

ولغرض فائدة التخصيص عنيت أوراق هذا الجزء من وقائع المؤتمر التاسع الدولي السنوي لفكر الإمام الحسن المجتبى ﷺ بثمانية أبحاث لفضلاء العلوم الدينية وطلاب معارف الحوزة الشريفة التي درست شخصية الإمام ﷺ، فشملت جوانب تتعلق بمباحث التوحيد والعقيدة فيما أثر عنه ﷺ، وأخرى درست الجوانب السياسية والاجتماعية لعصره ﷺ، ودفع الشبهات المفتعلة حول السيرة العطرة لسيدنا ومولانا الحسن ﷺ، وكشف التضليل الإعلامي الذي مورس للتشويه على أتباعه، ودراسات أخرى اهتمت بالمسائل التربوية المختلفة.

ونسأل الله تعالى التوفيق والتسديد في بث علوم أهل البيت عليهم السلام بإلفات نظر القارئ إلى تراث الإمام الزكي ﷺ، وإثارة فضوله العلمي للاستزادة منه لما فيه من قيم قرآنية جليلة فهي من موارد العصمة ونور الإمامة وامتداد النبوة التي حباها الله لهذا البيت الخالد صلوات الله عليهم أجمعين، مستلهمين من حضرة أبي الفضل العباس عليه السلام روح التفاني في العمل والإخلاص فيه بإتقانه، والحمد لله رب العالمين.

جمعية العميد العلمية والفكرية

الأثر العقديّ في مرويّات
الإمام الحسن المجتبى عليه السلام الإمامة أنموذجاً

الباحث أحمد الشيخ محمد علي البهادليّ.

ملخص البحث

كان انتخاب روايات الإمام الحسن عليه السلام في خصوص المرويّات في باب الإمامة؛ لأنّها باب الاختلاف لدى المسلمين، ولأنّها الأكثر عدداً بين مرويّاته عليه السلام في أبواب العقائد كالنبوّة والتوحيد، وقد أشرنا إلى أنّه قد استفاضت الروايات عن المعصومين عليهم السلام ومن كتب المدرستين في بيان الفضل والمنزلة العظيمة للإمام الحسن عليه السلام أو مقترناً بأخيه الحسين عليه السلام، فالتسمية له عليه السلام كانت بالنصّ الإلهيّ، وأثبتنا من خلال البحث أنّه كان وصف الإمام الحسن عليه السلام لحقيقة الإمام المستخلف وحدودها والفرق بين خليفة الحقّ وخليفة الجور أمام معاوية بلا تقيّة أو مهادنة؛ فصاحب الجور يُشبّهه الإمام عليه السلام بالملك الذي أصاب ملكاً يتمتّع به قليلًا لكن تبقى تبعات ذلك الملك وبالًا عليه، وكذا ربط الإمام الحسن عليه السلام أنّ طاعة كلّ الأئمّة المعصومين عليهم السلام من طاعة رسول الله، وطاعة الرسول لا محالة موصلة لطاعة الله، وأشرنا إلى أنّه عليه السلام بيّن أن محمداً وآله عليهم السلام هم الباب الذي يدخل منه إلى معرفة الله ومرضاته، ولولاهم لأصابتنا الحيرة، وبين أنّ القران جعل كمال الدين وتمام النعمة بالتبليغ بالولاية وأنّهم الحبل المتّصل بين الأرض والسماء، وقد تطرّقنا إلى ذكر حديث (جابلقا) و(جابرسا) والاتّساع في المسافة والعدد بين المدينتين وأنّ الإمام هو العارف بما بينها والعالم بلغات تلك العوالم، بل هو الحجّة من الله عليها، فهنا يوصلنا الإمام الحسن عليه السلام إلى مساحة عظيمة للإمام المستخلف هي غير ما نعرفه عن الإمام منطلقين من محدوديّتنا.

المقدمة

ركّزت الأوساط الدينيّة بصورة عامّة على الجانب التشريعيّ من تراث أهل البيت عليهم السلام، وهو ما يقتضيه معنى التكليف بالأحكام الشرعيّة، ولكنّ هذا التوجّه جعل النظرة العامّة للدين مقرونة بالتشريع فقط، ولم تُعطَ الجوانب الأخرى العناية الكافية ولاسيّما الحقائق العليا المتضمّنة فيه.

فقد تمّ التركيز على الفروع دون الأصول، ممّا يجعل الساحة العلميّة والإيمانيّة بأمسّ الحاجة إلى البحوث العلميّة التي تُعنى بالأصول دون الفروع، وقد خُصّص هذا البحث في جانب مهمّ جدّاً من التراث العقديّ الذي تركه لنا الإمام الحسن عليه السلام ألا وهو الإمامة دون غيرها من أصول الدين.

وكان انتخاب رواياته عليه السلام عن الإمامة لسببين:

السبب الأوّل: أنّه ما سُلَّ في الإسلام سيف كما سُلَّ في الإمامة؛ إذ هي منشأ الاختلاف لدى جميع فئات المسلمين مع اتّفاقهم على أصلَي (التوحيد والنبوّة).

السبب الثاني: كثرة روايات الإمام الحسن عليه السلام في الإمامة عن باقي أقسام العقيدة كالتوحيد والنبوّة.

ومن نافلة القول أنّ تراث الإمام الحسن عليه السلام عموماً أو العقديّ خصوصاً لا يمكن أن يؤخذ منفصلاً عن تراث سائر المعصومين عليهم السلام، فكلامهم واحد متّصل يُكمّل بعضه بعضاً.

وهذا أمرٌ مُسلّم حتّى في علم الأصول إذ يعّدون أنّ الخاصّ المنفصل قرينة على تخصيص العامّ؛ إذا كان المتكلّم واحداً، والأصوليّون من الإماميّة يُخصّصون العامّ بالخاصّ الصادر عن أحد الأئمّة المعصومين ليخصّص العامّ الوارد عن معصومٍ آخر[1]، بل وأنّ كثيراً من الأصوليّين يخصّصون العامّ القرآنيّ بكلام المعصومين عليهم السلام.

وأمّا من حيث تصريحهم بذلك من باب الحقائق فإنّ المعصومين عليهم السلام أوّلهم محمد وآخرهم محمد وكلّهم محمد، فإذا تكلّمنا عن تراث الإمام الحسن عليه السلام هنا فنحن نتكلّم عن تراثهم عليهم السلام جميعاً.

ويتفرّع على ذلك أنّ الأدوار التي يتّخذها الأئمّة عليهم السلام في حياتهم إذا ظهرت مختلفة، فذلك بحكم اختلاف الوقت والظروف، فهي تبدو لنا مختلفة مع أنّهم عليهم السلام يصدرون من علمٍ واحدٍ ومشكاةٍ واحدة؛ لأنّ ولايتهم لا تقبل التعدّد والتبدّل.

هذا، وسيستقيم البحث في مطالب أربعة وخاتمة.

أوّلها: مطلب تمهيديّ فيه منتخب لما ورد في فضل الإمام الحسن عليه السلام من كلمات المعصومين عليهم السلام.

وثانيها: مطلب في تحديد الإمام الحسن عليه السلام لحقيقة الإمام المستخلف.

وثالثها: مطلب في إقران الإمام الحسن عليه السلام بين طاعة الإمام وطاعة الرسول صلى الله عليه وآله وطاعة الله.

ورابعها: مطلب في بيان الإمام الحسن عليه السلام أنّ الإمامة لها أبعاد أخرى هي أبعد بكثير عمّا ندركه عنهم عليهم السلام.

ثمّ جاءت الخاتمة وأتبعتها بذكر قائمة بمصادر البحث.

ومن الله أستمدّ العون في أولاها وأخراها، إنّه نعم المولى ونعم النصير.

المطلب الأوّل: منتخب لما ورد في فضل الإمام الحسن عليه السلام من كلمات المعصومين عليهم السلام من كتب الفريقين:

إنّ الروايات في منزلة الإمام الحسن عليه السلام وفضله مستفيضة في كتب المدرستين، سواء ما جاءَ مختصاً بمدحه عليه السلام أو مشتركاً مع أخيه الإمام الحسين عليهما السلام.

ولابدّ من بيان أنّ الأثر الوارد في سيرة الإمام الحسن عليه السلام مرّ بمراحل مختلفة، فمرحلة ما قبل وفاة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، وما تجاهر الرسول به علانية من عناية بالغة وتأكيده على المنزلة العظيمة، وأنّه إمام قائماً أو قاعداً، وغيرها من الأحاديث الشريفة.

ثمّ مرحلة ما بعد ارتحال الرسول صلى الله عليه وآله وما رافق ذلك من أحداث في حياة أبيه أمير المؤمنين عليه السلام.

ثمّ مرحلة المبايعة له بالخلافة بعد أبيه عليه السلام والصراع مع معاوية، ويليه التنازل المشروط، وقد صحِب هذا الصراع دسّاً للروايات التي حاولت أن تُنزّل من شخصِ الإمام الحسن عليه السلام ككثرة الطلاق ونحوها من التعريض بتهم واهية والتي لا يبقى لها أساس تحت مجهر البحث، وقد بيّن الأعلام الأجلّاء كثيراً من هذه الجوانب في كتبهم، وليس محلّها في هذه العجالة[٢].

وهنا قراءة وتحليل لبعض الأحاديث:

الحديث الأوّل: عن أصل تسميته بالحسن: جاء عن الرسول صلى الله عليه وآله أنّه قال: (ثمّ قال لعلي: أيّ شيء سمّيت ابني؟ قال: ما كنت لأسبقك بذلك؟ فقال: ولا أنا أسابق ربّي، فهبط

جبريل عليه السلام فقال: يا محمد، إنّ ربّك يقرئك السلام ويقول لك: علي منك بمنزلة هارون من موسى لكن لا نبيّ بعدك، فسمّ ابنك هذا باسم ولد هارون، فقال: وما كان اسم ابن هارون يا جبريل؟ قال: شبّر، فقال صلى الله عليه وآله: إنّ لساني عربيّ، فقال: سمّه الحسن، ففعل صلى الله عليه وآله)[٣].

ويستفاد من الحديث أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله حينما يقول (ابني)، وكذا قول جبريل للنبيّ صلى الله عليه وآله (ابنك)، فهي نسبة الإمام الحسن عليه السلام له صلى الله عليه وآله أوّلاً، والتسمية بـ(الحسن) كانت بالنصّ الإلهيّ ثانياً، وبيان مقام الوصاية لعلي عليه السلام من رسول الله صلى الله عليه وآله كما كان هارون لموسى عليهما السلام ثالثاً، فيكون ما ورد من حديث التسمية مؤكّداً حديث المنزلة، وأنّ اسم الحسن لم يكن لأحدٍ من العرب من قبل؛ إذ هو معرّب لاسم شُبّر ابن هارون عليهما السلام.

الحديث الثاني:

وفي الكافي بسنده عن الصادق عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال:(الولد الصالح ريحانة من الله قسّمها بين عباده، وأنّ ريحانتيّ من الدنيا الحسن والحسين، سمّيتهما باسم سبطين من بني إسرائيل شبّراً وشبيراً)[٤].

وهنا ينسب الرسول صلى الله عليه وآله الحسنين عليهما السلام له، ويصفهما بأنّهما ريحانتاه من الدنيا كما أنّ كلّ ولد صالح هو ريحانة لأبويه، يسرّان به ويريانه الامتداد الطبيعيّ لهما.

الحديث الثالث: وفي حلية الأولياء للحافظ الأصفهانيّ بطريقه إلى عدي بن ثابت قال: (سمعت البراء يقول: رأيت النبيّ صلى الله عليه وآله واضعاً الحسن على عاتقه فقال: من أحبّني فليحبّه)[٥].

وهنا أمر أو تحضيض من النبيّ صلى الله عليه وآله بالربط بين حبّه وحبّ الحسن عليه السلام، وحُبّ النبيّ صلى الله عليه وآله مؤدٍّ لا محالة إلى حبّ الله تعالى.

ويمكن إكمال معنى الحبّ في هذه الرواية بما روي عن علي عليه السلام إذ قال: (أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله بيد الحسن والحسين عليهما السلام فقال: من أحبّ هذين وأباهما وأمّهما، كان معي في درجتي يوم القيامة)[٦].

فالمترتّب على حبّ هؤلاء الخمسة عليهم السلام هو أن يُحشر مُحبّهم يوم القيامة مع رسول الله صلى الله عليه وآله وفي درجته، وهذا مقام محمود عظيم.

الحديث الرابع: وفي الحلية أيضاً بطريقه الى نعيم قال لي أبو هريرة: (ما رأيت الحسن إلّا

فاضت عيناي دموعاً، وذلك أنّه أتي يوماً يشتدّ حتّى قعد في حجر رسول الله ﷺ، فجعل يقول بيديه هكذا في لحية رسول الله ﷺ، ورسول الله ﷺ يفتح فمه ثمّ يدخل فمه في فمه ويقول: ((اللهمّ إنّي أحبّه فأحبّه)) يقولها ثلاث مرّات)[٧].

ففي هذا الحديث أمور مهمّة:

الأوّل: تقريب الرسول ﷺ للحسن عليه السلام أمام مرأى ومسمع من الجالسين بمؤمنهم ومنافقهم، وهذا يدخل في باب إلقاء الحجّة عليهم بقرب منزلته من رسول الله ﷺ.

الثاني: ما كان من الدعاء لله سبحانه وتعالى بأن يحبّ الحسن عليه السلام لحبّ الرسول ﷺ إيّاه.

الثالث: جاء الدعاء مؤكّداً؛ إذ كرّرها ثلاثاً.

هذا، ويمكن إضافة الكثير من روايات الفضل وعلوّ المنزلة من كتب المدرستين، فهي متواترة في معناها، لكنّ البحث أورد ما يناسب الاختصار.

المطلب الثاني: في تحديد الإمام الحسن عليه السلام لحقيقة الإمام المُستخلف:

وفيه حديثان:

الحديث الأوّل: ورد أنّ الإمام الحسن عليه السلام قال في كلامه مع معاوية واصفاً ومفصّلاً لماهيّة المكلّف بالخلافة:

(أمّا الخليفة فمن سار بسيرة رسول الله ﷺ، وعمل بطاعة الله عزّوجلّ، وليس الخليفة من سار بالجور، وعطّل السنن، واتّخذ الدنيا أمّاً وأباً، وعباد الله خولاً، وماله دولاً، ولكنّ ذلك أمر مَلِكٍ أصاب مُلكاً فتمتّعَ منه قليلاً، وكان قد انقطع عنه، فأُتخم لذّته وبقيت عليه تبعته، وكان كما قال الله تبارك وتعالى: (وإنّ أدري لعلّه فتنة لكم ومتاع إلى حين[٨] متّعناهم سنين ثمّ جاءهم ما كانوا يوعدون وما أغنى عنهم ما كانوا يمتّعون[٩])[١٠].

بيّن الإمام عليه السلام بعض الصفات التي لابدّ أن يتجلّى بها الخليفة، حتّى يتبيّن لمعاوية أنّه ليس لها أهلاً؛ وإنْ لم ينطق الإمام عليه السلام بذلك؛ إذ بيّن ذلك بنقاط مجملها:

إنّ الخليفة من كان مسيره مسير الرسول صلى الله عليه وآله وكان مُطيعا لله، وأمّا من سار بالجور وكانت الدنيا أمّه وأباه، بمعنى أنّ برّه بالدنيا كمن يبرّ بوالديه، فهو ليس أهلاً للخلافة؛ إذ أنّ الإمامة والخلافة الإلهيّة منصب إلهيّ لا دنيويّ، أمّا صاحب الدنيا فهي همّه الأوّل والآخر لا يرفع بصره عنها، يحوطها بكلّ ما أوتي من وجدان وقوّة.

ويكمّل عليه السلام بمن اتّخذ عباد الله خولاً وماله دولاً، فمن فعل ذلك فهو ليس بخليفة الرسول صلى الله عليه وآله، بل هو كالذي هُيّأ له الملك، فكانت متعته به قليلة، ثمّ ينقطع عنه فتبقى عليه تبعات ظلمه بتلك الأيّام القلائل دهراً طويلاً.

ثمّ أنهى الإمام عليه السلام استدلاله بإيراد آيات جعلها دليلاً مؤيّداً على كلامه وهي: قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾[11].

وقوله تعالى: ﴿مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ * ثُمَّ جَاءهُم مَّا كَانُوا يُوعَدُونَ * مَا أَغْنَى عَنْهُم مَّا كَانُوا يُمَتَّعُونَ﴾[12].

وقد فصّل الإمام الحسن عليه السلام هذا الأمر وتبعاته في رواية أخرى أوردها الشيخ الطبرسيّ في احتجاجه إذ قال: (وأمّا قولك في شأنِ الإمارة وقول أصحابك في الملك الذي ملكتموه، فقد ملك فرعون مصر أربعمائة سنة، وموسى وهارون نبيّان مرسلان عليهما السلام يلقيان ما يلقيان من الأذى، وهو ملك الله يعطيه البرّ والفاجر، وقال الله: ﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ وقال: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾.

ثمّ قام الحسن فنفض ثيابه وهو يقول: ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ﴾[13] هم والله يا معاوية أنت وأصحابك هؤلاء وشيعتك، ﴿وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُوْلَئِكَ مُبَرَّؤُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾[14] ثمّ علي بن أبي طالب عليه السلام وأصحابه وشيعته ثمّ خرج وهو يقول لمعاوية: ذق وبال ما كسبت يداك وما جنت، ما قد أعدّ الله لك ولهم من الخزي في الحياة الدنيا والعذاب الأليم في الآخرة)[15].

إذاً بيّن الإمام الحسن عليه السلام لمعاوية حقيقة ما آل إليهم من الملك؛ فليس من استوسقت له الأمور بكائن خليفة لله على نحو الحقيقة، حتّى وإن انقادت له الناس أو سلّموا له أو بايعوه بإمرة المسلمين.

كلّ هذا يشبّهه الإمام ﷺ بالرؤية الواضحة من مجموع آيات القرآن الكريم عمّا جرى مع (فرعون) من إمهالٍ إلهيّ في طغيانه واستضعافه لأنبياء الله الحقّ موسى وهارون ﷺ، فإنّ الزهو الذي شعرَ به فرعون من انتصارات كاذبة أملاها له الشيطان ما هي إلّا شِراك تجعله يوغل في لُجّة البحر في بعده عن الله العظيم والغوص في الظلمات المهلكة، حتّى يأتي أمر الله، فلا يستقدمون ساعة ولا يستأخرون.

وهذا التشبيه منه ﷺ يجعل الأمر جليّاً أمام معاوية الذي ما أهمّه سوى أن ينال الملك في المدّة القليلة المحدودة بحدود هذا الجسد الفاني لا محالة، ليتسلّط على رقاب البريّة حتّى وإن كانت نتيجة تلك اللذّة العابرة ناراً سرمديّة يتقلّب فيها ما دامت السماوات والأرض.

الحديث الثاني:

نقل الشيخ الطوسيّ: (لمّا فرغ علي بن أبي طالب ﷺ من الجملِ، عرض له مرض، وحضرت الجمعة، فتأخّر عنها، وقال لابنه الحسن ﷺ: انطلق يا بنيّ فجمع بالناس – فأقبل الحسن ﷺ إلى المسجد، فلمّا استقلّ على المنبر حمد الله وأثنى عليه وتشهّد وصلّى على رسول الله ﷺ، وقال: أيّها الناس، إنّ الله اختارنا بالنبوّة، واصطفانا على خلقه، وأنزل علينا كتابه ووحيه، وأيم الله لا ينقصنا أحد من حقّنا شيئاً إلّا تنقصه الله في عاجل دنياه وآجل آخرته، ولا يكون علينا دولة إلّا كانت لنا العاقبة «ولتعلمنّ نبأه بعد حين»)[١٦].

في خطبة الإمام الحسن ﷺ بيان لأمرين يتعلّقان بانتقاص الأئمّة ﷺ عن حقّهم الذي نصبهم الله فيه.

الأمر الأوّل: للأشخاص الذين يغتصبون هذا الحقّ الإلهيّ وهؤلاء لهم عقابان:

أوّلهما: عاجل في الدنيا كافتضاح الأمر أو الابتلاء بأمراض الأجساد والأنفس.

وثانيهما: آجل لما بعد هذه الحياة من عقاب سينالهم لا محالة من لدن عزيز منتقم جبّار.

الأمر الثاني: الدول التي تقوم بخلاف إمامة المعصومين ﷺ؛ إذ بيّن الإمام ﷺ أنّ عاقبة الأمر سترجع لهم ﷺ وأنّ أنباء تلك الأمم في سقوطها وإدبارها ستسمع بعد ذلك القيام، ففي علل الصدوق: (عن أبي سعيد عقيصاً قال: قلت للحسن بن علي بن أبي طالب: يا بن رسول

الله لم داهنت معاوية وصالحته وقد علمت أنّ الحقّ لك دونه وأنّ معاوية ضالّ باغ؟ فقال: يا أبا سعيد، ألست حجة الله تعالى ذكره على خلقه وإماماً عليهم بعد أبي عليه السلام ؟ قلت: بلى قال: ألست الذي قال رسول الله صلى الله عليه وآله لي ولأخي الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا؟ قلت: بلى قال: فانا إذن إمام لو قمت وأنا إمام إذ لو قعدت..)[١٧].

في هذا الحديث يتناول الإمام الحسن عليه السلام إشكاليّة مهمّة وهي الالتباس الحاصل: كيف أنّ الإمام عليه السلام صالح معاوية؟ ومعاوية بهذه الأوصاف المعلومة لدى الجميع من الضلال والبغي.

فكان جواب الإمام عليه السلام أن أخذ من السائل الإقرار بكونه عليه السلام حجّة الله تعالى على الخلق، ثمّ أخذ منه الاقرار بأنّ الرسول صلى الله عليه وآله قد قال فيه وفي أخيه الإمام الحسين عليه السلام أنّهما إمامان قاما أو قعدا، ومقتضى ذلك التسليم للمعصومين عليهم السلام في الحالين المذكورين القيام أو القعود لا حال دون حال، فهم عليهم السلام السبيل المتّصل بين الأرض والسماء، والتسليم مقتضى الآية الكريمة:(فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا)[١٨]؛ إذ نفت الآية الإيمان عمّن لم يسلّم للرسول صلى الله عليه وآله، ومعلوم أنّ ما للرسول هو لهم عليهم السلام بحكم الولاية التكوينيّة.

فالإمام عليه السلام يعلم من الله ما لا نعلم، وهو أدرى بتكليفه وتكليفنا، وما لنا إلّا التسليم والانقياد لهذا الحبل المتّصل بين الأرض والسماء.

المطلب الثالث: إقران الإمام الحسن عليه السلام طاعة الإمام بطاعة الرسول صلى الله عليه وآله وبطاعة الله:

وفيه حديثان:

الحديث الأوّل:[١٩]

عن هشام بن حسّان قال: سمعت أبا محمد الحسن بن علي عليهما السلام يخطب الناس بعد البيعة له بالأمر، فقال، نحن حزب الله الغالبون، وعترة رسوله الأقربون، وأهل بيته الطيّبون الطاهرون، وأحد الثقلين اللذين خلّفهما رسول الله صلى الله عليه وآله في أمّته، والتالي كتاب الله فيه تفصيل كلّ شيء، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فالمعوّل علينا في تفسيره لا نتظنّى تأويله، بل نتيقّن حقائقه، فأطيعونا فإنّ طاعتنا مفروضة؛ إذ كانت بطاعة الله عزّوجلّ ورسوله مقرونة، قال الله

عزّوجلّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ﴾[٢٠]، ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾[٢١].

وفي هذا الحديث تفصيل الاستدلال من الإمام ﷺ، فبعد أن بيّن أنّهم المقصودون بحزب الله في الآية المباركة، والعترة وأهل البيت والثقل الثاني وأنّهم التالون لكتاب الله، جاء المجتبى ﷺ ليُبيّن أنّهم ﷺ المخبرون عن حقائق القرآن، فلا يخبرون عن تظنٍّ؛ بل هم أصحاب الحقائق المطلقة التي لا يشوبها الشكّ والريب ونحوهما.

فعلى المؤمنين اتّباعهم وجوباً؛ لأنّ إطاعتهم قُرنت بطاعة الله تعالى، مستدلًّا بالآية الكريمة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ﴾[٢٢]، وقرنَ شرحها بآية أخرى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾[٢٣].

فإطاعة الله والرسول وأولي الأمر واجبة بالأمر الالهيّ، ثمّ إنّ الاختلاف إنْ أُرجع إلى الرسول وإلى أُولي الأمر لعلم المختلفون فيمَ اختلفوا وما هو مراد الله في كلّ واقعة واقعة.

إذاً، كان وما زال تضييع الرجوع إلى الذين أومأ الله إليهم يعود بنا إلى الضياع؛ إذ لا هدىً في ما كان به الاختلاف، ومنه سيُضيّع الانسان المسلم على نفسه تلك الفرصة العظيمة، ومنه كان معنى الحديث واضحاً ولدى كلا الفريقين من أنّ من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهليّة.

هنا يأتي العلّامة السيّد محمد تقي الحكيم ﷺ مبيّناً ومفصّلاً: بأنّ هذه الآية المباركة هي الدليل على عصمة المرجوع إليهم فيها، أي الرسول وأولي الأمر (صلوات الله عليهم أجمعين) قال: (قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾[٢٤].

وقد قرّب الفخر الرازيّ دلالتها على عصمة أولي الأمر في تفسيره لهذه الآية بقوله: إنّ الله تعالى أمر بطاعة أولي الأمر على سبيل الجزم في هذه الآية، ومن أمرَ الله بطاعته على سبيل الجزم والقطع لابدّ وأنْ يكون معصوماً عن الخطأ؛ إذ لو لم يكن معصوماً عن الخطأ كان بتقدير إقدامه

على الخطأ، يكون قد أمر الله بمتابعته، فيكون ذلك أمراً بفعل ذلك الخطأ، والخطأ لكونه خطأ منهيّ عنه، فهذا يفضي إلى اجتماع الأمر والنهي في الفعل الواحد بالاعتبار الواحد، وأنّه محال، فثبت أنّ الله تعالى أمر بطاعة أولي الأمر على سبيل الجزم، وثبت أنّ كلّ من أمر الله بطاعته على سبيل الجزم وجب أن يكون معصوماً عن الخطأ، فثبت قطعاً أنّ أولي الأمر المذكور في هذه الآية لابدّ وأن يكون معصوماً.

ولكنّ الفخر الرازيّ خالف الشيعة في دعواهم في إرادة خصوص أئمّتهم من هذه الآية، وقرّب أن يكون المراد منها إجماع الأمّة بالخصوص، واستدلّ على ذلك بقوله: ثمّ نقول: ذلك المعصوم إمّا مجموع الأمّة وإمّا بعض الأمّة، لا جائز أن يكون بعض الأمّة؛ لأنّا بيّنا أنّ الله تعالى أوجب طاعة أولي الأمر في هذه الآية قطعاً، وأجاب طاعتهم قطعاً مشروط بكوننا عارفين بهم، قادرين على الوصول إليهم والاستفادة منهم، ونحن نعلم بالضرورة أنّا في زماننا عاجزون عن معرفة الإمام المعصوم، عاجزون عن الوصول إليهم، عاجزون عن استفادة الدين والعلم منهم، وإذا كان الأمر كذلك علمنا أنّ المعصوم الذي أمر الله المؤمنين بطاعته ليس بعضاً من أبعاض الأمّة ولا طائفة من طوائفهم، ولمّا بطل هذا وجب أن يكون ذلك المعصوم الذي هو المراد بقوله: وأولي الأمر أهل الحلّ والعقد من الأمّة، وذلك يوجب القطع بأنّ إجماع الأمّة حجّة[٢٥].

وهنا كان الاستدلال واضحاً جليّاً في تبيان العصمة لهم عليهم السلام؛ إذ كيف يأمر الله بالرجوع إليهم في حال أنّهم عليهم السلام يأخذون من تظنّ أو شكّ، فحتماً أنّهم العالمون المتيقّنون ممّا أرجعنا وربطنا الله بهم فيه.

وحتّى مقاربة السيّد الحكيم لكلام الفخر الرازيّ لما يراه الإماميّة من عصمة المرجوع إليهم من الآية المباركة، ثمّ بيان لجوهر الاختلاف بين الفخر والإماميّة وإبطاله.

الحديث الثاني:

قال الإمام الحسن عليه السلام: (وجعل لكم باباً لتفتحوا به أبواب الفرائض مفتاحاً إلى سبله، ولولا محمد صلى الله عليه وآله والأوصياء من ولده عليهم السلام كنتم حيارى كالبهائم، لا تعرفون فرضاً من الفرائض، وهل تدخل قرية إلّا من بابها، فلمّا منّ عليكم بإقامة الأولياء بعد نبيّكم صلى الله عليه وآله قال: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾[٢٦]، وفرض عليكم

لأوليائه حقوقاً، وأمركم بأدائها إليهم، ليحلّ لكم ما وراء ظهوركم من أزواجكم وأموالكم ومأكلكم ومشاربكم، ويعرّفكم بذلك البركة والنماء والثروة ليعلم من يطيعه منكم بالغيب، ثمّ قال (عزّوجلّ): ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾[٢٧].

فاعلموا أنّ من يبخل فإنّما يبخل عن نفسه، إنّ الله هو الغنيّ وأنتم الفقراء إليه، فاعملوا من بعد ما شئتم فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ثمّ تردّون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون، والعاقبة للمتّقين، ولا عدوان إلّا على الظالمين...[٢٨].

بيّن الإمام الحسن عليه السلام أنّ المعصومين عليهم السلام هم الأبواب إلى الله ، لولاهم لما عرفنا أحكامنا وكنّا حيرى كالبهائم التي لا تهتدي، وجعل تمام الدين بالوصاية لهم، وبأدائنا لحقوق هؤلاء الأوصياء يحلّ لنا النكاح والأموال والمأكل والمشرب، وبهم تتمّ البركة والنماء والثروة، وجعل عليه السلام تطبيق آية المودّة نازلة فيهم عليهم السلام.

ثمّ من يبخل بعد ذلك فعن نفسه قد بخل والغنى لله تعالى، فإن أحسن الانسان فلنفسه يحسن؛ وإن أساء فعليها يسيء، ولا يعدو الله إلّا على من ظلم نفسه.

إذن، فوجود الإمام المبلّغ عن الله هو لحاجة الانسان لهذا الحبل المتّصل بين الأرض والسماء لا لحاجة الله إلينا، فالله غنيّ له الغنى المطلق.

أورد العلّامة المجلسيّ في بحاره قال: هارون، عن ابن صدقة، عن جعفر، عن آبائه عليهم السلام: أنّه لمّا نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وآله:« قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى» قام رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: أيّها الناس، إنّ الله تبارك وتعالى قد فرض لي عليكم فرضاً، فهل أنتم مؤدّوه؟ قال: فلم يجبه أحد منهم، فانصرف، فلمّا كان من الغد قام فيهم فقال مثل ذلك، ثمّ قام فيهم فقال مثل ذلك في اليوم الثالث فلم يتكلّم أحد، فقال: يا أيّها الناس، إنّه ليس من ذهب ولا فضّة ولا مطعم ولا مشرب، قالوا: فألقه إذن، قال: إنّ الله تبارك وتعالى أنزل علي « قل لا أسألكم عليه أجراً إلّا المودّة في القربى « فقالوا: أمّا هذه فنعم، فقال أبو عبد الله: فوالله ما وفى بها إلّا سبعة نفر: سلمان وأبو ذر و عمّار والمقداد بن الأسود الكنديّ وجابر بن عبد الله الأنصاريّ ومولى لرسول الله يقال له: الثبيت وزيد بن أرقم.

إذاً جعـل رسـولُ الله الثمـنَ المقابـل لتبليـغ الرسـالة الإلهيّـة العظيمـة ومـا صاحـب ذلـك مـن إعـراض وإيـذاء للرسـول صلى الله عليه وآله هـو المـودّة لآل البيـت عليهم السلام ولم يُـرد شـيئاً آخـر، ومعلـوم أنّ هـذا المقابـل لا يعـود لشـخص الرسـول صلى الله عليه وآله، بـل يعـود لنفـس النـاس؛ إذ باتّباعهـم لـلآل عليهم السلام سـيحفظون دينهـم ولا يعـودون القهقـرى، وإلّا مـا فائـدة التبليـغ لـ(٢٣) عامـاً ثـمّ يـأتي مـن يضيّـع ذلـك في أيّـام قلائـل.

المطلـب الرابـع: بيـان الإمـام الحسـن عليه السلام أنّ الإمامـة لهـا جوانـب خارجـة عـمّا ندركـه بحواسّـنا ومألوفاتنـا.

وفيه حديثان:

الحديث الأوّل:

في الـكافي: عـن الإمـام الصـادق عليه السلام: إنّ الحسـن عليه السلام قـال: (إن لله مدينتـين إحداهمـا بالمـشرق والأخـرى بالمغـرب، عليهـما سـور مـن حديـد، وعـلى كلّ واحـد منهـما ألـف ألـف مـصراع، وفيهـا سبعون ألـف ألـف لغـة، يتكلّـم كلّ لغـة بخـلاف لغـة صاحبهـا، وأنـا أعـرف جميـع اللغـات ومـا فيهما ومـا بينهـما، ومـا عليهـما حجّـة غـيري وغـير الحسـين أخـي)[٢٩].

وفي هـذه الحديـث غـير المألـوف لـدى أبنـاء الجزيـرة العربيّـة آنـذاك والذيـن لم يـروا أيّ وجـه مـن وجـوه الحضـارة حينهـا، بـل هـو غـير مألـوف لمـن هـو في عصرنـا بعـد مـرور أكثـر مـن (١٤٠٠عـام) مـن الهجـرة النبويّـة.

أعطـى الإمـام الحسـن عليه السلام بيانـاً للمقـام العظيـم للمعصومـين عليهم السلام، فوصفـه لعِظـم هاتـين المدينتـين واتّسـاعهما وتعـدّد اللغـات فيهـما، ثـمّ التعقيـب بأنّـه عليه السلام يعـرف جميـع لغاتهـا ومـا فيهـا ومـا بينهـا، ثـمّ يختـم أنّـه هـو والحسـين عليهما السلام الحجّـة مـن الله عـلى هاتـين المدينتـين.

وهـذا يبـيّن أنّ الإمـام المعصـوم عليه السلام لـه حقيقـة أخـرى لم تظهـر منهـم عليهم السلام أمـام عامّـة النـاس مـن أصحـاب الفكـر المحـدود؛ إذ لهـم عليهم السلام بُعـدٌ آخـر أظهـروا بعضـاً منـه للخـواصّ مـن شـيعتهم؛ ولعـلّ هـذا يتبـيّن بالتعمَّـق فيـما قالـه المعصومـون عليهم السلام في كلماتهـم.

الحديث الثاني:

أورد في كتـاب دلائـل الإمامـة تعقيـب الإمـام الحسـن عليه السلام في ذيـل روايـة قولـه عليه السلام: (إنّـا نعلـم

المكنون المخزون المكتوم، الذي لم يطّلع عليه ملك مقرّب ولا نبيّ مرسل غير محمد وذرّيّته (صلوات الله عليهم أجمعين))[٣٠].

هنا يبيّن الإمام الحسن المجتبى ﷺ تصريحاً لا تلويحاً أنّهم ﷺ يعلمون من الله علوماً لم تكن لتظهر لسائر البشر أو حتّى للملائكة المقرّبين أو الانبياء المرسلين ﷺ واستثنى محمداً وآله (صلوات الله عليهم اجمعين).

وهذا المعنى تعضّده وتُبيّنه عدّة روايات عن المعصومين ﷺ من أنّ حديثهم صعب مستصعب لا يحتمله إلّا ملك مقرّب أو نبيّ مرسل أو مؤمن امتحن الله قلبه[٣١].

وورد في البصائر قول الإمام الصادق ﷺ: (إنّ حديثنا صعب مستصعب شريف كريم ذكوان ذكيّ وعِر، لا يحتمله ملك مقرّب ولا نبيّ مرسل ولا مؤمن ممتحن، قلت: فمن يحتمله جعلت فداك؟ قال: من شئنا يا أبا الصامت)[٣٢] .

وهنا كان الترقّي بأنّ حديثهم ﷺ لا يحتمله حتّى الثلاثة المستثنين في الرواية السابقة واستثنى الإمام ﷺ من شاءوا ﷺ لحمله.

وهذا المعنى يحفّز لدى الانسان المؤمن بالله ورسوله وآل البيت الأطهار (صلوات الله عليهم أجمعين) أن يسعى حثيثاً لاكتساب تلك العلوم علّه يوفّق لتلقّي هذه العلوم المحمّديّة العلويّة التي تصدر عن عيون صافية هم محمد وآله (صلوات الله عليهم أجمعين) ليهنأ بالشربة الرويّة الكوثريّة شربة لن يظمأ بعدها.

الخاتمة

١- كان تحديد روايات الإمام الحسن عليه السلام في باب الإمامة؛ لأنّها باب الاختلاف لدى المسلمين ولأنّها الأكثر بين مرويّاته عليه السلام في أبواب العقائد.

٢- استفاضت الروايات عن المعصومين عليهم السلام ومن كتب المدرستين في بيان الفضل والمنزلة العظيمة للإمام الحسن عليه السلام أو مقترناً بأخيه الحسين عليه السلام، فالتسمية له عليه السلام كانت بالنصّ الإلهيّ، ويؤكّد الرسول أمام المسلمين علانية أنّ الحسن عليه السلام ريحانته من الدنيا، والربط من الرسول صلى الله عليه وآله بين حبّ الإمام الحسن وحبّ الرسول صلى الله عليه وآله.

٣- كان وصف الإمام الحسن عليه السلام لحقيقة الإمام المستخلف وحدودها والفرق بين خليفة الحقّ وخليفة الجور أمام معاوية؛ فصاحب الجور يشبّهه الإمام عليه السلام بالملك الذي أصاب ملكاً يتمتّع به قليلاً لكن تبقى تبعات ذلك الملك وبالاً عليه، ويشبّهه الإمام الحسن عليه السلام بفرعون في ملكه قبال نبيّي الحقّ موسى وهارون عليهما السلام، فلابدّ أن تسمع أنباء سقوط الخلافات الباطلة بعد حينٍ وإن صار لها كيانٌ مؤقّتٌ.

٤-ربط الإمام الحسن عليه السلام طاعة كلّ الأئمّة المعصومين عليهم السلام طاعة رسول الله صلى الله عليه وآله وطاعة الرسول لا محالة موصلة لطاعة الله، وأنّ المعصومين عليهم السلام هم المأمورون بالرجوع إليهم فهم أولي الأمر، أمّا عقوبة المخالفة وعدم الرجوع إليهم عليهم السلام الضياع بلا شكّ.

ومقتضى الأمر بالرجوع أن يكون المرجوع إليه معصوماً؛ إذ كيف يأمرنا الله بالرجوع لمن يتظنّى ويشكّ فيما أرجعنا إليه فيه.

٥- بيّن الإمام الحسن عليه السلام أنّ محمداً وآله هم الباب الذي يُدخل منه إلى معرفة الله ومرضاته، ولولاهم لأصابتنا الحيرة، وبيّن أنّ القرآن جعل كمال الدين وتمام النعمة بالتبليغ بالولاية، ثمّ كان النصّ القرآنيّ عن لسان الرسول صلى الله عليه وآله أنّ أجر تبليغ الرسالة هو بالمودّة للآل عليهم السلام؛ وذلك لأنّهم الحبل المتّصل بين الارض والسماء.

٦- من خلال الروايات تبيّن أنّ الإمام الحسن عليه السلام هو العارف بمدينتي جابلقا وجابرسا وكذا الاتّساع في المسافة والعدد بين المدينتين بما بينها والعالم بلغاتها، بل هو الحجّة من الله

عليها، هنا يوصلنا الإمام الحسن ﷺ إلى مساحة عظيمة للامام المستخلف هي غير ما نعرفه عن الإمام لسبب من محدوديّتنا.

٧- بيّن الإمام الحسن ﷺ أنّ المعصومين ﷺ يعلمون العلم المكنون المخزون الذي لم يطّلع عليه لا ملك مقرّب ولا نبيّ مرسل كما تعضّده الروايات بأنّ حديث أهل البيت ﷺ صعب مستصعب لا يحتمله ملك مقرّب ولا نبيّ مرسل ولا مؤمن ممتحن للايمان إلّا من شاءوا ﷺ.

الهوامش

١-ينظر: مصباح الأصول تقرير بحث السيّد الخوئيّ للبهسوديّ: ٣/ ٣٩٢-٣٩٣.

٢- ينظـر : دلائـل الإمامـة: محمـد بـن جريـر الطـبري: ١٥٩-١٧٦. و: العلّامـة المجلـسيّ، بحـار الأنـوار ج٤٣، وج٤٤. و: باقـر شريـف القـرشيّ، حيـاة الإمـام الحسـن. و: راضي آل ياسـين، صلـح الإمـام الحسـن، و: صحيفـة الإمـام الحسـن، جمـع جـواد القيّومـيّ. و: محمـد عـلي الحلـو، المجتبـى مـن تفسـير المجتبـى. و: سـيرة الإمـام الحسـن، أسـعد كاظـم القـاضي، وغيرهـا الكثـير.

٣- أحمد بن عبد الله الطبريّ، ذخائر العقبى: ١٢٠.

٤- الكلينيّ، الكافي: ٦/ ٢.

٥- الحافظ الأصفهانّي، حلية الأولياء: ٢/ ٣٥.

٦- الصدوق، الأمالي: ٣٩٩. و: أحمد بن حنبل، مسند أحمد: ١/ ٤١٢.

٧- الحافظ الأصفهانّي، حلية الأولياء: ٢/ ٣٥.

٨-الأنبياء/ ١١١.

٩- الشعراء/ ٢٠٥-٢٠٧.

١٠-الطبرسّي، الاحتجاج: ١/ ٤١٩.

١١-الانبياء/ ١١١.

١٢-الشعراء/ ٢٠٥-٢٠٧

١٣-سورة النور: ٢٦.

١٤-سورة النور: ٢٦.

١٥-الطبرسّي، الاحتجاج: ١/ ٤١٤-٤١٥.

١٦-الطوسّي، الأمالي: ٨٢-٨٣.

١٧-الصدوق، علل الشرائع: ١/ ٢١١.

١٨-النساء: ٦٥.

١٩-المفيد، الأمالي: ٣٤٨-٣٥٠، و: الطوسّي، الأمالي: ٦٩١.

٢٠-سورة النساء: ٥٩.

٢١-النساء:٨٣.

٢٢-النساء : ٥٩.

٢٣- النساء ٨٣.

٢٤-النساء: ٥٩.

٢٥-محمد تقي الحكيم، السنّة في الشريعة الاسلاميّة: ٤٥-٤٦.

٢٦-المائدة:٣.

٢٧-الشورى:٢٣.

٢٨-الطوسّي، الأمالي: ٦٥٥.
٢٩- الكلينيّ، الكافي: ١/ ٤٦٢.
٣٠- محمد بن جرير الطبري، دلائل الإمامة: ١٧١.
٣١- الكليني، الكافي: ١/ ٤٠١. و: محمد بن الحسن الصفار، بصائر الدرجات: ٤١.
٣٢- محمد بن الحسن الصفار، بصائر الدرجات: ٤٢، ح١٠.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم

* **الاحتجاج**، أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسيّ، مطابع النعمان النجف الأشرف: ١٣٨٦ - ١٩٦٦ م.

* **الأمالي**، الشيخ الصدوق، تحقيق: قسم الدراسات الاسلاميّة -مؤسّسة البعثة- قم، ط١: ١٤١٧ هـ . ق.

* **الأمالي**، شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسيّ، ط١: ١٤١٤ هـ، تحقيق : قسم الدراسات الاسلاميّة-مؤسّسة البعثة، نشر : دار الثقافة-قم.

* **الأمالي**، المفيد، المطبعة الاسلاميّة، تحقيق الحسين أستاد ولي وعلي أكبر الغفاريّ:١٤٠٣ هـ.

* **بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمّة الأطهار**، الشيخ محمد باقر المجلسيّ، ط٢: المصحّحة ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م، مؤسّسة الوفاء-بيروت-لبنان.

* **بصائر الدرجات الكبرى**، أبو جعفر محمد بن الحسن بن فروخ الصفّار، نشر مؤسّسة الأعلميّ، طهران، طبع في مطبعة الأحمديّ-طهران، ١٣٦٢ ش - ١٤٠٤ ق.

* **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، الحافظ أبو نعيم بن عبد الله الأصفهانيّ ت٤٣٠هـ، دار الفكر للطباعة والنشر: ١٩٩٦-١٤١٦.

* **دلائل الإمامة**، المحدّث الشيخ أبو جعفر محمد بن جرير بن رستم الطبريّ الصغير، تحقيق : قسم الدراسات الاسلاميّة-مؤسّسة البعثة-قم، ط١: ١٤١٣ هـ. ق.

* **ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى**، العلّامة الحافظ محبّ الدين أحمد بن عبد الله الطبريّ، نشر مكتبة القدسيّ: ١٣٥٦ .

* **السنّة في الشريعة الاسلاميّة**، السيّد محمد تقي الحكيم، طهران إيران، نشر ١٤٠٢-١٩٨١.

* **علل الشرائع**، الشيخ الصدوق أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمّيّ، منشورات المكتبة الحيدريّة ومطبعتها في النجف: ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٦ م.

* **١٢: الكافي**، أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكلينيّ الرازيّ: ط٣ (١٣٨٨).

* **١٣: مسند أحمد بن حنبل**، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيبانيّ (المتوفّى: ٢٤١هـ)، ط١: ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م.

* **١٤: مصباح الأصول**، السيّد محمد السرور الواعظ الحسينيّ البهسوديّ، تقريرات بحث الإمام الخوئيّ، المطبعة العلميّة-قم ط٥: ١٤١٧ هـ . ق.

المصادر الماليّة عند الإمام الحسن عليه السلام والأمن الاجتماعيّ للأمّة

الشيخ عبد الغني العرفات
القطيف / القديح

ملخص البحث

من خلال التعمّق في البحث ظهر لنا أنّه ليس من ألقاب الإمام الحسن عليه السلام التي وردت في المصادر القديمة لقب (كريم أهل البيت) وإن كان قد اشتهر بالكرم وكلّ أهل البيت عليهم السلام كرماء، فبحثنا سرّ هذه الشهرة له دون غيره، وأجبنا في هذه الدراسة أنّ هذا اللقب الذي توّج به عليه السلام يحكي عن واقع الأمّة التي منعت حقوقها في ظلّ سياسة معاوية التجويعيّة للأمّة التي ناصرت الإمام الحسن عليه السلام أو التي لم تنصر معاوية وإن خذلت الإمام الحسن عليه السلام، فقد أذاق معاوية تلك الفئتين ضراوة الجوع، فانطلق الإمام يعالج هذا الحصار والتجويع من مصادره الماليّة، وتبيّن لنا أنّ للإمام عليه السلام مصادر ماليّة تعالج هذا التجويع إن لم تكن تشكّل ميزانية دولة تغطّي كل الاحتياجات، وهذه المصادر عبارة عن (الحوائط السبعة وهي صدقة الزهراء عليها السلام)، فكانت مدّة عند الإمام الحسن عليه السلام يصرف منها في وجوه البرّ، وهذه الحوائط لم تقع في أيدي الخلفاء مثل ما وقعت (فدك) كما يظهر من التواريخ، فبقيت عند الأئمّة يتصرّفون فيها، و(صدقات أمير المؤمنين عليه السلام) التي هي الوقوفات كما يظهر من بعض الروايات، وقد أوصى أمير المؤمنين بهذه الوقوفات للإمام الحسن وفق وصيّته عام ٣٤ من الهجرة، وقد أشار أمير المؤمنين عليه السلام في وصيّته إلى أماكن هذه الصدقات، ثمّ إنه عليه السلام أشار إلى إمكانيّة التصرّف للإمام الحسن عليه السلام في النفقة في وجه الله وبيع ما شاء من هذه الصدقات لقضاء الدين، بل له أن يبيع قسمًا منها ويجعله (شراء الملك)، وشراء الملك أي مثل الملك الخاص، إلى غير ذلك من الحقائق والاحصائيّات المثبّتة حول مساحات (الحوائط السبعة) ذكرناها في طيّات البحث، وغيرها ممّا يتعلّق بالصدقات التي أوصى أمير المؤمنين عليه السلام ابنه الحسن عليه السلام بتوزيعها إلى أصناف المستحقّين ومواطن توزيعها.

المقدّمة

الحمد لله والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين.

اشتهر الإمام الحسن عليه السلام بلقب كريم أهل البيت عليهم السلام، ولعلّ ذلك في الأعصار المتأخّرة، إذ أنّ ألقابه عليه السلام في كتب التراجم والسير لم يرد من بينها (كريم أهل البيت)، فقد ورد في الهداية الكبرى للخصيبيّ (ت٣٥٨): وألقابه: الزكيّ، والسبط، وسيّد شباب أهل الجنّة، والأمين، والحجّة، والتقيّ[١].

وفي إعلام الورى للطبرسيّ (ت٥٤٨): الإمام الثاني، والسبط الأوّل، سيّد شباب أهل الجنّة.

وروى الطبرسيّ رواية جابر عن رسول صلى الله عليه وآله: ((من سرّه أن ينظر إلى سيّد شباب الجنّة فلينظر إلى الحسن بن علي))[٢].

وفي ذخائر العقبى للطبريّ (ت٦٩٤): روي أنّه وأخيه الحسين ريحانتا النبيّ من الدنيا وأنّهما سيدا شباب أهل الجنة[٣].

وفي مطالب السؤول لابن طلحة الشافعيّ (ت٦٥٢): ألقابه كثيرة: التقيّ، والزكيّ، والسيّد، والسبط، والوليّ، وأكثرها شهرة به« التقيّ»، لكنّ أعلاها رتبة وأولاها به ما لقّبه به رسول الله صلى الله عليه وآله حيث وصفه وخصّه بأن جعله نعتاً له، فإنّه صحّ النقل عن النبيّ صلى الله عليه وآله فيما أورده الأئمّة الأثبات، والرواة الثقات، أنّه قال : ((إنّ ابني هذا سيّد))[٤].

غير أنّ روايات كثيرة وردت في كرمه عليه السلام، وكلّ أهل البيت كرماء، فلماذا خصّ هو عليه السلام من بينهم بهذا اللقب، الذي لم يُعرف به في الأعصار المتقدّمة كما يظهر من كتب التراجم والسير السابقة الذكر؟

هذه الدراسة جاءت محاولة للبحث عن الباعث وراء تلقيبه عليه السلام بهذا اللقب ، ولماذا اختص به ؟ وما المصادر المالية التي كان يغذق منها عليه السلام على الفقراء وغير الفقراء من الأمة.

المصادر الماليّة

هناك احتمالات لهذه المصادر، سنسردها ونحاول إثبات بعضها وردّ بعضها الآخر:

المطلب الأوّل: الحوائط السبعة وهي صدقة الزهراء عليها السلام.

الحائط هو البستان، وهذه الحوائط السبعة من أموال مخيريق اليهوديّ الذي أوصى بأمواله إلى النبيّ صلى الله عليه وآله، وكان حبراً من أحبار اليهود قد أسلم وقتل في معركة أحد، وكان من بني قريظة، وقد حاول إقناع قومه بالإسلام ولكنّهم رفضوا، وورد فيه عن النبيّ صلى الله عليه وآله: ((مخيريق خير يهود))[٥].

وكانت هذه الأموال لبني ثعلبة بن عمرو من بني قريظة ثمّ صارت لمخيريق وهي: برقة والدلال والميثب والصافية: متجاورات في شرق المدينة بجزع زهرة ويسقيها وادي مهزور، والعواف ويقال لها الأعرف: جزع معروف بالعالية بقرب المربوع يسقيها مهزور أيضاً، وحسنى: موضع بالقف بقرب الدلال يسقيها مهزور أيضاً، ومشربة أمّ إبراهيم[٦]: موضع بالعالية معروف بالقفّ، وإنّما سمّي بمشربة أمّ إبراهيم؛ لأنّ مارية القبطيّة ولدت إبراهيم بن النبيّ صلى الله عليه وآله هناك - والمشربة بالفتح والضمّ الغرفة.

روى عاصم بن حميد عن أبي بصير قال: قال أبو جعفر عليه السلام:« ألا أحدّثك بوصيّة فاطمة عليها السلام؟ قلت: بلى، فأخرج حقّاً أو سفطًا، فأخرج منه كتاباً فقرأ :(بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أوصت به فاطمة بنت محمد، أوصت بحوائطها السبعة :العواف، والدلال، والبرقة، والميثب، والحسنى، والصافية، ومال أمّ إبراهيم، إلى علي بن أبي طالب، فإن مضى علي فإلى الحسن، فإن مضى الحسن فإلى الحسين، فإن مضى الحسين فإلى الأكبر من ولدي، شهد الله على ذلك، والمقداد بن الأسود والزبير بن العوّام. وكتب علي بن أبي طالب»[٧].

وروي أنّ هذه الحوائط كانت وقفاً، وكان رسول صلى الله عليه وآله يأخذ منها ما ينفق على أضيافه ومن يمرّ به، فلمّا قبض جاء العباس يخاصم فاطمة عليها السلام فيها فشهد علي عليه السلام وغيره أنّها وقف عليها[٨].

والوقف هنا ربّما لا يعني الوقف المصطلح وإنّما يعني أنّها مقصورة عليها أي محصورة فيها عليها السلام، ثمّ ورّثتها إلى غيرها بوصيّتها عليها السلام.

وورد عن عَلِيّ بْن إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَبِيهِ عَنِ اِبْنِ أَبِي عُمَيْرٍ عَنْ حَمَّادِ بْنِ عُثْمَانَ عَنْ عُبَيْدِ الله اَلْحَلَبِيِّ وَ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام قَالاَ: سَأَلْنَاهُ عَنْ صَدَقَةِ رَسُولِ الله صلى الله عليه وآله وَ

صَدَقَـةِ فَاطِمَـةَ ﷺ قَـالَ: صَدَقَتُهُـمَا لِبَنِـي هَاشِـمٍ وَ بَنِـي اَلْمُطَّلِـبِ[٩] .

وهذا يعني أنّ هذه الصدقة كان يعبّر عنها بصدقة فاطمة وصدقة النبيّ.

وهـذه الحوائـط لم تقـع في يـد أبي بكـر مثلـما وقعـت فـدك كـما يظهـر مـن الروايـات والحـوادث التاريخيّـة.

كـما أنّ ظاهـر الروايـة أنّهـا وصلـت إلى يـد الإمـام الباقـر ﷺ، وقـد كانـت قـد وصلـت قبـل ذلـك إلى الإمـام الحسـن ﷺ، ممّـا يعنـي أنّـه كان ينفـق منهـا أيضـاً في وجـوه الخـير.

وهذه الحوائط كما وردت في الرواية:

-العوافّ ومساحتها : ٣٤٣٥٠٠م.

- والدلال ومساحتها : ٣٥٥٧٠٠م.

-والبرقة ومساحتها : ٣٦٧٨٠٠م.

-والميثب، ومساحته : ١٥٦٧٠٠م .

ورد فيـه:« اَلْمِيْثَـبُ هُـوَ اَلَّـذِي كَاتَـبَ عَلَيْـهِ سَـلْمَانُ فَأَفَـاءَهُ الله عَزَّوَجَـلَّ عَـلَى رَسُـولِ اللهﷺ فَهُـوَ فِي صَدَقَتِهَـا»[١٠].

-والحُسنى: ومساحتها لا تزيد عن ٢٠٩٨٠٠م.

-والصافية: ومساحتها لا تقل عن ١٢٢١٠٠م .

-ومال أمّ إبراهيم، المعروف بمشربة أمّ إبراهيم، ومساحتها: ٣٠٨٥٠٠م[١١].

إذن هـذه الحوائـط السـبعة عبـارة عـن مسـاحات شاسـعة تـدرّ خـيرات كثـيرة تتيـح للإمـام الإفادة منهـا في دعـم الأمـن الاقتصـاديّ والاجتماعـيّ للأمّـة بعـد أن زعـزع ممـن كاد للإسـلام وأهلـه.

المطلب الثاني: صدقات أمير المؤمنين عليه السلام.

الصدقات هي الوقوفات كما يظهر من بعض الروايات، جاء في التهذيب[١٢]: عن الحسين بن سعيد، عن صفوان، عن عبد الرحمن بن الحجاج قال: بعث إليّ بهذه الوصية أبو إبراهيم عليه السلام: «هذا ما أوصى به وقضى في ماله عليٌّ عبدُ الله ابتغاء وجه الله ليولجني به الجنة، ويصرفني به عن النار، ويصرف النار عني «يوم تبيضُّ وجوهٌ وتسودُّ وجوهٌ»[١٣] أنّ ما كان من مال (ينبُع) من مالٍ يُعرَفُ لي فيها، وما حوْلَها صدقةٌ، ورَقيقها غيرَ أبي رَباحٍ وأبي نَيْزَرَ وجُبَيْرٍ عُتقاءُ ليْسَ لأحدٍ عليْهِمْ سبيلٌ، فهُمْ موالٍ يعْملُونَ في المالِ خمْسَ حِجَجٍ، وفيهِ نفقتُهُمْ ورِزْقُهُمْ ورِزْقُ أهاليهِمْ، ومعَ ذلكَ ما كانَ لي (بوادِي القُرى) كُلُّهُ مالُ بَني فاطِمَةَ ورَقيقُها صدَقَةٌ وما كانَ لي (بدَعَةَ) وأهْلِها صدَقَةٌ غيرَ أنَّ رَقيقَها لهُمْ مثْلُ ما كتَبْتُ لأصْحابِهِمْ وما كانَ لي (بأُذَيْنَةَ) وأهْلِها صدَقَةٌ و(الفُقَيْرَيْنِ) كما قدْ علِمْتُمْ صدَقَةٌ في سبيلِ الله وأنَّ الَّذي كتَبْتُ مِنْ أمْوالي هذِهِ صدَقَةٌ واجِبَةٌ بتْلَةٌ حيّاً أنا أوْ ميِّتاً يُنْفَقُ في كُلِّ نفَقَةٍ أُبْتُغِيَ بِها وجْهُ الله في سبيلِ الله ووَجْهِهِ ويُنْفَقُ في كُلِّ نفَقَةٍ أُبْتُغِيَ بِها وجْهُ الله في سبيلِ الله ووَجْهِهِ، وذَوِي الرَّحِمِ مِنْ بَني هاشِمٍ وبَني المُطَّلِبِ والقَريبِ والبَعيدِ، وأنَّهُ يقُومُ علَى ذلِكَ الحَسَنُ بْنُ عليٍّ يأْكُلُ مِنْهُ بالمَعْروفِ ويُنْفِقُهُ حَيْثُ يُريدُ الله في حِلٍّ مُحَلَّلٍ لا حرَجَ علَيْهِ فيهِ، فإنْ أرادَ أنْ يبيعَ نصيباً مِنَ المالِ فيَقْضِيَ بِهِ الدَّيْنَ فلْيفْعَلْ إنْ شاءَ لا حرَجَ علَيْهِ فيهِ، وإنْ شاءَ جعَلَهُ شِراءَ المُلْكِ وأنَّ وُلْدَ عليٍّ ومَوالِيهُمْ وأمْوالَهُمْ إلَى الحَسَنِ بْنِ عليٍّ، وإنْ كانَ دارُ الحَسَنِ غيْرَ دارِ الصَّدَقَةِ فبَدا لَهُ أنْ يبيعَها فلْيبِعْها إنْ شاءَ لا حرَجَ علَيْهِ فيهِ، وإنْ باعَ فإنَّهُ يقْسِمُها ثلاثَةَ أثْلاثٍ فيَجْعَلُ ثُلُثاً في سبيلِ الله ويَجْعَلُ ثُلُثاً في بَني هاشِمٍ وبَني المطَّلِبِ، ويَجْعَلُ الثُّلُثَ في آلِ أبي طالِبٍ، وأنَّهُ يضَعُهُمْ حَيْثُ يُريدُ الله، وإنْ حدَثَ بِحَسَنِ بْنِ عليٍّ حدَثٌ وحُسَيْنٌ حيٌّ فإنَّهُ إلَى حُسَيْنِ بْنِ عليٍّ، وأنَّ حُسَيْناً يفْعَلُ فيهِ مِثْلَ الَّذي أمَرْتُ بِهِ حسَناً لَهُ مِثْلُ الَّذي كتَبْتُ لِلْحَسَنِ وعلَيْهِ مِثْلُ الَّذي علَى الحَسَنِ، وأنَّ الَّذي لِبَني فاطِمَةَ مِنْ صدَقَةِ عليٍّ مِثْلُ الَّذي جعَلْتُ لِبَني عليٍّ وإنِّي إنَّما جعَلْتُ الَّذي جعَلْتُ لِابْنَيْ فاطِمَةَ ابْتِغاءَ وجْهِ الله وتَكْريمَ حُرْمَةِ رَسولِ الله صلى الله عليه وآله وتَعْظيمَها وتَشْريفَها ورِضاها بِهِما، وإنْ حدَثَ بِحَسَنٍ وحُسَيْنٍ حدَثٌ فإنَّ الآخِرَ مِنْهُما يَنْظُرُ في بَني عليٍّ فإنْ وجَدَ فيهِمْ مَنْ يَرْضَى بِهَدْيِهِ وإسْلامِهِ وأمانَتِهِ فإنَّهُ يجْعَلُهُ إلَيْهِ إنْ شاءَ، وإنْ لَمْ يَرَ فيهِمْ

بَعْضَ الَّذِي يُرِيدُ فَإِنَّهُ فِي بَنِي اِبْنَيْ فَاطِمَةَ، فَإِنْ وَجَدَ فِيهِمْ مَنْ يَرْضَى بِهَدْيِهِ وَإِسْلاَمِهِ وَأَمَانَتِهِ فَإِنَّهُ يَجْعَلُهُ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ، وَ إِنْ لَمْ يَرَ فِيهِمْ بَعْضَ الَّذِي يُرِيدُ فَإِنَّهُ يَجْعَلُهُ إِلَى رَجُلٍ مِنْ آلِ أَبِي طَالِبٍ يَرْضَى بِهِ، فَإِنْ وَجَدَ آلَ أَبِي طَالِبٍ قَدْ ذَهَبَ كُبَرَاؤُهُمْ وَ ذَوُو آرَائِهِمْ فَإِنَّهُ يَجْعَلُهُ فِي رَجُلٍ يَرْضَاهُ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ، وَأَنَّهُ شَرَطَ عَلَى اَلَّذِي يَجْعَلُهُ إِلَيْهِ أَنْ يَتْرُكَ الْمَالَ عَلَى أُصُولِهِ وَ يُنْفِقَ اَلثَّمَرَةَ حَيْثُ أَمَرَهُ بِهِ مِنْ سَبِيلِ الله وَ وُجُوهِهِ وَ ذَوِي اَلرَّحِمِ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ وَ بَنِي الْمُطَّلِبِ، وَاَلْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ لا يُبَاعُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلا يُوهَبُ وَلاَ يُورَثُ وَأَنَّ (مَالَ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ) نَاحِيَةٌ وَهُوَ إِلَى اِبْنَيْ فَاطِمَةَ وَأَنَّ رَقِيقِيَ اَلَّذِينَ فِي اَلصَّحِيفَةِ اَلصَّغِيرَةِ اَلَّتِي كَتَبْتُ عُتَقَاءُ، هَذَا مَا قَضَى بِهِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فِي أَمْوَالِهِ هَذِهِ الْغَدَ مِنْ يَوْمَ قَدِمَ مَسْكِنَ اِبْتِغَاءَ وَجْهِ الله وَالدَّارِ اَلْآخِرَةِ «وَالله الْمُسْتَعَانُ» عَلَى كُلِّ حَالٍ وَلا يَحِلُّ لِامْرِئٍ مُسْلِمٍ يُؤْمِنُ بِالله وَ اَلْيَوْمِ اَلْآخِرِ أَنْ يُغَيِّرَ شَيْئاً مِمَّا أَوْصَيْتُ بِهِ فِي مَالِي، وَلا يُخَالِفَ فِيهِ أَمْرِي مِنْ قَرِيبٍ وَ لاَ بَعِيدٍ.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ وَلاَئِدِيَ اَلَّاتِي أَطُوفُ عَلَيْهِنَّ اَلسَّبْعَ عَشْرَةَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتُ أَوْلاَدٍ أَحْيَاءٌ مَعَهُنَّ أَوْلاَدُهُنَّ وَ مِنْهُنَّ حَبَالَى وَ مِنْهُنَّ مَنْ لاَ وَلَدَ لَهُ فَقَضَائِي فِيهِنَّ إِنْ حَدَثَ بِيَ حَدَثٌ أَنَّ مَنْ كَانَ مِنْهُنَّ لَيْسَ لَهَا وَلَدٌ وَ لَيْسَتْ بِحُبْلَى فَهِيَ عَتِيقٌ لِوَجْهِ الله لَيْسَ لِأَحَدٍ عَلَيْهِنَّ سَبِيلٌ، وَمَنْ كَانَ مِنْهُنَّ لَهَا وَلَدٌ وَهِيَ حُبْلَى فَتُمْسَكُ عَلَى وَلَدِهَا وَهِيَ مِنْ حَظِّهِ، فَإِنْ مَاتَ وَلَدُهَا وَهِيَ حَيَّةٌ فَهِيَ عَتِيقٌ لَيْسَ لِأَحَدٍ عَلَيْهَا سَبِيلٌ هَذَا مَا قَضَى بِهِ عَلِيٌّ فِي مَالِهِ الْغَدَ مِنْ يَوْمَ قَدِمَ مَسْكِنَ، شَهِدَ أَبُو شِمْرِ بْنُ أَبْرَهَةَ، وَصَعْصَعَةُ بْنُ صُوحَانَ، وَسَعِيدُ بْنُ قَيْسٍ، وَهَيَّاجُ بْنُ أَبِي الْهَيَّاجِ، وَكَتَبَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ بِيَدِهِ» لِعَشْرٍ خَلَوْنَ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى سَنَةَ سَبْعٍ وَ ثَلاَثِينَ»[١٤].

وهذه الرواية المرويّة عن الإمام الكاظم ﷺ تدلّ على احتفاظ الإمام الكاظم بهذه الوصيّة وأنّها وصلت إليه يداً بيدٍ من آبائه ﷺ، وسنشير إلى بعض الموقوفات التي عرفت باسم صدقة الكاظم فيما بعد.

وقد أشارت الرواية إلى عدّة أمور تدلّ على الوقف:

منها: قول أمير المؤمنين ﷺ: ((هَذِهِ صَدَقَةٌ وَاجِبَةٌ بَتْلَةٌ حَيّاً أَنَا أَوْ مَيِّتاً يُنْفَقُ فِي كُلِّ نَفَقَةٍ أُبْتُغِيَ بِهَا وَجْهُ الله فِي سَبِيلِ الله وَ وَجْهِهِ، وَذَوِي اَلرَّحِمِ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ وَ بَنِي الْمُطَّلِبِ، وَاَلْقَرِيبِ

وَالْبَعِيدِ، وَأَنَّهُ يَقُومُ عَلَى ذَلِكَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ يَأْكُلُ مِنْهُ بِالْمَعْرُوفِ وَ يُنْفِقُهُ حَيْثُ يُرِيدُ الله فِي حِلٍّ مُحَلَّلٍ لا حَرَجَ عَلَيْهِ فِيهِ، فَإِنْ أَرَادَ أَنْ يَبِيعَ نَصِيباً مِنَ الْمَالِ فَيَقْضِيَ بِهِ الدَّيْنَ فَلْيَفْعَلْ إِنْ شَاءَ لاَ حَرَجَ عَلَيْهِ فِيهِ وَإِنْ شَاءَ جَعَلَهُ شِرَاءَ الْمُلْكِ)).

فهو هنا ﷺ يشير إلى أنّها بتلة أي أنّ هذه الأموال قطعت عنه وانفصلت وخرجت عن أمواله، وهذا هو الوقف بعينه.

وورد البتل في رواية أخرى عن أبي عبد الله ﷺ: ((ليس يتبع الرجل بعد موته من الأجر إلّا ثلاث خصال: صدقة أجراها في حياته فهي تجري بعد موته، وصدقة مبتولة لا تورث، أو سنة هدى يعمل بها بعد موته، أو ولد صالح يدعو له))[١٥]، فهي لا تُورَّث أو تُورَث، وهو تعبير آخر عن الوقف.

ومنها: أَنَّهُ شَرَطَ عَلَى الَّذِي يَجْعَلُهُ إِلَيْهِ أَنْ يَتْرُكَ الْمَالَ عَلَى أُصُولِهِ وَ يُنْفِقَ الثَّمَرَةَ، وإبقاء الأصول وتسبيل الثمرة هو الوقف بعينه، لكن لأنّ أغلب الوقوفات صدقات لذلك أطلق على الوقف أنّه صدقة، والصدقة مبنيّة على القربة ولكن ليس كلّ وقف صدقة[١٦].

كما أنّه أشار في هذا المقطع من الوصيّة أنّ هذا المال يصرف في أمرين:

الأول: يُنْفَقُ فِي كُلِّ نَفَقَةٍ ابْتُغِيَ بِهَا وَجْهُ الله فِي سَبِيلِ الله وَوَجْهِهِ.

الثاني: فِي ذَوِي الرَّحِمِ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ وَبَنِي الْمُطَّلِبِ وَالْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ.

ومن بقاء الصدقة في الأعقاب الذي ذكره الإمام والزهراء ﷺ طبقة بعد طبقة يستفاد الوقف[١٧].

وكذلك من رواية وصيّة الإمام الكاظم ﷺ: هذا ما تصدّق به موسى بن جعفر تصدّق بأرضه في مكان كذا وكذا ..على ولد صلبه من الرجال والنساء ..صدقة حبساً بتاً بتلاً مبتوتة لا رجعة فيها[١٨].

وأشار إلى أماكن هذه الصدقات، وهي كالتالي:

١-مال منطقة (يَنْبُعَ) وَ مَا حَوْلَهَا: وتقع ينبع على بعد ٢٠٠ كيلو متراً غرب المدينة المنوّرة.

٢- مال وَادِي الْقُرَى: وهو واد بين الشام والمدينة، وهو بين تيماء وخيبر، فيه قرى كثيرة، وبها

سمّي وادي القرى، وقد عبّر عنه الإمام بمال بني فاطمة، ولعلّه كان من صدقات الزهراء ﷺ التي انتقلت إليه بوصيّة منها ﷺ.

٣-مال منطقة دَعَةَ: لم أهتد إلى تحديدها، لكن جاء في القاموس للفيروزآبادي: ((ودعان عين قرب ينبع))[١٩]، ((والدعاع - كغراب - : النخل المتفرّق))[٢٠].

٤-مال منطقة أُذَيْنَةَ، وادي في المدينة المنوّرة.

٥- مال منطقة اَلْفُقَيْرَيْن، وهي من قرى وادي الفرع في منطقة المدينة المنوّرة، وتبعد عنها قرابة ١٤٠ كيلو متراً.

ثمّ إنّه ﷺ أشار إلى إمكانيّة التصرّف للإمام الحسن ﷺ في النفقة لوجه الله وبيع ما شاء من هذه الصدقات لقضاء الدين، بل له أن يبيع قسماً منها ويجعله (شراء الملك) وشراء الملك أي مثل الملك الخاصّ حيث قال:« يُنْفِقُهُ حَيْثُ يُرِيدُ الله فِي حِلٍّ مُحَلَّلٍ لا حَرَجَ عَلَيْهِ فِيهِ، فَإِنْ أَرَادَ أَنْ يَبِيعَ نَصِيباً مِنَ اَلْمَالِ فَيَقْضِيَ بِهِ اَلدَّيْنَ فَلْيَفْعَلْ إِنْ شَاءَ لاَ حَرَجَ عَلَيْهِ فِيهِ وَإِنْ شَاءَ جَعَلَهُ شِرَاءَ اَلْمِلْكِ»[٢١]. والمقصود بالتأبيد في الوقف المصطلح أن لا يعود المال إلى الواقف فيكون سكنى، وليس المراد من التأبيد كيفيّة الوقف، فقد يكون الوقف مستمرّاً وقد يذكر جواز بيعه كما هو واضح من هذه الرواية.

وهذا يعني أنّ الإمام الحسن ﷺ كان له كامل التصرّف في هذه الصدقات، فهو ينفق منها في سبيل الله تعالى على الفقراء والمعوزين والمحتاجين ومن منع عنهم الفيء والزكاة ممّن وقف معارضاً لسلطة معاوية.

وممّا ينبغي الإشارة إليه والتنبيه عليه، أنّ هذه الوصيّة من أمير المؤمنين ﷺ لم يرد فيها ذكر لشيء من الحوائط السبعة التي أوصت بها فاطمة الزهراء إليه، فهي شيء آخر غير الصدقات التي أوصى بها ﷺ، ولا داعي لذكرها هنا في وصيّته؛ لوجود الوصيّة من الزهراء ﷺ له وللحسنين بعده، بشهادة المقداد بن الأسود والزبير بن العوّام.

المطلب الثالث: أموال بيت مال المسلمين

من المحتمل أنّ الإمام الحسن ﷺ بعد أن حدثت الهدنة أو الصلح مع معاوية لم يسلّم أموال بيت المال لمعاوية؛ لأنّه الخليفة الشرعيّ، والهدنة والصلح لا يعني تسليم هذه الأموال للطليق الذي كان ممّن يخضمون مال الله خضمة الإبل نبتة الربيع، كما أنّه لم يرد شيء من الصلح بهذا، بل على العكس من ذلك كما سنرى في النقطة الآتية.

المطلب الرابع: أموال بلاد فارس (فسا ودارا بجرد).

وهما منطقتان فتحتا عنوة في بلاد إيران، وهما من البلدان الخراجيّة العامرة التي يُسلّم أهلها مقداراً من المال لبيت المال مقابل إبقائهم على عمارتها، ويصرف هذا المال في مصالح المسلمين، وقد اشترط الإمام الحسن ﷺ أن يقبض خراج هاتين المنطقتين.

المطلب الخامس: خمس ذوي القربى.

من المفترض أن يكون للإمام الحسن ﷺ نصيب من وَلِذِي الخمس، فهو مصداق ذوي القربى الوارد في الآية الشريفة: ﴿فإن لله خمسه وللرسول ولذوي القربى..﴾[٢٢].

لكنّ أمير المؤمنين ﷺ لم يرد أن يخالف أبا بكر وعمر في الخمس؛ نظراً لكثرة الانحرافات التي كانت قد وقعت، فكان لغيرها أولويّة بلحاظ أنّ الخمس حقّ خاص للإمام ﷺ ولبني هاشم، وما كان أهله يصدرون إلّا عن رأيه كما سيأتي في الخبر، ولاسيّما إذا أخذنا بالاعتبار أنّ السبب الرئيس للنقمة على عثمان هو صرفه لأموال المسلمين على أقاربه من بني أميّة، وغالب الناس لا تعتقد في أمير المؤمنين ﷺ العصمة والإمامة الالهيّة، وعليه لا محالة سيقوم الناس بالمقارنة وسيتهم الإمام ﷺ بالسير على نهج عثمان.

وجاء في كتاب الخراج لأبي يوسف عن ابن عباس أنّ علياً قسّم الخمس على ما قسّمه أبو بكر وعمر وعثمان[٢٣].

وسئل الإمام أبو جعفر الباقر ﷺ ما كان رأي علي في الخمس؟ قال ﷺ: « كان رأيه فيه رأي أهل بيته، ولكنّه كره أن يخالف أبا بكر وعمر[٢٤].

وعن محمد بن إسحاق قال سألت أبا جعفر محمد بن علي ﷺ فقلت : علي بن أبي طالب ﷺ

حيث ولّي من أمر الناس ما ولّي كيف صنع في سهم ذي القربى؟ قال : «سلك به سبيل أبي بكر وعمر» قلت : « كيف وأنتم تقولون ما تقولون؟ » فقال عليه السلام « ما كان أهله يصدرون إلّا عن رأيه عليه السلام » قلت: « فما منعه ؟ « قال: « كره والله أن يدّعى عليه خلاف أبي بكر وعمر » [٢٥].

نعم، كان يريد إصلاح ما عمله من كان قبله فقال: قد عملت الولاة قبلي أعمالاً خالفوا فيها رسول صلى الله عليه وآله متعمّدين لخلافه، ناقضين لعهده، ولو حملت الناس على تركها، وحوّلتها إلى مواضعها وإلى ما كانت في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله لتفرّق عني جندي ..أرأيتم لو أمرت بمقام إبراهيم عليه السلام فرددته إلى الموضع الذي وضعه فيه رسول الله صلى الله عليه وآله .. وذكر أموراً كثيرة إلى أن قال: وأنفذت خمس الرسول كما أنزل الله عزّوجل وفرضه[٢٦].

إذن، فالإمام الحسن عليه السلام جرى على ما جرى عليه أمير المؤمنين عليه السلام.

سبر الاحتمالات

من البعيد أن يكون معاوية قد وفى للإمام الحسن عليه السلام بأموال فارس؛ لأنّه من أهل الغدر والخيانة[٢٧]، كما أنّ استلام خمس ذوي القربى روي عن أهل البيت عليهم السلام كما قلنا، فيبقى لدينا احتمال أن تكون المصادر الماليّة عند الإمام هي: الحوائط السبعة وصدقات أمير المؤمنين وبقايا أموال بيت المال.

وهذه الأموال ليست قليلة ولكنّها لن تفي بميزانيّة دولة مترامية الأطراف كما هو الحال في زمنه عليه السلام.

وقد منع معاوية العطاء لفئات من الناس ممّن اعترض عليه وقتّر عليهم، والإمام يرى من واجبه إغاثة هذه الفئات والجماعات، فما كان يغدقه الإمام على هذه الفئات هو حقّ كان ينبغي أن تصرفه عليهم الدولة الاسلاميّة، لكنّها كانت جائرة ظالمة بقيادة طليق، وإلّا لو كانت منصفة لما جاع فقير، ولو كانت الدولة منصفة فلماذا يأتي الفقراء والمحتاجون إلى الإمام الحسن عليه السلام فيطلبون منه !! كما روى ابن طلحة الشافعيّ قال: إنّ رجلاً جاء إليه وسأله حاجة فقال له عليه السلام : «يا هذا، حقّ سؤالك إيّاي يعظم لديّ، ومعرفتي بما يجب لك تكبّر علي، ويدي تعجز عن نيلك بما أنت أهله، والكثير في ذات الله عزّوجلّ قليل، وما في ملكي وفاء بشكرك، فإن قبلت

منّي الميسور ورفعت عنّي مؤنة الاحتفال والاهتمام لما أتكلّفه من واجبك فعلت»[٢٨].

ولو افترضنا أنّ الدولة قامت برعاية الفقراء ولكن يبقى أفراد في المجتمع ليسوا فقراء ولكن هم أصحاب حاجات ملحّة كما روى الطبري أنّ الحسن بن علي سمع رجلًا يسأل ربّه أن يرزقه عشرة آلاف، فانصرف .. فبعث بها إليه[٢٩].

ولكنّنا نقف على قصص ومرويّات كثيرة ظاهرها أنّ الفقر قد تمكّن من فئات المجتمع في ظلّ حكم معاوية الجائر، فما معنى أنّ الإمام يفرّق ماله ثلاث مرّات حتّى أنّه يعطي نعلاً ويمسك نعلاً[٣٠]!!.

ولم يذكر التاريخ أنّ الدولة كانت فقيرة، بل على العكس من ذلك، فالحرمان الذي وقع على فئاتٍ دون فئاتٍ كان بسبب عدم الوقوف إلى جانب السلطة الجائرة، ولا يعني هذا أنّ الإمام عليه السلام كان يعطي الفئات التي كانت تقف إلى جانبه فقط، كلّا فإنّ الحرمان عمّ فئات متنوّعة ربّما لم تكن واقفة إلى صفّ الإمام، لكنّ الإمام يرى من واجبه إمدادها بوسائل العيش الكريم .

وهذا ما لعلّه قد أظهر صفة الكرم عند الإمام الحسن عليه السلام دون غيره من الأئمّة عليهم السلام وإلّا فإنّ الأئمّة كلّهم كرماء، ولكنّ الظرف المعيشيّ الذي عاشه المسلمون تحت ظلّ هذا الحكم الجائر في العطاء أبرز هذه الصفة عند الإمام دون غيرها وعنده دون غيره من الأئمّة الطاهرين عليهم السلام .

وربّما حاول بعض أن يظهر أن ما كان يجود به الإمام هو من عند معاوية، ولكنّ التلفيق والدسّ لا يكاد يخفى على غير الحصيف، فكيف بمن قلّب الحديث وأعمل فيه عقله، فقد جاء في الصواعق المحرقة أنّ عطاء الحسن كلّ سنة مائة ألف، فحبسها عنه معاوية في بعض السنين، فحصل له إضاقة شديدة !![٣١]. وكذا ما جاء في ذخائر العقبى من أنّ معاوية أجاز الإمام بأربعمائة ألف ألف[٣٢]، فهل كان الإمام محتاجاً إلى عطاء معاوية؟ ولماذا يمنع معاوية العطاء عن الإمام؟ وإذا كان منعه عن الإمام فمنعه عن غيره أحرى وأولى، فإذا لم يكن للإمام حرمة فغيره أولى بأن يسقطوا حرمته.

والله العالم بحقائق الأمور، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

الهوامش

١-الهداية الكبرى للخصيبيّ، ص ٢٢٠ ، ط شركة الأعلميّ- بيروت ١٤٣٢بتحقيق الشيخ مصطفى الحمصّي.
٢-إعلام الورى للطبرسّي، ص ٢١٠ ، ط دار المعرفة – بيروت ١٣٩٩ بتصحيح وتعليق علي أكبر الغفاريّ.
٣-ذخائر العقبى للطبريّ، ص ١٢٩ ، ط دار المعرفة – بيروت .
٤-مطالب السؤول لابن طلحة الشافعيّ، ج ٢ ص ٩، ط مؤسّسة أمّ القرى – قم ١٤٢٠، تحقيق ماجد العطيّة .
٥-الطبقات الكبرى:١/ ٥٠٢.
٦-وفاء الوفاء للسمهوديّ ج ٣ ص ٩٨٩ – ٩٩٤. وفيه تفصيل حول هذه الحوائط ونسبتها إلى أصحابها قبل وصولها لمخيريق، وتاريخ المدينة المنوّرة لابن شبّة البصريّ الذي نسبه لبني قينقاع وقال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: مخيريق سابق اليهود، وسلمان سابق فارس، وبلال سابق الحبشة.
٧-تهذيب الأحكام مج ٩ ص ١٤٤. الحديث ٥٠. ونقله الوسائل في ج ١٩ الباب (١٠) باب كيفيّة الوقوف والصدقات ح١.
٨-المصدر نفسه ص٥٢.
٩-الكافي ج ٧ ص ٤٨، من كتاب الوصايا، باب صدقات النبيّ صلى الله عليه وآله وفاطمة والأئمّة عليهم السلام.
١٠-المصدر نفسه.
١١-أخذنا المساحات من كتاب معالم المدينة المنورة ج ٩ (المواضع والبقاع) تأليف الدكتور عبد العزيز الكعكيّ ط ١٤٣٦.
١٢-تهذيب الأحكام مج ٩ ص ١٤٦.
١٣- سورة آل عمران:١٠٦.
١٤-الكافي:٧/ ٤٩-٥١، ب من أوصى إلى مدرك وأشرك معه الصغير، ح٦.
١٥-الوسائل ج ١٩ كتاب الوقوف والصدقات ح ٢ ص ١٧٢.
١٦-من إفادات درس المرجع الراحل السيّد محمد سعيد الحكيم قدّس سّره في بحث الوقف بتاريخ ٢٧/ ٥ / ١٤٣٩.
١٧-المصدر نفسه.
١٨-الوسائل ج ١٩ ص ٢٠٣ ح ٤ .
١٩-القاموس المحيط:٣/ ٩٢.
٢٠-المصدر نفسه.
٢١-من إفادات درس المرجع الراحل السيّد محمد سعيد الحكيم قدّس سّره في بحث الوقف بتاريخ ١٨ / ٥ / ١٤٣٩.
٢٢-سورة الأنفال ، الآية : ٤١.
٢٣-الخراج ص ٢٣ نقلًا عن كتاب الخمس للشيخ حسين النوريّ الهمدانّي ص ١٥١.
٢٤-الخراج ص ٢٣ والأموال لأبي عبيد ص ٣٣٢ وأحكام القرآن للجصّاص ج ٣ ص ٦٣. عن الخمس للهمدانّي ص١٥١.
٢٥-المصدر نفسه.
٢٦-الروضة من الكافي ص ٥٨-٦٣ وروي بعضها في الوسائل ج٥ ص ١٩٣.

٢٧-ينظر: صلح الحسن، راضي آل ياسين:١٢.
٢٨-مطالب السؤول ج ٢ ص ٢٤.
٢٩-ذخائر العقبى ص ١٣٧. نقله عن صفوة الصفوة ج١ ص ٧٦٠.
٣٠-ينابيع المودّة للقندوزيّ ج ٢ ص ٢١١. تحقيق سيّد علي جمال أشرف الحسينيّ، ط أسوة، ١٤٢٢.
٣١-الصواعق المحرقة ص ٢١٥ط دار الكتب العلميّة ١٤٠٣.
٣٢-ذخائر العقبى ص ١٤٠.

المصادر والمراجع

* أحكام القرآن للجصّاص.
* إعلام الورى للطبرسيّ.
* الأموال لأبي عبيد.
* تهذيب الأحكام، الطوسيّ .
* الخراج، أبو يوسف.
* الخمس للشيخ حسين النوريّ الهمدانيّ.
* ذخائر العقبى للطبريّ.
* صفوة الصفوة، ابن الجوزيّ.
* الصواعق المحرقة، الهيتميّ.
* الكافي، الكلينيّ.
* مطالب السؤول لابن طلحة الشافعيّ.
* معالم المدينة المنوّرة، الدكتور عبد العزيز الكعكيّ.
* من إفادات درس المرجع الراحل السيد محمد سعيد الحكيم قدّس سرّه في بحث الوقف.
* الهداية الكبرى للخصيبيّ.
* وسائل الشيعة، الحرّ العامليّ.
* وفاء الوفاء للسمهوديّ.
* ينابيع المودة للقندوزيّ.

الإمام الحسن عليه السلام وإدارة الأزمات

الشيخ لقاء جواد كاظم

ملخص البحث

لقد عصفت بالأمّة الاسلاميّة بعد النبيّ الأكرم ﷺ مجموعة من الأزمات منها السياسيّة وهي عبارة عن الاختلاف فيمن يخلف النبيّ ﷺ في إدارة شؤون الأمّة ، على الرغم من تحديد السماء الوسيلة والشخص الذي منزلته في الأمّة منزلة الرسول ﷺ، وله على المسلمين ولاية السمع والطاعة كما لرسول الله ﷺ، لكنّ جماعة انقلبوا على أعقابهم ، واختاروا طريق التعيين من قبل الجماعة المتنفّذة أو المتسلّطة، لرجلٍ من المسلمين فقط؛ فترشّح عن ذلك أزمة فكريّة مفهوميّة أخذت المجتمع إلى اضطراب خطير في تفسير بعض المفاهيم والمصطلحات الاسلاميّة على غير معانيها الأصيلة، ولقد تصدّى الأئمّة لهذه الأزمات بما لديهم من سمات أسريّة وميراث عائليّ كبير في إنقاذ الناس حين تعصف بهم النائبات، ومنهم الإمام الحسن عليه السلام الذي كان يمتلك مجموعة من الصفات أعطته الأهليّة والقدرة على التصدّي لحلول ناجعة لتلك الأزمات، فهو يمتلك خزيناً معرفيّاً كبيراً في الأزمات التي عصفت بالبشريّة في جميع أدوارها، والحلول التي أتت بها، الناجح منها وغيره، فضلاً عن أنّه الإمام المبيّن الذي أحصى الله فيه علم كلّ شيء، وهو ذلك الكريم الذي يتحرّق شوقاً لإغاثة الناس ومساعدتهم ولو بالتخلّي عن جميع ما يملك، فقد قرّر الإمام الحسن عليه السلام مواجهة الأزمة السياسيّة التي رأى أنّ سببها الخلل المعرفيّ الذي أصاب الأمّة بجميع أطيافها، فحتّى الصحابة فضلاً عن التابعين أصبحوا مبتلين بتفسير القران بالرأي، وعدم معرفة المعنى الحقيقيّ للإمامة، فرأى ضرورة إعادة بناء جيلٍ من الصحابة، يحمل على عاتقه ثورة إعادة الحديث النبويّ للتداول بين المسلمين، وإحياء أمر أهل البيت عليهم السلام، وتربية جيلٍ من التابعين يفهم القران ويفسّره لباقي المسلمين منطلقاً من البيانات النبويّة أو العلويّة، وبالنسبة للأزمة الاقتصاديّة فقد استمر الإمام بمنهج أبيه في إحياء الاقتصاد الاسلاميّ في الضرائب أو التعامل مع منتج الثروات الماليّة بمدارات عالية ترغّبهم بأداء ما عليهم من حقوق ماليّة، وبإنفاق جميع ثروته على الفقراء، وتشجيع أهل بيته وبني هاشم وشيعته على المزيد من البذل في سبيل الله.

المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء محمد وعلى آله الطيّبين الطاهرين، وبعد ...

فقد تعرّضت الأمّة الإسلاميّة كأيّ جماعة يربطها مجموعة من المبادئ والقيم ولها تطلّعاتها لأزمات كبيرة، منها على سبيل المثال أزمة المعارضين لمبادئ الاسلام وأصوله العقديّة ولكنّهم يظهرون قبوله ويبطنون عداءه، الذين سمّاهم القرآن بالمنافقين قال تعالى: ﴿المُنَافِقُونَ وَالمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالمنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا الله فَنَسِيَهُمْ إِنَّ المُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[1]، وقد كانوا يعارضون أحكام الله وتوجيهات النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله، ومن صفاتهم التي ذكرها القرآن تناقض أقوالهم مع حقيقة ماهم عليه قال تعالى:﴿ إِذَا جَاءَكَ المُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ الله وَالله يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَالله يَشْهَدُ إِنَّ المُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ * اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ الله إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ* ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ*﴾[2].

فالآيات تشير إلى بعض مخاطرهم، فمن تثبيط الناس عن التوحيد والدين بصدّهم عن سبيل الله تعالى، إلى الكذب وعدم قول الحقيقة، والكفر بعد الايمان.

وقد تجلّى خطر تلك الجماعة في أواخر حياة النبيّ صلى الله عليه وآله عندما منعوه من كتابة وصيّته الأخيرة، وقالوا عنه كلاماً جارحاً، بما صار يعرف بين المسلمين برزيّة الخميس، عندما طرد الرسول صلى الله عليه وآله مجموعة من الصحابة من مجلسه؛ لأنّهم بين مانعٍ له من تدوين وصيّته الأخيرة وبين ملتزمٍ جانب الصمت والحياد.

ثمّ بعد ذلك وبعد رحيل رسول الله إلى الرفيق الأعلى، استأثر بعضهم بالسلطة الإداريّة للمسلمين، ومنعوا من نصبته السماء إماماً للمسلمين من قيادة الأمّة ومواصلة مسيرة النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله، فنشأت الأزمة الثانية في الأمّة وهي أزمة إداريّة كبيرة، حاول أهل البيت عليهم السلام التخفيف من حجم أضرارها الكبيرة على الأمّة، بعدم المواجهة المباشرة مع أطرافها، ومحاولة تعديل بعض القرارت الخاطئة التي صدرت ممّن هو ليس بأهل لإدارة الأمّة.

كما انبثق من أزمة الاستبداد وإبعاد المصطفى للأمّة بعد النبيّ، مجموعة أزمات ثانويّة مثل الأزمة الاقتصاديّة وانتشار الفقر والأزمة الاجتماعيّة والطبقيّة والأزمة العقديّة.

وقد تصدّى أهل البيت ﷺ لكلّ تلك الأزمات كلّ بحسبه، وبمقدار ما تسمح به الظروف الضاغطة، وكان للامام الحسن ﷺ بما يحمل من مؤهّلات اجتماعيّة ونفسيّة وغيرها الأثر الكبير في مساعدة الأمّة لتخطّي تلك الأزمات، نحاول في هذه البحث الموجز الوقوف عليها وتحليلها.

وقد اخترت هذا البحث لتسليط الضوء على تلك الجوانب المشرقة من حياة الإمام الحسن ﷺ، فكان البحث عبارة عن مبحثين، يجري البحث في كلّ منها في مطالب عدّة.

المبحث الأوّل:

ويجري الحديث فيه بمطلبين:

المطلب الأوّل: مفهوم الأزمة وأنواعها وطرائق علاجها

نبذة تاريخيّة: (الأزمة) مصطلح قديم ترجع أصوله التاريخيّة إلى الطبّ الإغريقيّ، وتعني (نقطة تحوّل) بمعنى أنّها لحظة قرار حاسمة في حياة المريض.

وهي تطلق للدلالة على حدوث تغيير جوهريّ ومفاجئ في جسم الإنسان، لذلك فقد شاع استعمال هذا المصطلح في القرن السادس عشر في المعاجم الطبّيّة، واستعمل في القرن السابع عشر للدلالة على ارتفاع درجة التوتّر في العلاقات بين الدولة والكنيسة، وبحلول القرن التاسع عشر تواتر استعماله للدلالة على ظهور مشكلات خطيرة أو لحظات تحوّل فاصلة في تطوّر العلاقات السياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة.

ولقد استعمل المصطلح بعد ذلك في مختلف فروع العلوم الانسانيّة، وبات يعني مجموعة الظروف والأحداث المفاجئة التي تنطوي على تهديد واضح للوضع الراهن المستقرّ في طبيعة الأشياء، وهي النقطة الحرجة، واللحظة الحاسمة التي يتحدّد عندها مصير تطوّر ما، إمّا إلى الأفضل، وإما إلى الأسوأ.

الأزمة لغةً واصطلاحاً:

والأزمة لغة: ورد في لسان العرب: شدّة العضّ بالفم كلّه، وقيل هي القبض على الشيء بشدّة، ومنه أزمت يد الرجل آزمها أزماً أي أشدّ عليها، ومنها قيل سنة أزمة أي شديدة على خلاف العادة.

وفي الحديث: اشتدّي أزمة تنفرجي، ويقال: أصابته أزمة وآزمة أي شدّة[٣].

أمّا اصطلاحاً: لا يبتعد المعنى الاصطلاحيّ كثيراً عن المعنى اللغويّ، فالأزمة في الاصطلاح هي الوضع الاستثنائيّ الضاغط، الذي تضيق معه الحلول ويخرج معه الحال عن الوضع الطبيعيّ[٤].

ويمكن تعريف الأزمة في التخصّصات الاداريّة بأنّها نوع من التوتّر والحيرة لدى المسؤوليّة داخل المؤسّسة وأثر ذلك على الجوانب الإداريّة وأداء العاملين وكيان المؤسّسة الاستراتيجيّ وعلاقتها بالجمهور والأهداف التي ترتّبت عليها.

أمّا الأزمة من الناحية الاجتماعيّة فتعرّف على أنّها خلل وعدم توازن في عناصر النظام الاجتماعيّ في ظلّ حالات من التوتّر والقلق والشعور بالعجز لدى الأفراد وعدم القدرة على إقامة علاقات اجتماعيّة وإنسانيّة، وظهور قيم ومعايير أخلاقيّة مغايرة للثقافة السائدة.

سمات الأزمة: وللأزمة مجموعة سمات مهمّة شخّصها بعض العلماء[٥]، منها :

* المفاجأة: وتعني أنّ الأزمات تحدث بدون سابق إنذار، أو قرع للأجراس، بل بشكل مفاجئ.

* نقص المعلومات: وتعني عدم توفّر معلومات عن المتسبّب بهذه الأزمة، ويعود السبب إلى النقص في المعلومات، خصوصاً إذا كانت تحدث لأوّل مرّة.

* تصاعد الأحداث: عند حدوث الأزمات تتوالى الأحداث لتضييق الخناق على أصحاب القرار.

* فقدان السيطرة: جميع أحداث الأزمة تقع خارج نطاق قدرة وتوقّعاتهم أصحاب القرار، فتفقدهم السيطرة والتحكّم بزمام الأمور.

* حالة الذعر: تسبّب الأزمة حالة من الذعر، فيعمد صاحب القرار إلى إقالة كلّ من له علاقة بوقوع الأزمة، أو يلجأ إلى التشاجر مع معاونيه.

* غياب الحلّ الجذريّ السريع: الأزمات لا تعطي مهلة أو فرصة لصاحب القرار حتّى يصل إلى حلّ متأنّ، بل بسرعة لابدّ من الاختيار بين عدد محدود من الحلول واختيار أقلّها ضرراً.

لوازم حلّ الأزمة:

تنشأ الأزمة من عدّة أسباب، بعضها لا تدخّل للبشر فيه مثل الكوارث الطبيعية، وأحياناً تأتي الأزمة بسبب بعض السلوك البشريّ، وهذه الأخيرة قد تكون بسبب سوء الفهم أو عدم التخطيط أو تضارب المصالح أو عدم الخبرة وغيرها من الأسباب.

وفي الحلول للأزمات لابدّ من تحليل أسباب نشوء الأزمة حتّى يأتي الحلّ متناسباً مع السبب، وعليه فإنّ أسباب نشوء الأزمات تتعدّد وتتنوّع، فلكلّ أزمة ملامحها الخاصّة وكذلك أسبابها الخاصّة.

ولعل دراسة وتحليل كلّ أزمة على حدة تعد الوسيلة الفعّالة لتحديد أسبابها المباشرة وغير المباشرة، بيد أنّ ذلك لا يمنع من محاولة إيجاد مقاربة عامّة لأهمّ الأسباب المولّدة للأزمات.

وقد وقف العلماء على مجموعة من الحلول وهي:

-التخطيط: ويعني أن لا نحاول حلّ الأزمة بحلول مؤقّتة أو تكون عبارة عن ردود أفعال ناتجة من ضغط الأزمة ومحاولة للتخلّص من آثارها، بل لابدّ من دراسة نتائج تلك الحلول وأن لا تتسبّب بخلق أزمات جديدة أو فرعيّة على الأزمة الفعليّة، فتكون خطوات الحلّ مدروسة ومعلومة النتائج وموضوعة ضمن خطط ممنهجة، ولأنّ الأزمات تأتي من أخطاء بشريّة وإداريّة وقعت بسبب غياب القاعدة التنظيميّة للتخطيط فإن لم يكن لدينا خطط لمواجهة الأزمات فإنّ الأزمات سوف تنهي نفسها بالطريقة التي تريدها هي لا بالطريقة التي نريدها نحن.

من خلال ما تقدّم، يتّضح لنا أنّ التدريب على التخطيط للأزمات يُعدّ من المسلّمات الأساسيّة في المنظّمات الناجحة، فهو يساهم في منع حدوث الأزمة أو التخفيف من آثارها وتلافي عنصر المفاجآت المصاحب لها، أيضاً يتبيّن لنا أنّ التخطيط يتيح لفريق عمل إدارة

الأزمات القدرة على إجراء ردّ فعل منظّم وفعّال لمواجهة الأزمة بكفاءة عالية.

-استشراف المستقبل: بالنسبة للمجتمع أو المنظّمة أو المؤسّسة، ومن ضمنها توقّع الأزمات التي قد تطرأ وعمل إجراءات وقائيّة والتفكير بحلول منظّمة فيما لو وقعت الأزمة» ثبت صحّة الفرضية هذه القائلة بأنّ طبيعة ومستويات الجاهزيّة في المنظّمة تجاه الأزمات تتناسب طردياً مع واقع الاتّجاهات الوقائيّة أو العلاجيّة لدى العاملين في تلك المنظّمة. حيث ثبت التناسب الطرديّ بين الحلّ الوقائيّ للأزمات والقدرة على مواجهة الأزمات بمستوى جاهزيّة عالٍ»[٦].

-الإحاطة بما في المجتمع من مؤهّلات وإيجابيّات اقتصاديّة أو اجتماعيّة، والقدرة والرغبة في نفع المجتمع وتخليصه من أزمته، فإذا لم يكن عند الشخص إحاطة بصفات مجتمع وطبيعة تكوينه، لا يكون قادراً على إيجاد الحلول والمخارج لأزماته، فأحياناً تأتي الأزمة من عرف اجتماعيّ سائد أو من وضع ورؤية اقتصاديّة خاطئة أيضاً لابدّ من توفّر الرغبة والحبّ عند الشخص لمجتمعه حتّى يفكّر في أن يكون جزءاً من الحلّ لمشكلته.

المطلب الثاني/ مميّزات الإمام الحسن عليه السلام المؤهّلة لحلّ الأزمات:

أوّلاً/ أنّه من عائلة عرفت بالنجدة (وهي كما في المعاجم سرعة الإغاثة)، فمن الجدّ الأكبر الذي كان يهشم الثريد للناس في أزمة المجاعة « أُطلِق عليه اسم هاشم؛ لأنّه كان يَهَشِمُ -أي يكسر- الخُبزَ لأهل مكّة لصنع الثريد، وهو حساء من فُتات الخبز يُبَلُّ بالمرق، وذلك في سنة المجاعة»[٧] إلى الجدّ القريب الذي استسقي بوجهه طفلاً محمولاً على كتف جدّه، فقال عمّه[٨]:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه

ثمال اليتامى عصمةٌ للأرامل

إلى شابّ يتدخّل لحلّ أزمة وضع الحجر الأسود في مكانه، ويحكم بين الناس حتّى عرف بالصادق الأمين الحكم، فقد جاء في كتب السيرة أنّ الرسول محمداً صلى الله عليه وآله حين كان في الخامسة والثلاثين من عمره -أي قبل البعثة- أرادت قريش إعادة بناء الكعبة، فحصل خلاف أيُّهم يكون له فخر وضع الحجر الأسود في مكانه، حتّى كادت الحرب تنشب بينهم بسبب من ذلك.

وأخيراً جاء الاتّفاق على أن يحكّموا في ما بينهم أوّل من يدخل من باب الصفا، فلمّا رأوا محمداً أوّل من دخل قالوا: «هذا الأمين رضينا بحكمه»، ثمّ أنّهم قصّوا عليه قصّتهم فقال: «هلمَّ إليّ ثوباً» فأُتي به فنشره، وأخذ الحجر فوضعه بيده فيه ثمّ قال: «ليأخذ كبير كلّ قبيلة بطرف من أطراف هذا الثوب»، ففعلوا وحملوه جميعاً إلى ما يحاذي موضع الحجر من البناء، ثمّ تناول هو الحجر ووضعه في موضعه، وبذلك انحسم الخلاف[٩].

وصولاً إلى أبيه الذي كان ينتدبه النبيّ للأزمات فيلبّي رسول الله ﷺ حتّى عرف بكاشف الهمّ عن وجه رسول الله.

فالإمام الحسن عليه السلام هو ابن تلك الأسرة المعروفة بالتدخّل لحلّ الأزمات، فهو بالوراثة عنده هذه الحميّة، وبالتربية تلقّى حبّ مساعدة الناس والكرم والجود، حتّى عرف بكريم أهل البيت.

ثانياً/ أنّه وارث علم رسول الله ﷺ ذلك العلم الذي هو امتداد لعلم الأنبياء، وهو أيضاً ميراث البشريّة بمشكلاتها وحلول السماء لها، بيد أنّ تلك المشكلات والأزمات قد تتكرّر عبر التاريخ، وإن اختلف الزمان والمكان والأشخاص، فإنّ الأحداث تبقى متشابهة، وهذا ينفع في الإفادة من تلك التجارب، وطالما كان أهل البيت يشيرون إلى ذلك الجانب والخزين المعرفيّ عندهم، فنرى الإمام علياً يخبر ولده الإمام الحسن عليه السلام بقوله: « أي بنيّ، إنّي وإن لم أكن عمّرت عمر من كان قبلي فقد نظرت في أعمالهم، وفكّرت في أخبارهم، وسرت في آثارهم حتّى عدت كأحدهم، بل كأنّي بما انتهى إليّ من أمورهم قد عمّرت مع أوّلهم إلى آخرهم، فعرفت صفو ذلك من كدره، ونفعه من ضرره، فاستخلصت لك من كلّ أمر نخيله، وتوخّيت لك جميله، وصرفت عنك مجهوله، ورأيت حيث عناني من أمرك ما يعني الوالد الشفيق وأجمعت عليه من أدبك، أن يكون ذلك وأنت مقبل العمر ومقتبل الدهر، ذو نيّة سليمة ونفس صافية، وأن أبتدئك بتعليم كتاب الله وتأويله، وشرائع الإسلام وأحكامه، وحلاله وحرامه، لا أجاوز ذلك بك إلى غيره»[١٠].

فالإمام علي عليه السلام يشير إلى وراثته لعلوم السابقين وخلاصة تجاربهم بإيجابيّها وسلبيّها، وأنّه يورّثها لابنه الإمام الحسن، وهذا يعطيه أهليّة إضافيّة، وهي خبرة حلّ الأزمات التي سبق

وأن ابتليت البشريّة بمثلها، ويجعله أيضاً عارفاً بالحلول غير المجدية فيتجنّبها، ويذهب مباشرة إلى أنجع الحلول للأزمة.

ثالثاً/ أنّه خاض مجموعة تجارب لحلّ أزمات في زمان جدّه وزمان أبيه (صلّى الله عليهما)، فعنده ذخيرة معرفيّة متراكمة من التجارب السابقة مع المجتمع وطبيعته أو مع الأحداث وحلولها الناجعة.

رابعاً/ منزلته بين المسلمين بوصفهِ سبط رسول الله صلى الله عليه وآله وإماماً بنصّ رسول الله إذ قال: (الحسن والحسين إمامان قاما وإن قعدا)، وهذا الحديث كان يحتجّ فيه الإمام الحسن عليه السلام في الخصومات، فقد روى الصدوق قال حدّثنا علي بن أحمد [ابن محمد]، عن محمد بن موسى بن داود الدقّاق، عن الحسن بن أحمد بن الليث، عن محمد بن حميد، عن يحيى بن أبي بكير قال: حدّثنا أبو العلاء الخفّاف، عن أبي سعيد عقيصاً قال: قلت للحسن بن علي ابن أبي طالب عليهما السلام: يا ابن رسول الله، لم داهنت معاوية وصالحته، وقد علمت أن الحق لك دونه وأن معاوية ضال باغ؟ فقال: يا با سعيد ألست حجّة الله تعالى ذكره على خلقه، وإماماً عليهم بعد أبي عليه السلام؟ قلت: بلى، قال: ألست الذي قال رسول الله صلى الله عليه وآله لي ولأخي: الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا؟ قلت: بلى، قال: فأنا إذن إمام لو قمت، وأنا إمام إذا قعدت[11].

ومن الواضح أنّ من يصلح أن يكون إماماً للمسلمين هو الأجدر بحلّ جميع أزمات الأمّة.

خامساً/ أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أخبر عن السماء بأنّ الإمام الحسن عليه السلام عنده أهليّة إدارة الأزمات والقدرة على الخروج بنتائج إيجابيّة، فقد ورد في الحديث الشريف « عن عبد الله بن بريدة عن ابن عباس قال: انطلقت مع رسول الله صلى الله عليه وآله فنادى على باب فاطمة ثلاثاً، فلم يجبه أحد، فمال إلى الحائط فقعد فيه، وقعدت إلى جانبه فبينا هو كذلك إذ خرج الحسن بن علي قد غسل وجهه وعلّقت عليه سبحة قال: فبسط النبيّ يديه ومدّهما ثمّ ضمّ الحسن إلى صدره وقبله وقال: إنّ ابني هذا سيّد، ولعلّ الله عزّوجلّ يصلح به بين فئتين من المسلمين»[12].

المبحث الثاني/ الأزمات التي عاصرها الإمام الحسن عليه السلام

المطلب الأوّل: الأزمة الاقتصاديّة

عندما يحكم أيّ أمّة من لا يمتلك المؤهّلات فإنّ جملة من الأزمات سوف تعصف بهم أهمّها ضياع مواردها الاقتصاديّة، وتسود فيها حالة الفقر.

لقد توالى على الأمّة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله مجموعة حكّام أقلّ مايمكن ان يوصفوا به هو المحاباة والعنصريّة، فالعربيّ يميّز عن غيره بالعطاء، والأقرب يفضّل على ابن قبيلة أخرى، وقد وصف الإمام علي ما وصل إليه الأمر في خلافة عثمان في خطبة له بقوله «إلى أن قام ثالث القوم نافجاً حضنيه، بين نثيله ومعتلفه، وقام معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضم الإبل نبتة الربيع، إلى أن انتكث فتله، وأجهز عليه عمله، وكبت به بطنته»[١٣].

ويقول طه حسين واصفاً تلك المرحلة المؤلمة من واقع الأمّة« قد ساهم كلّ من عمر بن الخطّاب وعثمان بن عفّان في تكوين هذه الدولة، فعمر هو الذي أعطى ولاية أهمّ موقعين إسلاميّين لأخوين من بني أميّة، ثمّ جعل من سلطة معاوية سلطة شبه مطلقة عندما نصبه والياً على الأردن والشام ثمّ تحوّلت هذه السلطة من شبه مطلقة إلى مطلقة في عهد عثمان بن عفّان بقول طه حسين: «وليس مِن شكّ في أنّ عثمان هو الذي مهّد لمعاوية ما أتيح له من نقل الخلافة ذات يومٍ إلى آل أبي سفيان وتثبيتها في بني أميّة، فعثمان هو الذي وسّع على معاوية في الولاية، فضمّ إليه فلسطين وحمص، وأنشأ له وحدة شاميّة بعيدة الأرجاء، وجمع له قيادة الأجناء الأربعة، فكانت جيوشه أقوى جيوش المسلمين، ثم مدّ له في الولاية أثناء خلافته كلّها كما فعل عمر، وأطلق يده في أمور الشام أكثر ممّا أطلقها عمر، فلمّا كانت الفتنة نظر معاوية فإذا هو أبعد الأمراء بالولاية عهداً وأقواهم جنداً وأملكهم لقلب رعيّته»[١٤].

ويؤكّد جرجي زيدان ذلك: «اختار الصحابة عثمان بن عفّان وهو من بني أميّة، ولا يخلو فوزهم بهذا الانتخاب مِن دسيسة أمويّة، وكان عثمان ضعيفاً يؤثر ذوي قرابته في مصالح الدولة، فاغتنم الأمويّون ضعفه وتولّوا الأعمال واستأثروا بالأموال»[١٥].

وقد تصدّى الإمام الحسن لهذه الأزمة بجانبها الاقتصاديّ بإمداد الأمّة بجميع ما يملك لعدّة مرّات في حياته، ولنصف ما يملك في مرّات أخرى، وقاسم الله تعالى ماله ثلاث مرّات، فتصدّق بنصفه حتّى كان يتصدّق بنعل ويمسك نعلاً، وخرج من ماله كلّه مرّتين[١٦].

هذا غير بابه المفتوح لإطعام وكسوة جميع من يقصده سائلاً من الناس، حتّى عرف بكريم أهل البيت، فهو لم يردّ سائلاً قطّ، روى المجلسيّ أنّه:(وقف رجل على الحسن بن علي عليهما السلام فقال: يا ابن أمير المؤمنين، بالذي أنعم عليك بهذه النعمة التي ما تليها منه بشفيع منك إليه، بل إنعاماً منه عليك، إلّا ما أنصفتني من خصمي فإنّه غشوم ظلوم، لا يوقّر الشيخ الكبير، ولا يرحم الطفل الصغير، وكان متّكئاً فاستوى جالساً وقال له: من خصمك حتّى أنتصف لك منه؟ فقال له: الفقر، فأطرق عليه السلام ساعة ثمّ رفع رأسه إلى خادمه وقال له: أحضر ما عندك من موجود، فأحضر خمسة آلاف درهم فقال: ادفعها إليه، ثمّ قال له: بحقّ هذه الأقسام التي أقسمت بها عليّ متى أتاك خصمك جائراً إلّا ما أتيتني منه متظلّماً»[١٧].

فإذا كان الحكّام مستبدّون وسفهاء في إدارة موارد الأمّة الاقتصاديّة، فإنّ الإمام الحسن عليه السلام، يواجه ذلك بصرف موارده الكثيرة (صدقات علي وأوقافه) على عامّة المسلمين ليخفّف من حدّة الأزمة، فضلاً عن إرشاد الناس إلى سبل كسب المال وسدّ النقص الموجود في الخدمات الاجتماعيّة (تنمية الموارد البشريّة)، وتشجيع أهل بيته وأصحابه والمسلمين عامّة على الانفاق في سبيل الله وسدّ حاجة الفقراء.

المطلب الثاني / الأزمة المعرفيّة:

ابتدأ المنافقون من الأيّام الأخيرة لحياة رسول الله صلى الله عليه وآله بحملة محاربة حديث رسول الله، فقالوا في حضرة النبيّ وباجتماع عدد من الصحابة (حسبنا كتاب الله) في إشارة واضحة إلى إقصاء حديث النبيّ عن الساحة الاسلاميّة[١٨].

ثمّ وبعد رحيل النبيّ صلى الله عليه وآله ونجاح انقلاب السقيفة، والعمل بنظرية الشورى كبديلٍ عن النصّ على الخليفة من السماء، كان من أهمّ قرارات تلك الحكومة منع تداول حديث رسول الله وتدوينه، بل وكان بعض الصحابة يمحو ويحرق ما يقع بين يديه من رقاع كتب فيها

أحاديث نبويّة (بحجّة الخوف من اختلاطها بالقرآن)[١٩] الأمر الذي أنتج تفسيرات خاطئة لمجموعة من المفاهيم الاسلاميّة، ومع مرور الوقت صارت هناك أزمة معرفيّة بين المسلمين أدّت إلى صراعات واقتتال داخليّ.

وسوف نأخذ مثالاً واحداً على هذه الأزمة:

– مفهوم الإمامة: وهو من المفاهيم الاسلاميّة (القرآنيّة) المهمّة، وقد تعرّض له القرآن الكريم في آيات، وبيّن خصائصها وشروط اختيار الإمام ، بينما نجد أنّ الأمّة باتت تختلف في فهم المقصود من هذا المفهوم، ولا سيما في زمن إمامة الإمام الحسن ﷺ، وما جرى في أثناء استعداده لمواجهة جيوش الشام بقيادة معاوية من تخاذلٍ وانكسارٍ إلّا نتيجة ذلك.

فإذا رجعنا إلى تعريف الإمامة عند بعض الفرق الإسلاميّة نفهم حقيقة الأزمة المعرفيّة والضياع المفهوميّ.

عرّفها الماورديّ« الإمامة موضوعة لخلافة النبوّة في حراسة الدين وسياسة الدنيا به»[٢٠].

وعرّفها الجوينيّ« الإمامة رياسة تامّة، وزعامة تتعلّق بالخاصّة والعامّة في مهمّات الدين والدنيا»[٢١].

يتّضح من هذين التعريفين أنّ الإمامة عند أهل السنّة ليست ركناً في الدين ولا أصلاً من أصوله، وإنّما وضعت لرجل يخلف النبيّ ويحرس الدنيا بالدين، فهي نحو قيادة للناس من لدن رجل من المسلمين يتّفقون عليه، لا يشترط فيه العصمة ويجوز مخالفته؛ لأنّه فرد من المسلمين معرفته بالشريعة لا تختلف كثيراً عن معرفتهم.

أمّا تعريف الإمامة عند شيعة أهل البيت ﷺ فهي« نعتقد أنّ الإمامة أصل من أصول الدين لا يتمّ الإيمان إلّا بالاعتقاد بها، ولا يجوز فيها تقليد الآباء والأهل والمربّين مهما عظموا وكبروا، بل يجب النظر فيها كما يجب النظر في التوحيد والنبوّة»[٢٢].

وعرّفها بعضهم « رئاسة عامّة إلهيّة لشخصٍ من الأشخاص خلافةً عن رسول الله ﷺ في أُمور الدين والدنيا، ويجب اتّباعه على جميع الأُمّة»[٢٣].

وعليه فالإمامة عند الشيعة هي باختيارٍ من الله لشخصٍ فيه الأهليّة لقيادة الأمّة وهي العصمة،

والزهد في الدنيا، ويجب على الناس طاعته وعدم مخالفته؛ لأنّه وليّ أمورهم من الله تعالى.

فالإمام الحسن عليه السلام لما شاهد أزمة الأمّة في عدم معرفة حقيقة الإمامة، واجه الأزمة بالتراجع بالناس خطوة إلى الوراء لبناء المجتمع معرفيّاً، وتأصيل هذا المفهوم وغيره في وجدان الأمّة المعرفيّ، فليست المواجهة دائماً هي طريق الحلّ، في وقتٍ تكون عامّة الناس قد اختلطت عليها أمور الدين بالدنيا، فقد خصّص الإمام الحسن عليه السلام السنين الأخيرة من حياته لتصحيح مسار الأمّة المعرفيّ.

المطلب الثالث/ الأزمة السياسيّة والعسكريّة:

تنشأ الأزمة السياسيّة من أسباب عديدة:

منها: تنازع أطراف مختلفة في الأيدولوجيّات على السلطة، وفي النظام الاسلاميّ، اختلف المسلمون بعد رسول الله صلى الله عليه وآله على طريقة وصول من يحكم المسلمين ويلي أمورهم، على الرغم من أنّ السماء بيّنت ذلك في نصوص كثيرة والنبيّ وبأمرٍ من الله بيّن ذلك وحدّد من هو ولي المسلمين والحاكم عليهم وهو الإمام ، وأنّ الأئمّة والأوصياء والخلفاء اثنا عشر، أوّلهم الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ثمّ يشير كلّ واحد منهم إلى الإمام والوليّ من بعده.

ولكنّ الانشقاق الذي حصل بعد النبيّ أفرز مجموعة نظريّات بشريّة، ولّدت الحكم الأمويّ الذي صنع معاوية بن أبي سفيان.

وبعد شهادة الإمام علي عليه السلام، واستمرار معاوية باعتدائه على بعض المسلمين وابتزازهم، قرّر الإمام الحسن عليه السلام التصدّي له وأعدّ جيشاً لذلك، وبالمقابل أرسل معاوية طلائع جيشه، فنشأت أزمة سياسيّة عسكريّة بين الطرفين.

واشتدّت الأزمة لّما استعمل معاوية سياسة الخديعة والمكر في شراء ذمم بعض طلائع جيش الإمام المتقدّمة بالمال، وتشكيك الجيش القريب من مخيّم القيادة بالإمام الحسن عليه السلام، روى الشيخ المفيد: «وكان الإمام الحسن قد أنفذ مع عبيد الله بن العبّاس عند مسيره من الكوفة قيس بن سعد، ليلقى معاوية فيردّه عن العراق، وجعله أميراً على الجماعة وقال: إن أصبت فالأمير قيس بن سعد، فوصل كتاب ابن سعد بعد مدّة إلى الإمام الحسن، يخبره أنّهم نازلوا

معاوية بقرية يقال لها (الحبونيّة) بإزاء مسكِن، وأنّ معاوية أرسل إلى عبيد الله بن العبّاس يرغّبه في المصير إليه، وضمن له ألف ألف درهم، يعجّل له منها النصف، ويعطيه النصف الآخر عند دخوله الكوفة، فانسلّ عبيد الله بن العبّاس في الليل إلى معسكر معاوية في خاصّته، وأصبح الناس قد فقدوا أميرهم، فصلّى بهم قيس رضي الله عنه ونظر في أمورهم.

فبان خذلان القوم له، وفساد نيّاتهم بما أظهروه له من السبّ والتكفير واستحلال دمه ونهب أمواله، ولم يبق معه من يأمن غوائله إلّا خاصّة من شيعته وشيعة أبيه أمير المؤمنين ﷺ، وهم جماعة لا تقوم لأجناد الشام»[٢٤].

وهنا صار المسلمون في أزمة كبيرة، أمّا سياسيّاً فالوضع مربك والنزاع قائم بين المعسكرين، وأمّا عسكريّاً فالقتال بدأت بوادره، ولكنّ الإمام الحسن ﷺ أدرك حقيقة الأزمة وهي فقدان الأمّة للوعي بمعنى الإمامة الإلهيّة، ووصولها إلى درجة المساواة بين الخليفة الشرعيّ للنبيّ وهو الإمام ﷺ وبين الطليق ابن الطليق.

وهذا التشخيص في وقت الأزمة واحتدامها من الإمام الحسن ﷺ لهو خير دليل على إمامته وأنّه ينظر بنور الله وبتسديد إلهيّ، فلم ينظر إلى نفس الساحة والواجب الوقتيّ بمقدار ما نظر إلى حال الأمّة في عدم التمييز بين الحقّ والباطل، والفهم الخاطئ لمفاهيم إسلاميّة مهمّة، فبادر إلى الأهمّ، وهو تصحيح مسار الأمّة المعرفيّ، ولو تنازل عن المواجهة مع الخصم في حينها، فالقضيّة كانت تقديم الأهمّ على المهمّ منه ﷺ.

لذلك قرّر مهادنة معاوية على شروط محدّدة معلومة، وإيقاف الحرب، للرجوع خطوة إلى الوراء لإعادة بناء الصفّ الإسلاميّ الواعي، العارف بالقرآن وعدله من عترة النبيّ الأكرم ﷺ.

وقد ظهر ذلك جليّاً في مجموعة تصريحات للإمام عن سبب الهدنة مع معاوية، وقراءة بعض المؤمنين لها، التي كانت تكشف عن عمق الشرخ الفكريّ العقديّ من جهة، وعن دقّة وصواب رأي الإمام في الهدنة والتراجع للبناء من جهة أخرى[٢٥].

فالإمام ﷺ وضع لتلك الأزمة حلًّا، لم يكن ليأتي على ذهن أحدٍ من المسلمين، وفي وقتٍ احتدم الصراع والقتال استطاع أن يعيد الأمر إلى الهدوء والاستقرار، الذي يقدّم لعامّة الناس

السكينة والأمان، وللعلماء المخلصين فرصة تصحيح مسار الأمّة الفكريّ، سيّما ومعاوية كان بعيداً عن مصادر الفكر الاسلاميّ، فهو في الشام وولاته مشغولون بمطامعهم الدنيويّة، فهو عصر ذهبيّ لتخليص الأمّة من براثن انقلاب السقيفة وما خلّفه.

الخاتمة ونتائج البحث:

لقد مرّت الأمّة بعد الرسول صلى الله عليه وآله بعدّة أزمات، منها: الأزمة الاقتصاديّة والأزمة المعرفيّة العقديّة والأزمة السياسيّة.

ولقد عاصر الإمام الحسن عليه السلام في مدة إمامته ما بين سنة ٤١ هـ إلى سنة ٥٠ هـ، ولقد أسهمت منزلة الإمام الحسن عند الأمّة وسماته الشخصيّة ومنزلته العلميّة ووعيه بتجارب الماضين بأن شخّص عليه السلام أسباب تلك الأزمات وحلّلها، وقد واجه كلّ واحدة من تلك الأزمات بما يتناسب مع أسباب نشوئها، فلم تكن الحلول التي قام بها الإمام الحسن عليه السلام لتلك الأزمات بعيداً عن أسبابها، لتكون تلك الحلول تامّة وغير جزئيّة أو وقتيّة.

وهنا مجموعة من الأمور استنتجها الباحث من خلال ما مرّ سابقاً، وهي:

١- للإمام الحسن عليه السلام سمات عديدة أسهمت في مواجهة الأزمات، منها: وراثته لعلوم الأنبياء ولعلوم أبيه أمير المؤمنين عليه السلام، ومنها: أنّه الإمام المختار والمصطفى للإمامة الإلهيّة، وأنّه من عائلة عُرفت بالنجدة والحميّة في مساعدة الناس وحلّ الأزمات، وجوده وكرمه ورغبته الذاتيّة في مساعدة أهل الحاجة من المسلمين.

٢- واجه الإمام الحسن عليه السلام الأزمة الاقتصاديّة بصرف وارداته الماليّة وإرث العائلة السنويّ من صدقات الإمام علي عليه السلام والبساتين الوقفيّة على الناس، كما وكان يشجّع الهاشميّين وأصحابه وأشياعه على بذل أقصى ما يستطيعون في مساعدة المجتمع لتخطّي أزمته الاقتصاديّة، بسبب إسراف الحكّام، أو عدم عملهم بالنظام الاقتصاديّ الإسلاميّ الواعي والنافع.

٣ـ تصدّى عليه السلام للأزمة المعرفيّة بنشر معارف الإسلام الأصيل وبيان معاني بعض المفاهيم الإسلاميّة، كالإمامة وأنّها ليست مجرّد رياسة دنيويّة ومنصب يمنحه المجتمع أو بعض المتنفّذين لشخص منهم، بل هي منصب إلهيّ يأتي بعد نجاح الفرد في الامتحان الإلهيّ.

٤- لقد أدرك الإمام الحسن ﷺ أنّ منشأ الأزمة السياسيّة مع الأمويّين ومعاوية وأهل الشام هو الخطأ المعرفيّ والضلال العقائديّ، فقرّر التصدّي لها ببناء جماعة صالحة يقع على عاتقها توعية الأمّة، وتشكيل جيشٍ من الصحابة والتابعين لردع الشبهات والإعلام الأمويّ المضلّل، ممّا يخفّف من الاحتقان السياسيّ؛ لأنّ المجتمع سوف يعي معنى الإمامة الإلهيّة ويميّز بينها وبين رياسة دنيويّة جاءت بواسطة قرارات من أشخاص غير معصومين.

٥ ـ مهما شهدت حياة الأمّة من أزمات، فوجود المعصوم ﷺ أو من ينوب عنه بالنيابة العامّة كفيل بإيجاد الحلول لها، وفي هذا العصر نحن نرى كيف أنّ المرجعيّة الدينيّة تقف مع الشعوب في جميع أزماتها وتأتي بالحلول التامّة والقطعيّة لإنهاء تلك الأزمات مهما كانت كبيرة.

الهوامش

١-سورة التوبة، آية ٦٧

٢-سورة المنافقون، آية ١-٢-٣ .

٣-ابن منظور / لسان العرب ١٢:١٦ .

٤-صباح الراشد، الأمّة بين الأزمات والحلول: ١٥٣ .

٥-ستيف ألبرت (Steve Albert) في كتابه إدارة الأزمات .

٦- دراسة للأعرجيّ عاصم محمد ، بعنوان إدارة الأزمات بين (الوقائيّة والعلاجيّة): دراسة مسحيّة في المصارف الأردنيّة.

٧-ابن الأثير / الكامل في التاريخ ١/ ١٧ .

٨-المجلسّي، محمد باقر/ بحار الأنوار: ٢٢/ ٤٧٠ .

٩-عبد السلام ، هارون/ تهذيب السيرة لابن هشام: ٥٥ .

١٠-نهج البلاغة: ٣/ ٤١ .

١١-الصدوق، محمد بن علي القمّيّ / علل الشرائع:١/ ٢٠٠ .

١٢-البخاريّ، محمد بن إسماعيل / صحيح البخاريّ، تحقيق: محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ .

١٣-ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة:١/ ١٩٧ .

١٤-المصدر نفسه .

١٥-جرجي زيدان/ تاريخ التمدّن الاسلاميّ:٣/ ٣٣٢.

١٦-الأصبهانّي أبو نعيم أحمد بن عبد الله ، حلية الأولياء:٢/ ٣٧. المترجم: مصطفى عبد القادر عطا ، المحقّق ; دار الكتب العلميّة – بيروت – لبنان .

١٧-المجلسّي، محمد باقر، البحار:٤٣/ ٣٥٠.

١٨-انظر رزيّة الخميس ... البيهقيّ / السنن الكبرى:٩/ ٢٠٧ ، مسلم بن الحجّاج / صحيح مسلم ـ كتاب الوصيّة، ابن سعد / الطبقات الكبرى:٢/ ٢٤٢.

١٩-ينظر الشيعة وفنون الإسلام، حسن الصدر:٤٤.

٢٠-الماورديّ لأبي الحسن/ الأحكام السلطانيّة والولايات الدينيّة:٣، ط١، تحقيق: الدكتور أحمد مبارك البغداديّ، مكتبة دار ابن قتيبة، الكويت ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م.

٢١-لإمام الحرمين أبي المعالي الجوينيّ/ غياث الأمم في التياث الظلم:١٥، تحقيق: الدكتور مصطفى حلمي، الدكتور فؤاد عبدالمنعم أحمد، يُنشر لأوّل مرّة عن أربعة مخطوطات، دار الدعوة بالاسكندريّة– مصر.

٢٢-المظفّر، محمد رضا/ عقائد الإماميَّة:٧٣، تاريخ الطبعة:١٤٢٢هـ بدون رقم، مركز الأبحاث العقائديّة بإيران.

٢٣-انظر: الأشتيانّي ميرزا أحمد / لوامع الحقائق ، مبحث الإمامة.

٢٤-المفيد محمد بن محمد النعمان ، الإرشاد:٢/ ١٣ .

٢٥-موسوعة كلمات الإمام الحسن عليه السلام – لجنة الحديث في معهد باقر العلوم عليه السلام: ١٧٨ .

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم
* ابن أبي الحديد المعتزليّ / شرح نهج البلاغة، ط٣، دار الصادقين، لبنان ٢٠٠٥ م.
* ابن الأثير محمد بن محمد الجزريّ / الكامل في التاريخ، ط١، تحقيق: عمر عبد السلام.
* ابن سعد محمد بن منيع / الطبقات الكبرى، ط١، دار الكتب العلميّة، بيروت- لبنان ١٩٩٠ م .
* ابن منظور محمد بن مكرم / لسان العرب، ط١، دار صادر، بيروت، لبنان ١٤١٤هـ .
* أبو المعالي الجوينيّ / غياث الأمم في التياث الظلم، تحقيق: الدكتور مصطفى حلمي، الدكتور فؤاد عبدالمنعم أحمد، يُنشر لأوّل مرّة عن أربعة مخطوطات، دار الدعوة بالاسكندريّة- مصر .
* أحمد بن حنبل / المسند، ط٢، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٣م .
* الاشتيانيّ ميرزا أحمد / لوامع الحقائق، ط١، الناشر: دار المعرفة بيروت لبنان ١٩٧٩.
* الأصبهانيّ أبو نعيم أحمد بن عبد الله / حلية الأولياء، ط٣، المترجم: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلميّة - بيروت - لبنان .
* الأعرجيّ عاصم محمد ، إدارة الأزمات بين (الوقائيّة والعلاجيّة): دراسة مسحيّة في المصارف الأردنيّة.
* البخاريّ محمد بن إسماعيل / صحيح البخاريّ، تحقيق: محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى،١٤٢٢هـ .
* البيهقيّ أحمد بن الحسن / السنن الكبرى، ط٣، الناشر: دار الكتب العلميّة، ٢٠٠٧.
* جرجي زيدان/ تاريخ التمدّن الاسلاميّ، ط١، الناشر: دار مكتبة الحياة، بيروت ١٩٩٢.
* ستيف ألبرت (Steve Albert)، إدارة الأزمات.
* صباح الراشد / الأمّة بين الأزمات والحلول، ط١، دار المحجّة البيضاء، بيروت ٢٠١٥ م.
* الصدوق محمد بن علي القمّيّ/ علل الشرائع، ط١، دار الأمين، بيروت، لبنان، ٢٠٠٧م.
٤ـ نهج البلاغة، خطب الإمام علي، الشريف الرضيّ، دار الأسوة، لبنان، ٢٠٠٩ .
* عبد السلام هارون/ تهذيب السيرة لابن هشام . ط٤ ، مؤسسة الرسالة ١٩٩٧ م .
* المازندراني محمد بن صالح ت ١٠٨١هـ / شرح أصول الكافي، مؤسّسة التاريخ العربيّ، الطبعة الثانية.
* الماورديّ لأبي الحسن / الأحكام السلطانيّة والولايات الدينيّة، ط١، تحقيق: الدكتور أحمد مبارك البغداديّ، مكتبة دار ابن قتيبة، الكويت، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
* المجلسيّ محمد باقر/ بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمّة الأطهار عليهم السلام، مؤسّسة الوفاء، دار إحياء التراث العربيّ بيروت - لبنان .
* مسلم بن الحجّاج / صحيح مسلم، كتاب الوصيّة، ط٣، تحقيق: محمد فؤاد، دار إحياء التراث، بيروت، لبنان .
* المظفّر محمد رضا/ عقائد الإِمَامِيَّة، تاريخ الطبعة:١٤٢٢هـ بدون رقم، مركز الأبحاث العقائديّة بإيران.
* المفيد محمد بن محمد النعمان ، الارشاد، ط٢، مؤسّسة آل البيت لتحقيق التراث ١٩٩٣ م.
* موسوعة كلمات الإمام الحسن عليه السلام - لجنة الحديث في معهد باقر العلوم عليه السلام.

خصائص معالم التوحيد عند الإمام الحسن عليه السلام

- دراسة تحليليّة -

الشيخ رسول مالك الدجيليّ

ملخص البحث

إنّ التعرّف على هويّة الخالق ذاتاً وصفاتاً واجب عقلاً وشرعاً؛ لأنّ: (أوّل الدّين معرفته) كعقيدة، وانطلاقاً من هذا الأمر اقتضت الضرورة العقليّة التعرّف على حقيقة وحدة ذاته تعالى – التي أشار إليها الإمام الحسن عليه السلام بقوله: «الحمد لله الواحد بغير تشبيه»، وقد اتّضح خلال البحث أن وحدة ذاته تعالى ليست من قبيل الوحدة الجنسيّة، أو النوعيّة، أو العدديّة؛ لاشتمالها على المحدوديّة والانتهاء، والحاجة والافتقار إلى من يحصّل وجودها خارجاً إلى العلّة، فتكون مسبوقة بالعدم، مع أنه تعالى غنيّ ذاتاً، ليس لأوّليّته ابتداء، ولا لآخريّته انتهاء، بل وحدة ذاته تعني: ((أَنَّهُ لا يَنقَسِمُ في وُجود ولا عَقل ولا وَهم، كَذلِكَ رَبُّنا عزّ وجلّ))، أي أنّه تعالى مجرّد الذات لا يحسّ، ولا يجسّ ولا يلمس بمعنى أنّه: ((هُوَ وَاحِدٌ وَاحِدِيُّ الذَّاتِ، بَائِنٌ مِنْ خَلْقِه))؛ لأنّ ((تَوحيدُهُ تَمييزُهُ مِن خَلقِهِ)) ذاتاً وصفاتاً، وقد بيّنّا من خلال البحث أنّ وحدة ذاته تعالى تستلزم نفي التشبيه عنه؛ لأنّ القول به يستلزم الكفر والشرك بالله العظيم، بل والحكم بنجاسة من يعتقد بذلك شرعاً، ولأجل هذا قال عليه السلام: «الواحد بغير تشبيه»، وكذا وجدناه عليه السلام منبّهاً على امتناع إيقاع الحدّ عليه، سواء أكان بالجنس والفصل، أو المادّة والصورة؛ لأنّ ذوات المخلوقين إنّما تُعرف بالحدود والنواقص، وأنّ ذاته تجلُّ عن الحدّ المستلزم للنقص؛ ولهذا امتنع أن يكون لذاته سبحانه لها جنساً، أو نوعاً، أو فصلاً، أو مادّة أو صورة، واتّضح لنا أنّ الإمام الحسن عليه السلام يشير إلى أنّ صفاته تعالى لا تشبه صفات المخلوقين؛ إذ صفاته تعالى عين ذاته ليست منحازة عنه، أو عارضة عليه، أو مكتسبة من غيره؛ لأنّه تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾؛ فإنّ نفي مثله يستلزم عقلاً أن لا مثل له لا في ذاته ولا في صفاته بداهة.

المقدّمة

ما زالت صوابيّة الموقف - من الاعتقاد الصحيح و العقيدة الصائبة المجرّدة من الريب والشكوك ولبوس الأوهام - يتردّد أمرها بين الإفراط حيناً، والتفريط حيناً آخر، مع أنّ وضوح أعلامها، ونصاعة مباديها لائحة بيّناتها بيضاء مسفرة لكلّ ذي عينين، شأنها في الوضوح والظهور كالنور على الطور.

ولكن مع كلّ ذلك نجد هناك من يغمض عينيه عن رؤية تجلّيات نور الحقيقة، ويصمّ أذنيه عن صوت الحقّ المجلجل عالياً إيثاراً لظلمة العمى على نور الهدى، وما يدرينا فلعلّه ابتغاء للفتنة، فعسى أن يجني من حطام الدنيا الذي أمرها في معرض الزوال والانتقال شيئاً.

فقد زعم بعض من لا حريجة له في أمر الدين - ممّن يثبت له التشبيه[1] - تارة بأنّ الله تعالى ينزل على حمارٍ في صورة غلام أمرد، في رجليه نعلان من ذهب، وعلى وجهه فراش من ذهب يتطاير[2].

وأخرى يُثبت له صعوداً إلى السماء، ونزولاً إلى الأرض[3]، أو أنّ النار تزفر، وتتغيّظ تغيّظاً شديداً، فلا تسكن حتّى يضع قدمه فيها فتقول: قطّ قطّ[4]، إلى غير ذلك ممّا ينبو عن ذكره سمع السميع، وممّن ينبغي أن يهابه ذي الحياء والدّين.

ومن المعلوم أنّ هذا ليس هو ربّنا الذي وصف نفسه بقوله: ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ** ﴾[5]، ﴿**وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا**﴾[6]، و﴿ **لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**﴾[7]، بل هو ربّ موهوم اصطنعته الأوهام، ورسمته الأذهان بأوصاف البشر.

ومن أجل هذا ونحوه، انبرى أهل البيت -عليهم صلوات الله جميعاً- ينافحون ويدافعون في الذّب عن نقاء العقيدة الحقّة تصحيحاً للمسار السليم لمبادئ التوحيد، ودفعاً للشبهات التي قد تعتلج بعض الصدور السقيمة، وتطهيراً للقلوب من رجس العقائد العليلة، أملاً منهم لرفع غوامض التفكير المعوج الذي زاغ وانحرف عمّا رسمته ووضّحته بيّنات الوحي في القرآن الكريم، والسنّة القطعيّة المطهّرة.

وبدورنا سنسلّط الضوء حول مَعْلَم من المعالم الأساسيّة في سيرة الإمام الحسن ﷺ، وهو (التوحيد) بدراسة أبرز معالمه وخصائصه وآثاره دراسة تحليليّة فاحصة.

مشكلة البحث

إنّ مشكلة البحث وما يدور في فلك أروقتها هو أنّ البُعد العقديّ لم يُفهم فهم تعقّل ودراية - تقوم على أسس متينة وضوابط قويمة في المنهج العلميّ والموضوعيّ - عند جلّ الفرق الإسلاميّة، وإنّما يتخبّطون في ظلمات التيه و الضلال، لا يبصرون طريق الحقّ والرشاد، أي أنّهم لم يلجأوا في فهم الدين إلى حصن حصين، أو كهف رفيع تستريح له أنفسهم وهم على درجة عالية من رسوخ الاعتقاد الصائب.

أهمّيّة البحث

تكمن أهمّيّة البحث في البعد العقديّ -فيما إذا كان مأخوذاً من منابعه الصافية- هو أنّ الاعتقاد السليم والصحيح بالخالق وصفاته تجعل المعتقد بعيداً عن الأوهام والخرافة، وأنّ تمام التبصّر في معارف الدين يلزم أن يكون بالتعقّل لا بالأوهام؛ لأنّ فهم الدين وإدراكه موقوف عليه.

وعلى هذا فمن كان له عقل كان له دين، وهذه هي النتيجة التي نصل إليها بكلّ بساطة، أمّا من كان اعتقاده قائماً على أوهامه فهو لا محالة يعبد ربّاً غير الذي خلقه؛ إذ الوهم والموهوم إنّما يتعلّق بالمحسوسات، والله تعالى لا يحسّ ولا يجسّ ولا يلمس بالحواس الخمس.

أهداف البحث

إنّ من أهمّ الأهداف التي حفّزت على البحث في الجانب العقديّ عند الإمام الحسن ﷺ - هو تسليط الضوء على بعض ما يمكن إضاءته - على الجوانب المشرقة والصفحات المضيئة للإمام الحسن ﷺ في الجوانب الفكريّة والعقديّة؛ لأنّ البحث من هذه الزاوية - شرحاً وتوضيحاً والغوص في فهم معاني كلماته يُعدّ ركناً ركيناً يلجأ إليه في فهم الدين أصولاً وفروعاً، ومساهماً في إرساء أعمدة شريعة سيّد المرسلين ﷺ.

التمهيد

من المستحسن أن نعطي بعض الإضاءات والتوضيحات من باب التمهيد والتوطئة للدخول في أروقة البحث، وذلك من خلال الجانبين الآتيين:

أوّلاً: أهمّيّة العقيدة الصحيحة

إن التعرّف والتحرّي عن العقيدة الصحيحة أمر لازم عقلاً ضرورة؛ لأنّ تمييز محقّها عن مبطلها وصحيحها عن سقيمها يؤسّس لعدّة أمور نجملها ضمن الأمور الآتية:

١- إنّ سلامة العقيدة السليمة القائمة على نهج قويم، وأساس سليم، ومجرّدة من شوائب النقص المتأثّر بنسج الخيال والأوهام أمر واجب شرعاً وعقلاً؛ لوضوح أنّ العقيدة هي أصل الدين، كما وضّح سيّد الموحّدين أمير المؤمنين عليه السلام: «**أوّل الدّين معرفته**»[٨]، وأساس دعوة المرسلين، قال تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ**﴾[٩].

وعلى هذا، فينبغي التمييز بين الأصيل الذي هو من أصل الدّين، وبين الدخيل الذي ينسب إليه كذباً وافتراء، أو اشتباهاً وتوهّماً على تقدير حسن الظنّ بهم.

٢- إنّ فساد العقيدة يستلزم بداهة فساد الإيمان و خراب القلب، وما في قوله تعالى: ﴿**يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ**﴾[١٠] إيماءٌ واضح، وإذا خرب القلب صار بيتاً لعمارة الشيطان وجنوده.

٣- إنّ شرط قبول الأعمال وصحّتها متوقّف على صحّة العقيدة وسلامتها من تأثير الوهم الخادع، ففسادها يستلزم ردّها، وصحّتها تستلزم قبولها.

وبهذا تظهر أهمّيّة البحث عن العقيدة، وتمييز المقبول منها والمردود، وانعكاس ما ينتج عنها من آثار قد تؤثّر سلباً أو إيجاباً في سعادة الإنسان و شقائه في الدنيا والآخرة.

٤- إنّ سلامة العقيدة وصحّتها متوقّف على فسح المجال أمام العقل، وأن لا يبقى أسير الأهواء والشهوات، وكما وضّح أمير البيان في حكمه: «**وكَمْ مِنْ عَقْلٍ أَسِيرٍ تَحْتَ هَوَى أَمِيرٍ**»[١١].

وعلى هذا الأساس فقد أكّدت النصوص أنه: «**ما آمن المؤمن حتى يعقل**»[١٢]، و «**من كان عاقلاً كان له دين، ومن كان له دين دخل الجنّة**»[١٣]، حيث دلّتا على أنّ الدّين ــ أصولًا وفروعاً ــ وأنّ التعبّد به واتّخاذه كعقيدة متوقّف على التعقّل، ومتابعة العقل الفطريّ السليم.

ثانياً: منهج الاستدلال في مجال العقيدة عند أهل البيت عليهم السلام

يمتاز المنهج في الاستدلال عند أهل البيت عليهم السلام في مجال العقيدة بأمور، من جملتها:

١- الوسطيّة في المنهج العقليّ الأمر الذي لا يتخلّله الإفراط أو التفريط في جانب أحدهما، وإنّما يتّخذ بين ذلك سبيلاً إليها، بمعنى أنّه لم يعط كلّ القيمة العليا للعقل بحيث يتمّ من خلال ذلك رفض الكتاب والسنّة، ويكون الاعتماد الكلّيّ على العقل واستنتاجاته البحتة على جهة الإطلاق؛ فإنّ هذا يُعدّ غلوّاً، وهو بلا شكّ ممقوتٌ شرعاً، ومثاله ما يُذكر عند أهل الفلسفة من أنّ الواحد لا يصدر عنه إلّا واحد، أو بلزوم وجود مسانخة بين العلّة والمعلول، أو بقدم العالم، أو مجامعة العدم له تعالى، فإنّ مثل هذا الإفراط في الاعتماد على العقل مذمومٌ في منطق القرآن الكريم، والسنّة المطهرة إن سلّمنا بأنّها من نتاج العقل واستنتاجاته، وليس للوهم أيّ دخلٍ أو تأثير فيها.

كما أنّ رفض العقل وإلغائه والعزوف عنه بالمرّة -وهو جانب التفريط مستقبحٌ ومذمومٌ أيضاً كما هو المعروف عن حال الأشاعرة، وجماعة من الأخباريّين ممّن جابهوا العقل وشجبوه، وألغوا دوره وأهمّيّته الكبرى المؤكّدة إسلاميّاً - أمر غير صحيح؛ إذ إنّ فهم الدين وتعقّله إنّما يتمّ من خلال إدراك العقل ووعيه، كما أشار أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: ((**عَقَلُوا الدِّينَ عَقْلَ وِعَايَةٍ وِرِعَايَةٍ لَا عَقْلَ سَمَاعٍ وِرِوَايَةٍ فَإِنَّ رُوَاةَ الْعِلْمِ كَثِيرٌ وَرُعَاتَه قَلِيلٌ**)) [١٤]، أي أنه يلزم ضبطه ونقده بالفهم والتأمّل، بمعنى أنّه لابدّ من نقد الخبر - الذي يعكس مضمونه رؤية دينيّة - وعرضه قبل كلّ شيء على مقياس عقليّ بغية التعرّف على صدقه من كذبه وصولاً إلى معرفة معناه وحقيقة مغزاه، وتحديد المقاصد والأهداف التي ينطوي عليه مضمونه.

٢- إنّ الطابع العامّ في المنهج العقليّ عندهم قد امتاز في الاعتماد على:

أ- الأوّليّات والفطريّات والوجدانيّات في الاستدلال العقليّ؛ لأنه أسلوب منطقيّ يطبع أثراً متميّزاً في ذهنيّة المتلقّي، مضافاً إلى ذلك أنّه يَسهلُ فهمه وإدراكه من الناس جميعاً، وهذا بعكس الاستدلال القائم على مصطلحات فلسفيّة ومعاني دقّيّة يعسر إدراكها وفهمها، إلّا على من سبر غورها من أهل التخصّص في حقل الفلسفة، العارف بنكاتها ومصطلحاتها، وهم بطبيعة الحال نزرٌ قليل من الناس.

وبعبارة أكثر وضوحاً: إنّ القضايا الأوّليّة والوجدانيّة هي في الواقع معلومات واضحة جُهّز بها الإنسان فطريّاً ليست بحاجة إلى التأمّل والتفكير النظريّ، بل مجرّد أن يُحسن المتأمّل كيفيّة فَهْم القضيّة سوف يُذعن من فوره بها.

ومن أمثلتها إنّ الضدّين لا يجتمعان، واستحالة اجتماع الشيء ونقيضه، وعدم معقوليّة أن يكون الشيء في آنٍ واحد معدوماً وموجوداً، ومن أمثلتها أنّ لكلّ حادث محدث، وأنّ النظام يقتضي وجود منظّم فاعل عاقل، واستحالة تحقّق المعلول من غير علّة، أو أن الإنسان ذو إرادة وفاعل بالاختيار.

ومن المعلوم أنّ هذا النحو من القضايا الأوّليّة والفطريّة يُعدّ القاعدة الأساس التي ينطلق منها الإنسان في تحصيل العلوم المختلفة في نشأة الحياة الدنيا.

ب- إنّ الذي يبرّر الاعتماد على القضايا الأوّليّة الفطريّة والوجدانيّة في المعرفة العقديّة؛ نظراً لأنّ الرؤية العقديّة الدينيّة قد بُنيت على أدوات فطريّة، ومرتكزات بديهيّة في مقام الإقناع والاقتناع في الحوار، وهو ما دلّ عليه قوله تعالى واضحاً جليّاً: ﴿ **فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ الله الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ الله ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾[١٥].

ت- إنّ من خصائص القضايا الفطريّة والوجدانيّة:

أوّلاً: إنّ الدين والعقيدة الحقّة شأنٌ من شؤون الفطرة الإنسانيّة التي فطر الله سبحانه وتعالى الناس عليها جميعاً، كما قرّره عزّ وجلّ بقوله: ﴿ **فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ الله الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ الله** ﴾.

وثانياً: إنّ هذه الفطرة الإنسانية ليست ممّا تقبل الزوال أو التبديل لصراحة قوله تعالى: ﴿ **فِطْرَةَ الله الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ الله** ﴾، ومن أجل هذا قد أقام الله دينه عليها؛ لثباتها وعدم زوالها.

وثالثاً: إنّ الفطرة الإنسانية قد جُهّزت بمعلومات بديهيّة وبسيطة عريّة من لغة الألغاز والتعقيد، ممّا يعني أنّ دين التوحيد، الذي قد ارتكز عليها، قد بُني على الوضوح التامّ، وإلّا لاستلزم الكذب فيما أخبر به تعالى من نسبة الدين الحنيف إلى الفطرة.

ورابعاً: إن الدّين الحنيف الذي طُبع بطابع الفطرة الإنسانية من مميّزاته أنه دين قيّم على الحياة ﴿ **ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ** ﴾، فينتج أنّ الفطرة الإنسانيّة هي القيّمة على الحياة؛ لأنّ دين الله الأعظم قائم عليها ومنتسبٌ إليها.

وبعد ما تقدّم بيانه نعرض للقارئ أنموذجاً من نماذج خطبه ﷺ التي تعرّض فيها إلى خصائص التوحيد، وبيان بعض صفاته تعالى، قائلاً فيها: «**الحمد لله الواحد بغير تشبيه، والدائم بغير تكوين، القائم بغير كلفة، الخالق بغير منصبة، والموصوف بغير غاية، المعروف بغير محدوديّة، العزيز لم يزل قديماً في القدم، ردعت القلوب لهيبته، وذهلت العقول لعزّته، وخضعت الرقاب لقدرته، فليس يخطر على قلب بشر مبلغ جبروته، ولا يبلغ الناس كنه جلاله، ولا يفصح الواصفون منهم لكُنه عظمته، ولا تبلغه العلماء بألبابها، ولا أهل التفكّر بتدابير أمورها، أعلم خلقه به الذي بالحدّ لا يصفه، يُدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير**»[١٦].

إنّ الإمام الحسن ﷺ يضع بين أيدينا عدّة بصائر مفتاحيّة، وبصمات نوريّة بما يتّصل بخصائص التوحيد ذاتاً وصفاتاً، يمكن استفادة بعضها من منطوق الكلام صريحاً، والبعض الآخر يعرف من لوازمه بما تقتضيه دلالة الاقتضاء والإشارة والتنبيه.

وعلى هذا يجدر بنا أن نتعرّف على معنى التوحيد و وحدة ذاته تعالى وسائر صفاته من منظور الإمام الحسن ﷺ ابتغاء للوصول إلى المعرفة الصحيحة، والعقيدة السديدة.

وعلى هذا، يمكن أن ينتظم محور الحديث في ضمن عدة مباحث، وهي كالآتي:

المبحث الأوّل: في بيان معنى التوحيد الصحيح عند الإمام الحسن ﷺ

الحديث عن توحيده تعالى متشعّب الأطراف والجهات متّسع النواحي، ولكن مع كلّ ذلك يمكن أن نجمل تسلسل الكلام فيه في عدّة مطالب:

المطلب الأوّل: وحدانيّته تعالى تستلزم نفي التشبيه عنه عقلاً

إنّ قوله ﷺ :- «**الحمد لله الواحد بغير تشبيه...**» - يشير إلى أنّ وحدته تعالى تستلزم نفي التشبيه عنه عقلاً، وهنا تحتّم علينا أن نعطي بعض والإضاءات لمعنى الواحد تجلية للفكرة بصورة أوضح، بغية التعرّف بأن وحدته تعالى بأيّ معنى تفهم، وما هو المستهدف من معرفة

معنى الواحد الذي عناه الإمام الحسن ﷺ بقوله: (الواحد).

وقبل الدخول – في بيان المراد من معنى الواحد المقصود بقول الإمام الحسن ﷺ: «**الحمد لله الواحد بغير تشبيه...**» – ينبغي أن نميّز بين نمطين من الاستعمالين لمفهوم الواحد، بين ما يصحّ إطلاق الواحد عليه تعالى، وبين ما لا يصحّ؛ لامتناعه عقلاً، والممتنع منها أقسام ثلاثة، وهي:

أوّلاً: الوحدة الجنسيّة

فإنّه من المحال عقلاً رجوع وحدته تعالى إلى الوحدة الجنسيّة، والسرّ في ذلك؛ لأنّ ماهيّة الجنس مبهمة لا وضوح فيها، ولكنّ وجوده تعالى أظهر وأبين، بل وأشدّ وضوحاً وظهوراً من كلّ واضح وظاهر: ((**أَيَكُونُ لِغَيْرِكَ مِنَ الظُّهُورِ ما لَيْسَ لَكَ، حَتّى يَكُونَ هُوَ الْمُظْهِرَ لَكَ**))[١٧].

أضف إلى ذلك أنّ الجنس يحتاج في الوجود الخارجيّ إلى الفصل؛ لأنّ «**النسبة بين الجنس كـ(الحيوان) مثلاً، والفصل كـ(الناطق) هي نسبة عرضيَّة، فالجنس عرضٌ عامّ للفصل، والفصل خاصّة للجنس...على أنّ وظيفة الفصل هو تحصيل الجنس أي تحصيل الوجود الخارجيّ للحيوان، لأجل هذا قالوا: إنّ الفصل هو المحصّل الذي يحقّق الوجود الخارجيّ للجنس، وهو مقسِّم، يقسِّم الجنس إلى الناطق وغيره**»[١٨].

ومع وضوح كلّ هذا نقول: فلو رجعتْ وحدته تعالى إلى الوحدة الجنسيّة لاحتاج إلى من يحصّل وجوده خارجاً، وإلى من يرفع ستار الإبهام عنه، غير أنّه تعالى منزّهٌ عن الإبهام والحاجة؛ لكون ذلك من خصائص الوجود الإمكانيّ، وهو واجب الوجود بالذات، وينبغي أن يكون هذا من القضايا التي قياساتها معها.

ومن أجل هذه ــ المحاذير ونحوها ــ امتنع حمل اللام الداخلة على (الواحد) على الجنس، بل حملها على العهديّة أولى وأوفق بحكم المثبتات العقليّة القطعيّة.

ثانياً: الوحدة النوعيّة.

كما أنه من المحال عقلاً رجوع وحدته تعالى إلى الوحدة النوعيّة؛ لاستلزامه التشبيه الباطل، و الوجه في بطلانه:

١- إنّ مرجع الوحدة النوعيّة إلى الوحدة الفصليّة، والوحدة الجنسيّة؛ إذ النوع مركّب

منهما[١٩]، والتركيب في حقّه محالٌ بيان وجه المحاليّة؛ إذ لو كانت وحدته مركّبة من الفصل والجنس لكان مفتقراً إلى أجزائه، كما أنّ لازم الافتقار إلى من يقوم بتأليف تلك الأجزاء تحقيقاً للتركيب، بل يضاف إلى ذلك أنّه يستلزم الافتقار إلى من يوجدها خارجاً بعد التأليف، فينتج أنّ ما فرضته واجباً بالذات صار ممكناً حادثاً، مع أنّه تعالى غنيّ ذاتاً، وبهذا يتّضح بطلان رجوع وحدته تعالى للوحدة النوعيّة.

٢- أنّه يستلزم أن يكون وجوده وجوداً فرعيّاً متولّداً عن غيره، وبطلانه أشهر من نارٍ على منار.

٣ - بل يستلزم أن يكون وجوده موجودٌ لأجل جنسه، فيكون شيئاً فوقه، على أنّه يلزم أن يكون جنسه مقدّم عليه في الوجود، فينتفي نعته بالأوّل والآخر وأنّه فوق كلّ شيء.

٤- يضاف إلى ذلك، أنّ النوع إنّما يتحقّق خارجاً بتوسّط التشخّص الفرديّ، كالإنسان إنّما يتحقّق بتوسّط (زيد) مثلاً الذي هو فرده المتشخّص به خارجاً، فلو كان الباري تعالى نوعاً لزم أن يوجد بغيره، ووضوح بطلان هذا لا يختلف عليه اثنان.

ومن أجل هذا ونحوه أشار أمير المؤمنين ﷺ إلى استحالتها بقوله: «**وقَولُ القائِلِ هُوَ واحِدٌ مِنَ النَّاسِ يُريدُ بِهِ النَّوعَ مِنَ الجِنسِ، فَهذا ما لا يَجوزُ**[٢٠]**؛ لأَنَّه تَشبيهٌ، وجَلَّ رَبُّنا وتَعالى عَن ذلِكَ**»[٢١].

ثالثاً: الوحدة العدديّة.

كما أنّه يستحيل عقلاً إدراج وحدته تعالى ضمن الوحدة العدديّة:

١- لأنّ معنى الوحدة العدديّة هي التي بضميمة شيء آخر إليها تصبح اثنان، وعند ضمّ شيء آخر للاثنين تصبح ثلاثة، وهلمّ جرّاً، فتأخذ سلسلة الأرقام العدديّة بالتمادي والتمدّد، وهذا غير متصوّر في حقّه تعالى؛ «**لأَنَّ ما لا ثانِيَ لَهُ لا يَدخُلُ في بابِ الأَعدادِ**»[٢٢]، فيكون سالبة بانتفاء الموضوع.

٢-على أنّ من أبرز خصائص الوحدة العدديّة هو اشتمالها على المحدوديّة، والانتهاء كما هو واضح ومعلوم؛ لأنّه ليس بوسعك أن تقول: هذا ثاني ما لم تنته من الأوّل، وهكذا يتعذّر أن تقول: هذا ثالث ما لم تنته من الثاني، وإطلاق الوحدة عليه تعالى بهذا المعنى أمر غير سديد؛ إذ المحدوديّة والانتهاء إنّما هي من خصائص الوجود الإمكانيّ، والله تعالى منزّهٌ منها،

وإلى استحالة هذا وعدم صحّته أشار الإمام الحسن المجتبى عليه السلام له بقوله: «والموصوف بغير غاية، المعروف بغير محدوديّة»[٢٣]، أي الموصوف بالبقاء والدوام بغير نهاية غاية، بمعنى أنّ دوام وجوده تعالى غير مشروطٍ ولا متوقّف على أيّ شرط أو غاية؛ ليكون بقاء وجوده محدوداً ومنتهياً عند فقدان ذلك الشرط، بل الكلّ يفنى ويزول وينتهي: ﴿ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالإِكْرَامِ ﴾ [٢٤]، فهو الباقي بَعدَ كُلِّ شيء، وهو الباقي الذي لا يَزولُ.

٣ - يضاف إلى ذلك أنّ وحدته تعالى لو دخلت في باب الأعداد لاستلزم إبطال أزله كما بيّن أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: «**ومَنْ عَدَّه فَقَدْ أَبْطَلَ أَزَلَه**» [٢٥]، و السّر في ذلك؛ لأنّ عدّه يستلزم إدخاله في جنس الكثرة، والله تعالى منزّه من اتّصاف وجوده تعالى بالكثرة والقلّة؛ لأنّ هذه من خصائص الممكن المُحدَث، فلو اتّصف بها ينتج إبطالاً لأزله ونقضاً لقدمه الذي يستحقّه لذاته سبحانه.

وتلخيصاً نقول: أنّه يمكن أن يأخذ شكل الاستدلال بنحو الشرطيّة المتّصلة التي لها مقدّم وتالٍ، فنقول: لو كانت وحدته تعالى وحدة عدديّة، للزم أن يكون بينهما مميّز، وحيث أنّ التالي باطل؛ للزومه الاحتياج الذي هو علامة الإمكان، فيكون المقدّم مثله في البطلان، فينتج نقيضه، وهو عدم كون وحدته وحدة عدديّة.

أضف إلى ذلك، أنّه لو كانت وحدته وحدة عدديّة لاستلزم أن يكون من جنسها، وكان داخلاً في الكمّ المنفصل[٢٦]، ممّا ينتج كونه موصوفاً بها عرضاً، فيكون موضعاً للعوارض.

المطلب الثاني: لازم نفي التشبيه عنه تعالى أنّ وحدة ذاته بسيطة

ومن جميع ما تقدّم، يتّضح أنّ معنى الواحد الذي عناه الإمام الحسن عليه السلام بقوله: «**الحمد لله الواحد بغير تشبيه..**» [٢٧]، هو عين ما أوضحه أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: ((**أَنَّهُ لا يَنقَسِمُ في وُجود ولا عَقل ولا وَهم، كَذلِكَ رَبُّنا عزّ وجلّ**)) [٢٨].

وبعبارة ثانية أكثر وضوحاً:

١ - أنّه لو أمكن انقسام ذاته تعالى لكان محتاجاً؛ لأنّ كلّ ذي جزء إنّما يتحقّق ويتقوّم بجزئه، فيكون مفتقراً إليه، والله تعالى غنيّ بالذات لا تفقره حاجة إلى الغير.

٢ - على أنّه تعالى لو كان يتّصف بأنّه ذي جزء لكان جزؤه متقدّماً عليه موصوفاً بأنّه كان

أوّله، فيكون جزؤه أولى منه تعالى بالألوهيّة والعبوديّة؛ لتقدّمه عليه، فلا يكون هو الأوّل.

٣- كما أنّ ذاته عزّوجلّ تأبى انقسامها في عقل، بمعنى أنّ ذاته سبحانه تأبى الانقسام العقليّ، كما هو الحال في الإنسان، فإنّه ينقسم بحسب التحليل العقليّ إلى الإنسانيّة والوجود، بمعنى أنّه مركّب منهما.

٤- وأيضاً أنّ ذاته تعالى لا تنقسم بحسب معادلات القسمة المستندة إلى القوّة الوهميّة، كانقسام الزمان إلى الآنات المتعدّدة، بمعنى أن تتصوّر القطعة الزمنيّة الواحدة ذات الامتداد الواحد، ثمّ تقوم بتقسيمها بوهمك إلى آنات متعدّدة، فإنّ هذا التقسيم الوهميّ غير متصوّر في حقّه تعالى؛ لاستحالته عقلاً؛ إذ من خصائص الوهم أنّه لا يدرك إلّا المعاني الجزئيّة من المحسوسات، وكذلك من خصائص الوهم أنّه لا يثبت موجوداً إلّا وهو يشير إلى جهته، والله تعالى ذات بسيطة ليست من سنخ المادّة، والماديات لا تقبل الإشارة الحسّيّة عليها، ولهذا قد سئل أمير المؤمنين ﷺ عن التوحيد والعدل فقال: ((**التَّوْحِيدُ أَلَّا تَتَوَهَّمَه والْعَدْلُ أَلَّا تَتَّهِمَهُ**)) (٢٩).

وبهذا تعرف أنّ مراده ﷺ من الواحد الذي نوّه إليه بقوله: «**الحمد لله الواحد بغير تشبيه..**» (٣٠)، الواحد الذي ليس له نظير يعادله ولا شبيه يشاكله ذاتاً وصفاتاً.

المبحث الثاني: نفي التشبيه عنه تعالى عند الإمام الحسن ﷺ

وفيه عدة مطالب:

المطلب الأوّل: معنى التشبيه أو الشبه لغة

وينبغي هنا أن نستطلع آراء اللغويّين ومحدّداتهم لمعنى الشبه والتشبيه، فقد عرّف الشبه لغة بأنّ: (شبه وشبه لغتان بمعنى يقال: هذا شبهه، أي شبيهه.. وتشبّه فلان بكذا، والتشبيه: التمثيل، وأشبهت فلاناً وشابهته) (٣١)، وعلى هذا فقد يكون الشبه بين الشيء والشيء الآخر صفتيّ، أي كما لو تشبّه زيد بعمر بما له من صفة يتفرّد بها، كما لو تشبّه به في مشيه، أو رخامة صوته، أو يتشبّه به بصرامته، وشدّة عزمه، أو يشبّهه في شاعريّته وغزارة علمه، أو يقال: إنّ زيداً يشبه الأسد في عدم اكتراثه؛ لشجاعته وشدّة بأسه .

ومن خلال هذا يعرف أنّ معنى الشبه فيه جهة عموم؛ لصحّة إطلاقها على الصفة المعنويّة

والمحسوسة معاً، ومن المعلوم أنّ ذاته تعالى ليس هناك من يشابهها لا في ذاته ولا في صفاته؛ لأنّ ذاته تعالى ذات بسيطة ليس لها مثل أو مثال، على أنّ صفاته ذاتيّة أي هي عين الذات، كما أنّها لا تحسّ ولا تجسّ حتّى يمكن أن يقع عليها الشبه المحسوس.

قوله: (والتشبيه: التمثيل)، لعلّ مراده من التمثيل أي المثال، وليس المثل؛ إذ (المثال: المشارك في بعض الأغراض؛ فإنّ الإنسان المنقّش في الجدار مثال للإنسان الطبيعي؛ لمشاركته في المقدار، والجهة، ونحوه) [٣٢]، وامتناعه أوضح من نارٍ على منار؛ لأنّ ذاته ليست من قبيل المادّة المحسوسة كي تتشارك مع غيره في مقدار أو جهة، كما أنّها ليست من قبيل المثل؛ لأنّ(المثل: هو المشارك في تمام الحقيقة) [٣٣]، والمشاركة سواء في ذاته أو صفاته ممتنعةٌ عقلًا؛ لأنّهم قالوا إنّ المشاركة بين المثلين فرع التكافؤ في الذات[٣٤]، وذاته ليست لها كفؤ؛ ضرورة إذ لو كان له كفؤ لوقع التشابه بينه وبين غيره، غير أنّه تعالى قرّر بقوله: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**﴾ [٣٥]؛ فإنّ نفي مثل مثله يستلزم عقلاً بالضرورة والوضوح أن لا مثل له لا في ذاته ولا في صفاته بداهة، على أنّه لو كان له كفؤ لأوجب ردّه وتكذيبه في قوله تعالى:﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**﴾ [٣٦].

المطلب الثاني: القول بالتشبيه يستلزم التكثّر والمشاركة خارجاً

يضاف إلى ذلك أنّ الشبه دائماً يستلزم التكثّر في الوجود الخارجيّ؛ إذ لو كان له شبيه في وجوده، ونظير في رتبته – كما نقول: إنّ خالداً واحداً من الرجال، بمعنى أنّ له ثانياً، وثالثاً، ورابعاً –لكانت هذه الوحدة ممّا توجب التكثّر في الوجود، وهو ممّا ينافي الاعتقاد بوحدته تعالى.

ويضاف إلى ذلك أنّ طبيعة الشبه والمشابه تقتضي المشاركة، فحينما يقال: إنّ زيداً يشبه عمراً، فهذا يعني أنّه مشارك له في معنى الإمكان، والحدوث، والحاجة، والافتقار إلى العلّة والسبب، وعلى هذا فلو كان الباري تعالى له شبه لكان مشاركاً له بالأوصاف المذكورة، والتالي باطل، فالمقدّم مثله، فينتج أنّه لا شبه له.

المطلب الثالث: التنزيه والتشبيه نقيضان لا يجتمعان

كما أنّ المستظهر من قوله عليه السلام: «**بغير تشبيه..**» [٣٧]أنّ القول بالتشبيه والتنزيه معاً من المحال اجتماعهما البتّة؛ وإلّا لزم الجمع بين الشيء ونقيضه، واستحالة هذا من الأوّليّات الفطريّة التي

لا تقبل التشكيك أو الريب فيها.

هذا، ولكنّ الذي يلوح صريحاً - في بعض فصوص ابن عربي لزوم الجمع بين التنزيه والتشبيه - وإليك حاصل ما أفاده بقوله: ((**وإذا أعطاه الله المعرفة بالتجلّي كملت معرفته بالله، فنزّه في موضع، وشبّه في موضع**)) [٣٨]، أي ينبغي على المؤمن الموحّد أن ينزّه ذاته تعالى في موضع التنزيه، كما وينبغي له أن يشبّه الله تعالى في موضع التشبيه، فيكون منزّهاً حيناً، ومشبّهاً حيناً آخر.

وقال في موضع آخر: ((**ورأى سريان الحقّ بالوجود في الصور الطبيعيّة والعنصريّة...فما بقيت له صورة إلّا ويرى عين الحقّ عينها، وهذه المعرفة التامّة فلا يمكن أن يخلو تنزيه عن تشبيه، ولا تشبيه عن تنزيه...ولذلك قلنا: بالتشبيه في التنزيه، وبالتنزيه في التشبيه**))[٣٩].

ويزيد الأمر أكثر توضيحاً بقوله: ((**فالمؤمن إذا نزّه الحقّ ووقف عنده، ولم يشبّه في مقام التشبيه، ولم يثبت تلك الصفات التي هي كمالات في العالم، فقد أساء الأدب، وكذّب الرسل والكتب... ويتخيّل أنّها له حاصلاً من العلوم والمعارف، وأنّه مؤمن وموحّد، وما يعلم أنّها فائت منه، وهو كمن آمن ببعض وهو مقام التنزيه، وكفر ببعض وهو مقام التشبيه وغير المؤمن**)) [٤٠].

وعلى هذا، فصريح كلامه ينحلّ إلى عدّة دعاوى، نذكر المهمّ منها:

الأولى: لا يكون المؤمن مؤمناً حتّى يجمع بين مرتبتي التنزيه والتشبيه معاً، فينزّه ذاته تعالى في موضع، ويشبّه في موضع آخر، ومرجع التنزيه عند أهل الحقائق عين التحديد والتقييد.

الثانية: سريان الحقّ بالوجود في الصور الطبيعيّة والعنصريّة، فيكون الله تعالى عين الوجود الخارجيّ.

أمّا دعواه الأولى، فيرد عليها:

إنّها تشتمل على تدليسٍ، وتضليلٍ، وتمويهٍ واضح؛ لاستحالة اجتماع التنزيه والتشبيه معاً؛ لأنّ كلمة التنزيه تعني فيما تعنيه مغايرة الحقّ للخلق ذاتاً وصفة.

وبعبارة أكثر وضوحاً: أنّ تنزيه الله تعالى أن تجعله خلوّاً من كلّ ممّا يعرض على الخلق من صفات الفقر والنقصان، وعوارض الحدوث والإمكان، فإذا جمعت بينهما وأرجعت أحدهما إلى الآخر لزم القول باتّصاف الله بها، فينتج أنّ في ذاته جهة نقصٍ وفقر، فلا يكون واجب

الوجود، بمعنى أنّ تنزيهه تعالى من صفة الجسميّة، والصورة والأعضاء، وحدّ المكان يستلزم نفي التشبيه عنه، وإلّا لزم الجمع بين الشيء ونقيضه، ومحاليّة هذا التنظير الخادع لا يختلف عليه اثنان.

وأمّا دعواه الثانية: أي دعوى سريان الحقّ بالوجود في الصور الطبيعيّة والعنصريّة، فيكون الله تعالى عين الوجود الخارجيّ.

فيرد عليها:

أمّا أوّلاً: فلأنّه يستحيل أن تكون ذاته تعالى تتّصف بالصورة، وإلّا لكان جسماً مركّباً من المادّة والصورة، وهو تعالى بسيط الذات، محض الوجود والهويّة، غنيّ ذاتاً.

وثانياً: على أنّه لو سلّم جدلاً - من سريانه تعالى في تلك الصور الطبيعيّة المختلفة - فيلزم أن لا يكون إلهاً واحداً، بل إلهاً متعدّداً بعدد تلك الصور التي يظهر بها، ومع الإصرار على بقاء وحدة الذات وعدم تكثّرها، فيلزم أن تكون ذاته متجزّئة بعدد تلك الصور المتعدّدة التي هي فوق حدّ الإحصاء، فتكون ذاته سبحانه مركّبة من أجزاء، فيكون ممكناً لا واجباً.

المطلب الرابع: القول بالتشبيه يستلزم الكفر بالله العظيم

إنّ قوله عليه السلام: «**بغير تشبيه..**» مستبطنٌ[٤١] للحكم بكفر من يعتقد بالتشبيه؛ لأنّ الاعتقاد بذلك يلزم منه تكذيب الله تعالى فيما أخبر عن نفسه بأنّه: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**﴾[٤٢]، ومن كذّب الله تعالى في إخباره فقد كفر، وخرج عن حدّ الدين، وتنكّب عن ربقة المؤمنين يقيناً.

ويؤيّده حشدٌ من النصوص:

١- ومنها قول رسول الله صلى الله عليه وآله: ((**من شبّه الله بخلقه فقد كفر..**))[٤٣].

٢-منها: قول الرضا عليه السلام: ((**من قال بالتشبيه والجبر فهو كافر**))[٤٤].

٣- وروي: ((**أنّ من قال: بالتشبيه لا تؤكل ذبيحته**))[٤٥].

المطلب الخامس: حكم المشبّه من الزاوية الفقهيّة

وفي هدي ما سبق ذكره من أنّ المشبّه كافر، فهنا تزدحم عدّة استفسارات في أفق الذهن، منها: أنه كيف يتّم التعامل مع بعض المذاهب الإسلامية التي تؤمن بعقيدة التشبيه، على الرغم

من نطقهم بشهادة التوحيد، فهل يحكم بنجاستهم، وعدم جواز أكل ذبيحتهم، و عدم جواز المناكحة معهم؟ وكيف جوّزوا الأعلام الصلاة معهم إذا كانوا من قسم الكفّار؟ وهل يصحّ اجتماع عنوان الكافر والمؤمن أو المسلم في شخصٍ واحد؟ فقد يمنع ذلك؛ لأنّ مآله الجمع بين الشيء ونقيضه، واستحالة اجتماعهما كارتفاعهما من الأوّليّات الواضحات، هذه ونحوها من الاستفسارات بحاجةٍ إلى أجوبةٍ شافيةٍ وكافية.

ومحور الكلام ينتظم في ضمن المقصدين الآتيين:

المقصد الأوّل: نقل آراء الفقهاء في تقريب المسألة

أدرج الشيخ الطوسيّ من قال بالتشبيه في صنف الكفّار[٤٦]، ولم يفصّل القول في ذلك.

هذا، ولكن العلّامة جنح إلى تفصيل الكلام في ذلك قائلاً: (حكم الناصب حكم الكافر..، وهل المجسّمة والمشبّهة كذلك؟ الأقرب المساواة؛ لاعتقادهم أنّه تعالى جسم، وقد ثبت أنّ كلّ جسم محدث)[٤٧].

وأضاف الشهيد الأوّل قيداً احترازيّاً بقوله: (وفي المجسّمة بالحقيقة) [٤٨].

وقد وضّح الفاضل الهنديّ مراده بقوله: (يعني القائلين بأنه تعالى جسم كخلقه في صفة ملزومة للحدوث.. أو يعني من قال: بأنّه جسم حقيقة، أي كسائر الأجسام في الحقيقة ولوازمها لا من يطلق عليه الجسم، ويقول: إنّه جسم لا كالأجسام، فينتفي عنه جميع ما يقتضي الحدوث والافتقار والتحديد، وكذا من شبّهه بالحادثات حقيقة..)[٤٩].

وقال بعض الأعلام: (ولكن يمكن أن يقال: إنّ الحكم بكفرهم إنّما هو في صورة التفاتهم بالملازمة، وإقرارهم بالتركيب والتعدّد، وأمّا إذا كان بدون التوجّه إلى أنّ قولهم بجسميّته تعالى مستلزم للتركيب والتعدّد والاحتياج كعدم توجّه أكثر العوامّ، فلا يوجب صرف القول بذلك الكفر، مع أنّ ظاهر بعض الآيات هو الجسميّة كقوله تعالى: ﴿ **الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى** ﴾[٥٠]، وقوله تعالى: ﴿ **وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا** ﴾[٥١]، وغيرهما، فالتمسّك بظاهر الآيات مع عدم ملاحظة تأويلها ليس بكفر إذا لم يلتزم بلوازم الجسميّة ولم يلتفت إليها)[٥٢].

هذا، ولكنّ إطلاق كلامهم في قولهم ﷺ: (المشبّه كافر، أو بغير تشبيه) يقتضي التعميم لحالة

الالتفات بالملازمة وعدمها، اللهمّ إلّا أن يدّعى أنّ المنصرف منه خصوص هذه الحالة المدّعاة، غير أنّ دعوى الانصراف بحاجةٍ إلى مثبت، وقد يكون المثبت له مفقوداً.

المقصد الثاني: دفع دخلٍ وجواب عن سؤالٍ مقدّر

وقد يعترض من يعتقد بالتشبيه بما حاصله: أنّ ما نقل عن الإمام الحسن ﷺ بقوله: ((**الواحد بغير تشبيه**)) [٥٣]، هو نقل خبرٍ واحد، وهو لا ينفع في مقام الاحتجاج؛ لذهاب جمع غير قليل من الأعلام بعدم حجّيّته في باب الاعتقاديّات؛ لأنّ أخبار الآحاد غاية ما تفيده الظنّ، وهو محتمل للخطأ والصواب، فقد يطابق الواقع وقد يخالفه.

ومن البيّن الواضح أنّ العقيدة الصحيحة لا تبنى على الظنون والمحتملات، وإنّما على العلم الجازم، فلا يكون حجّة علينا، خصوصاً مع ملاحظة وجود روايات أخر تثبت له التشبيه.

وجوابه:

١ - أمّا بالنسبة إلى عدم اعتبار حجّيّة خبر الواحد[٥٤] وإن كان جملة من الأعلام قد ذهبوا إلى عدم حجّيّته في الاعتقادات[٥٥]، ولكن ينبغي أن لا يؤخذ هذا على إطلاقه؛ إذ من اللازم أوّلاً عرض مضمونه على كتاب الله تعالى، فإن كان موافقاً له أُخذ به، وإلّا فيضرب به عرض الجدار، وحيث أنّ ما قرّره ﷺ بقوله: (**الواحد بغير تشبيه**) كان موافقاً لإطلاق قوله تعالى: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**﴾ [٥٦]، فيكون حجّة.

٢- على أنّه من الممكن أن تساهم الظنون المعتبرة - كالظنون التي تنشأ من الظهور - في بيان العقيدة الصحيحة فيما إذا تراكمت الظنون والاحتمالات وقد تشكّلت منها استفاضة أو تواتر، فتكون كاشفة عن السنّة القطعيّة.

٣- وما يمكن أن يقال: بوجود نصوصٍ روائيّة تدلّ على التشبيه، فهي أيضاً نصوص المثبت له أخبار آحاد، فلا ينتفع بها في مقام الاحتجاج لإثبات شيء أو نفيه، فيكون دعوى مقابلة لدعوى أخرى، وترجيح أحدهما على الثانية ترجيح بلا مرجّح.

ولو ادّعى مدّع بلوغها حدّ التواتر فهو مجرّد وهم؛ لأنّه لو سلّم بلوغها هذا المبلغ لكان فيها تكذيب لله فيما أخبر بقوله: ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ** ﴾ (٥٧).

وقد يعترض بما حاصله: أنّ النصوص الدالّة على نفي التشبيه معارضة بنصوص تثبت له ذلك، فلا تكون حجّة.

قلت: النصوص الدالّة على نفي التشبيه موافقة لكتاب الله، فيكون المرجّح معها، وعلى فرض التكافؤ، فيتساقطان، فيكون إطلاق قوله تعالى: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**﴾ (٥٨) هو المرجع بعد التساقط؛ لأنّه يمثّل عموماً فوقانيّاً، فتكون النتيجة من حيث المآل واحدة، فيثبت المطلوب.

المبحث الثالث: بيان بعض صفاته تعالى عند الإمام الحسن ﷺ

وينتظم تمام الكلام عنه في عدّة مطالب نشير إليها تباعاً:

المطلب الأوّل: عدم توقّف دوام ذاته تعالى على أيّ شرط أو قيد

إنّ من خصائصه تعالى التي نبّه عليها الإمام الحسن ﷺ بقوله أنّه: ((**الدائم بغير تكوين**)) (٥٩)،بمعنى أنّه دائم بذاته، أي أنّ دوام ذاته تعالى بذاته ليس له بداية ولا نهاية كدوام غيره من الوجودات الممكنة؛ وإلّا لو كان كذلك سبحانه ناتج بتأثير مكوّن أي بسببٍ وعلّة، لكان معلولاً لها، وطبيعة العلّة كما هو بيّن ومعلوم رتبتها متقدّمة على معلولها، فلا يكون هو الأوّل، فيكون غيره أولى منه بالعبوديّة؛ لتقدّمه عليه؛ ورتبة المعلول كما هو واضح متأخّرة عليه، فينتج أنّه مفتقر ومحتاجٌ لها، بل ويكون مقهوراً لها، مع أنّه كلّ شيء مقهور له بصريح قوله تعالى: ﴿**قُلِ اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ**﴾(٦٠).

ومن خلال هذا تعرف الوجه في استحالة أن يكون له مكوّناً، و يتلخّص من مجموع كلّ هذا أنّ معنى دوامه تعالى أنّه ليس مسبوقاً بالعدم، ولا ملحوقاً بالزوال والفناء، وهو معنى أنّه أزليّ أبديّ قديم.

المطلب الثاني: أنّه تعالى القائم بذاته المقيم لغيره

ومن خصائصه تعالى أيضاً التي أشار لها ﷺ بقوله: ((**القائم بغير كلفة**))(٦١)، ويمكن تقريب ما يستهدفه الإمام الحسن ﷺ في هذه الجملة بإحدى أمور:

الأوّل منهما: أنّه تعالى قائم بذاته، غنيّ عن جميع مخلوقاته، فقيام ذاته سبحانه ليس مستنداً إلى ظهير، أو مؤازرة قدير؛ لأنّ ذلك يستلزم فقره وحاجته إلى غيره، وهو خلف كونه واجب الوجود بذاته عزّ وجلّ.

وثانيهما: أنّ كلّ من سواه من سائر ما خلق قائم به موجود بوجوده، وكما قرّرت ذلك سيّدة نساء العالمين عليها السلام بقولها: ((**وكلّ شيء قائم به، وكلّ شيء ضارع إليه، وكلّ شيء مستكين له**)) (٦٢)، ضرورة: (أنّ جميع الممكنات إمّا جواهر أو أعراض، وليس شيء منها يقوم بذاته في الوجود، أمّا الأعراض فظاهر؛ لظهور حاجتها إلى المحلّ الجوهريّ، وأمّا الجواهر؛ فلأنّ قوامها في الوجود إنّما يكون بقيام عللها وتنتهي إلى الفاعل الأوّل جلَّت عظمته، فهو إذن الفاعل المطلق الذي به قوام كلّ موجود في الوجود، وإذ ثبت أنّه تعالى غنيّ عن كلّ شيء في كلّ شيء، وثبت أنّ به قوام كلّ شيء ثبت أنّه القيّوم المطلق؛ إذ مفهوم القيّوم هو القائم بذاته المقيم لغيره)(٦٣).

ومن البيّن الواضح أنّ صحّة قيام كلّ شيء به إنّما تكون بالعلم والعدل والقدرة والتدبير والإحاطة والقيوميّة؛ لصريح قوله الله تعالى: ﴿**أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ**﴾(٦٤)، وقوله سبحانه: ﴿**أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**﴾(٦٥)، وقوله تعالى: ﴿**شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾(٦٦)، وقوله عزّ وجل: ﴿**أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾(٦٧)، وقوله تعالى: ﴿**يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ**﴾(٦٨)، وقوله سبحانه: ﴿**وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا**﴾(٦٩).

ويتوضّح من خلال هذا أنّه لو تخلّف أحد الأركان الستّة(٧٠) لكان صدق القيّوم عليه ممتنعاً.

توضيحه: أنّه لو كان سبحانه يجهل بعض ما يدبّر أمره بالعناية والحفظ مثلاً لما صدق أنّه يعلم بما خلق، أو أنّه تعالى محيط بكلّ شيء، فقيّوميّته سبحانه يعني تدبير الكون من الذرّة إلى المجرّة، وهو متفرّع عن علمه وقدرته وإحاطته بكلّ شيء بنحو الإطلاق.

وثالثها: أنّ الكلفة والمشقّة والعناء والتعب هي من العوارض والأحوال التي تعرض للشيء، ومن أبرز سماتها أنّها تتغيّر وتتبدّل من حالٍ إلى حال، و مثاله الذي يوضّح المشهد

بشكل أوضح: أنّك إذا قلت: كيف زيد؟ فمعنى ذلك أنّ السؤال لم يكن واقعاً عن ذاته، وإنّما وقع عمّا يعرض لها من الأحوال كالصحّة والسقم، والفرح والحزن، والضيق واليسر، ممّا يعني أنّ ذاته تقع مسرحاً للأحداث والعوارض، ممّا أوجب فيها التغيّر والتبدّل من حالٍ إلى حالٍ؛ بسبب تلك الطوارئ والمؤثّرات، وهذا غير متصوّر في حقّه تعالى؛ لأنّ التبدّل والتغيّر من صفات الممكنات التي تقع تحت تأثير المؤثّر، والله واجب الوجود بذاته.

ورابعها: أنّ مرجع جميع ما ذكر على جهة الدقّة إلى الكيف، ومن المحال اتّصاف ذاته تعالى به؛ لأنّ الكيف والكيفيّات بقضّها وقضيضها [٧١] من المحدثات[٧٢]، والله تعالى قديم أزليّ أبديّ كامل بالذات، فكيف يصحّ أن تتّصف ذاته تعالى بأمرٍ حادث؟

على أنّ ذاته تعالى لو اتّصفت بأمرٍ حادث فلا يخلو الحال في ذلك، إمّا أن يكون عنوان واجب الوجود بالذات بعد الاتّصاف هو:

أ - المجموع المركّب أي من الذات القديمة الأزليّة والأمر الحادث.

ب - أو يكون عنوان واجب الوجود بالذات يبقى منحصراً بالموصوف خاصّة دون صفته.

ت - أو أنّ عنوان واجب الوجود ينحصر بالصفة (أي الأمر الحادث وهي صفته الزائدة عليه)، وجميع هذه المحتملات مردودة باطلة.

أمّا الاحتمال الأوّل: فلا يمكن أن يُصار إليه؛ لأنّه يستلزم التركيب في ذاته تعالى، والمركّب كما هو واضح مفتقر إلى أجزائه، والمفتقر لا يكون واجباً بالذات، بل فضلاً عن ذلك يلزم منه اجتماع الشيء ونقيضه؛ إذ الحدوث نقيض القدم، ومن المبيّن الواضح أن اجتماعهما وارتفاعهما من المحال بداهة.

وأمّا الاحتمال الثاني والثالث: ففسادهما أوضح من نارٍ على منار؛ إذ الالتزام بهما يوجبان على الذات المقدّسة الحاجة والافتقار إلى الحال والمحلّ، والتبدّل من حالٍ إلى حال، وهو كما ترى؛ إذ إنّه تعالى هو من أوجد الحال والمحلّ، فكيف يفتقر إليهما؟ إنّه محالٌ عقلاً، على أنّ ذاته تعالى أزليّ قديم، فلو قبل التغيّر من حالٍ إلى حال لكان حادثاً؛ للتلازم بين التغيّر والحدوث، فافهم وتدبّر.

واستظهر بعض الأعلام فضلاً عن ذلك: (إنّ اسم القيّوم أمّ الأسماء الإضافيّة الثابتة له تعالى جميعاً، وهي الأسماء التي تدلّ على معانٍ خارجة عن الذات بوجه، كالخالق والرازق والمبدأ والمعيد والمحيي والمميت والغفور والرحيم والودود وغيرها) (٧٣).

المطلب الثالث: أنّه خالق كلّ شيء من دون إعياء أو تعب

قوله عليه السلام: **((الخالق بغير منصبة))** (٧٤).

أي أنّ من صفاته وخصائصه أنّه سبحانه خالق كلّ شيء ما ظهر منه وما خفي من دون أن يتخلّل ذلك منصبة(٧٥)أي تعب وإعياء و جهد.

قال بعض الأعلام شارحاً وموضّحاً قوله عليه السلام: (يعني أنّه خالق للمخلوقات بلا آلات وأدوات، فلا يلحقه ضعف وتعب وإعياء ونصب)(٧٦)؛ لأنّ هذه الصفات ممتنعة في حقّه تعالى؛ إذ الجهد والإعياء من لوازم الممكنات، فهي تعرّضها بين حين وآخر ثمّ تنسلخ عنها؛ لكونها من المحدثات، والله منزّه منها، بل إنّه تعالى إنّما أنشأ الأشياء بمشيئته: ﴿**إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**﴾(٧٧)، وكوّنها بعظيم قدرته، أولم يكف بـ﴿**إِنَّ الله عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ (٧٨).

ومقتضى صريح قوله عليه السلام: **((الخالق بغير منصبة))** أنّ إرادة الخلق والإحداث والقدرة عليه غير متوقّفة على أيّ قيد أو شرط، بمعنى أنّ صدور القليل والكثير والصغير والكبير والظاهر والباطن عنده سيّان؛ لفرض أنّه خالق، وأنّه تعالى: ﴿**عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾، وأنّه لا يعجزه شيء.

هذا، وقد أفاده السيّد الطباطبائيّ في بدايته أنّ خلق الكثير وصدوره عنه تعالى أمر ممتنع، فقال: «وأوّل ما يصدر منها لمّا كان الواجب (تعالى) واحداً بسيطاً من جميع الجهات امتنع أن يصدر منه الكثير...لأنّ الواحد لا يصدر عنه إلّا الواحد، فأوّل صادر منه (تعالى) عقل واحد، يحاكي بوجوده الواحد الظلّيّ وجود الواجب (تعالى) في وحدته...» (٧٩).

ولكنّه مردود للوجوه الآتية:

١- إنّ العقل يحكم باستحالة هذا التنظير الخادع؛ لأنّ فيها مخالفة صريحة لمحكمات القرآن الكريم، كما في صريح قوله تعالى: ﴿**قُلِ اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ**﴾(٨٠)، على أنّه لو تمّ هذا فيستلزم فقر الله تعالى وحاجته إلى غيره، ومع التسليم بهذه الدعوى، يلزم أن يكون العقل

الأوّل والثاني -وهلمّ جراً ـ أقدر من الله تعالى في إيجاد الموجود الثاني، والثالث، وهكذا دواليك؛ لأنّه سبحانه قد عجز عن إيجاده، في حين هو لم يعجز، فيكون هو أقدر منه، مع أنّ قوله تعالى: - ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيماً قَدِيراً﴾ (٨١) - يكذّب هذا الزعم الباطل ويبطله، ومن هنا يجزم العقل بأنّ هذا من سفاسف الأوهام الخادعة والكاذبة.

٢ - إنّ من يقدر على إيجاد العقل الأوّل، ويمكّنه بقدرةٍ على إيجاد العقل الثاني، يكون هو أولى منه على إيجاد الثاني قضاءً للأولويّة القطعيّة؛ لفرض أنّه قادر، وعلى هذا فما ذكروه من تعليل - من أنّ البسيط من جميع الجهات يوجب امتناع صدور الكثير منه - واضحٌ وهنه بيّنٌ فساده.

٣- إنّه لو سلّم بذلك يلزم الإيمان بتعدّد الآلهة، ونسف الاعتقاد بالتوحيد؛ ومن ثم أنّ الذي يوجد ويفيض ويخلق ليس إلهاً واحداً، بل هو الكثير، وهذا هو عين القول بتعدّدها مآلاً.

٤- وما ذكره من تعليل بقوله -: ((لمّا كان الواجب تعالى واحداً بسيطاً من جميع الجهات امتنع أن يصدر منه الكثير)) - عليل؛ إذ بساطة ذاته تعالى شيء، وقدرته وإرادته وأمره شيء آخر؛ فلا ينبغي الخلط بينهما، وما يصدر عنه إنّما هو بإرادته وأمره، كما أكّدت ذلك الكثير من النصوص القرآنيّة، نظير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٨٢)؛ فإنّ أمره وإرادته وقدرته سبحانه هي التي عليها مدار الخلق والإيجاد، وعليه فمبدأ الأشياء هو أمر الله: ﴿أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ﴾ (٨٣)، فمبدأ كلّ شيء هو أمر الله، بمعنى أنّ التعليل ببساطة الذات المقدّسة - من جميع الجهات - أجنبيٌّ ليس له صلة بمسألة صدور الكثير منه، وأنّه يمتنع ذلك أو لا يمتنع؛ لأنّ المدار في الإيجاد والخلق (كما أسلفنا) هو أمر الله وإرادته، لا بساطة ذاته تعالى، وهذا هو أحد موارد خلط الدليل العقليّ بالدليل الوهميّ.

المطلب الرابع: العزيز القويّ الذي لا يغالب القديم في قدمه

قوله ﷺ: **((العزيز لم يزل قديماً في القدم))** (٨٤).

ومن صفاته وأبرز خصائصه سبحانه التي نوّه إليهما الإمام الحسن ﷺ أنّه تعالى العزيز القديم في قدمه، والسؤال الذي يأتي ذكره هنا أنّه بأيّ معنى تفهم صفة عزّته تعالى، وما معنى القديم في قدمه؟

ومن المستحسن أن يكون محور الكلام ضمن هذين المحورين الآتيين:

الأوّل منهما: معنى العزيز:

قيل في تعريفه: (والعزيز من أسمائه تعالى، وهو الذي لا يعادله شيء، أو الغالب الذي لا يغلب..والاسم العزّة، وهي القوّة والغلبة) (٨٥).

وقيل في معناه أنّه: (القادر الذي لا يعجزه شيء، وقيل: القادر الذي لا يمتنع عليه شيء أراد فعله.

وقيل: القدير وهو مبالغة الوصف بالقدرة، ونقيض العزّ الذل) (٨٦)، ومن البيّن أنّ مرجع الثاني -: (القادر الذي لا يمتنع عليه شيء أراد فعله) - إلى الأوّل أي الذي لا يعجزه شيء؛ لأنّه لو امتنع عليه شيء لكان فيه جهة نقص وعجز من أن تناله عظيم قدرته، وعدم كونه مقهوراً لقهارته، فيكون ذليلاً مغلوباً، وهو ينافي عزّته، إذن معنى عزّته ونعته بالعزيز هو الذي لا يذلّ ولا يقهر.

ولكن ليس من الصحيح قصر تفسير عزّته تعالى بالقادر خاصّة؛ لأنّه لمّا كان العزّ نقيض الذلّ اقتضى أن يكون قوامه بالعلم والعدل والقدرة والتدبير والإحاطة والحكمة تخلّصاً من أن يناله الذلّ والمغالبة التي قد تحصل بفقد أحد هذه الأمور الستّة أو جلّها أو كلّها.

وبعبارة أكثر وضوحاً: أنّه لو كانت عزّته بمعنى القدرة لا غير ولم تكن بضميمة الصفات الأخرى لها فإنّ القهر والذلّ والمغالبة لا محالة تكون حاصلة له، فلا يكون عزيزاً؛ ولذا نجد كثيراً من الآيات تتبع اسم العزيز بالحكيم تارة، وبالوهاب تارة ثانية، وبالعليم تارة ثالثة، وبالحميد رابعة، و بالرحيم خامساً، وبالغفّار سادساً، نظير قوله تعالى: ﴿**إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾ (٨٧)، وقوله: ﴿**الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ**﴾ (٨٨)، وقوله: ﴿**ذلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ**﴾(٨٩)، وقوله: ﴿**الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ**﴾ (٩٠)، وقوله: ﴿ **الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ**﴾ (٩١)، وقوله: ﴿**الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ**﴾ (٩٢)؛ كلّ ذلك تنبيهاً على أنّ قوام عزّته مرهون بهذه الصفات المذكورة وغيرها، فهو عزيز أي أنّه من لا يغالب في سلطانه، ولا يجاذب في حكمته وتدبيره، ولا يعزب عن علمه شيء لا في الأرض ولا في السماء، يعطي من يشاء، ويمنع من يشاء، وهو على كلّ شيء قدير.

ولعلّ ما ذكر في تعريفه لغة: (وهو الذي لا يعادله شيء)، أدقّ وأشمل، أي من لا يساويه أحد في ذاته وصفاته فهو العزيز.

وثانيهما: في معنى قدمه تعالى، قيل: (والقديم: من أسمائه تعالى، وهو الموجود الذي لم يزل، وإن شئت فسّرته بالموجود الذي ليس لوجوده ابتداء.. والقِدم بالكسر: خلاف الحدوث) [٩٣].

وما يقتضيه هذا التعريف أنّ القدم والحدوث نقيضان من المحال اجتماعهما في أمرٍ واحد؛ لأنّ معنى قدمه تعالى أنّه ليس بحادث، ومعنى أنّه حادث يعني ليس بقديم، فإذن هما صفتان متنافيتان بينهما كمال المعاندة والمنافرة.

وقوله: (بالموجود الذي ليس لوجوده ابتداء)، أي أنه لم يسبق وجوده العدم؛ لأنّه لو سبقه العدم لكان تحقّق وجوده متوقّف على علّة تفيض عليه الوجود، وتضفي على ذاته صفة الموجوديّة، فيكون بالمآل محتاجاً ومفتقراً إلى غيره، وهو خلف كونه تعالى ليس لوجوده ابتداء.

إشكالان :

الأوّل منهما: فقد يقال: إنّ غاية ما يدلّ عليه قوله عليه السلام: ((**قديماً في القدم**)) [٩٤] أنّه تعالى موصوف بالقدم، وهو لا يمنع أن يكون شيء آخر في القدم متّصفاً به، وعلى هذا فلا يكون القديم واحداً.

أقول: لو كان شيء آخر متّصفاً بالقدم فلا يخلو الأمر في ذلك، إمّا أن يكون معه، وإما قبله، فإن كان معه فلازمه أنّه ليس مخلوقاً له، غير أنّ صريح قوله تعالى: ﴿**ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ**﴾ [٩٥] يبطل هذا الفرض ويدفعه.

وإن كان قبله متقدّم عليه بالقدم، فيكون ما فرضته قديماً صار حادثاً؛ قضاء للقبليّة والبعديّة، فيكون المتقدّم عليه بالقدم هو أولى منه بالعبوديّة من الأوّل [٩٦]، وعلى هذا فيعود ما فرضته قديمًا فيبقى مجرّد وهم وخيال، ممّا ينتج من كلّ هذا أنّ القديم واحد، وليس متعدّداً، فافهم وتدبّر.

ثانيهما: فقد يقال: أنّه قد دلّت بعض الكلمات – التي قد نجدها هنا وهناك متناثرة في مطاوي كتب الدعاء – على قدم العالم نظير ما جاء في دعاء أبي حمزة الثماليّ: ((**يا قديم الإحسان أين سترك الجميل..**)) [٩٧]، أو كما جاء في دعاء الجوشن الكبير: ((**يا قديم الفضل..**)) [٩٨]، فقد يقال توهّماً: (إنّ قدم الإحسان والفضل يستلزم قدم العالم؛ لأنّ الفضل والإحسان يقتضيان الشيء الذي يفضل ويحسن عليه.

قلنا: إنّ الآيات المتضافرة والأحاديث المتواترة التي أثبتنا بها حدوث العالم تعّد من المحكمات، وإنّ ما يخالفها يعدّ من المتشابهات، وقد ثبت في محلّه لزوم إرجاع المتشابهات إلى المحكمات، ولا شبهة في أنّ المراد من القدم في هذه الأحاديث هو القدم الإضافيّ لا الحقيقيّ، ومعناه أنّه تعالى كثير الإحسان والفضل.

وأيضاً قد ثبت في بحث تعارض النصّ والظاهر من علم الأصول لزوم تقديم النصّ على الظاهر فيما لو كان أحد الدليلين قطعيّاً ونصّاً في أمر، وكان الدليل المخالف ظاهراً فيه.

وحينئذٍ فلابّد من التصرّف في ظاهر هذه الأحاديث، وحملها على القدم العرفيّ والإضافيّ، أو طرحها إن لم يمكن توجيهها، أو تأويلها؛ لأنّ الظهور لا يصادم البرهان) [٩٩].

أضف إلى ذلك أنّ قدم العالم(لو سلّم به جدلاً) لا يخلو الحال إمّا أن يكون قدم العالم متقدّم على قدمه تعالى أو متأخّراً عنه، فإن كان متقدّماً عليه يلزم منه حدوث الله تعالى وقدم العالم أي أنّ اتّصافه بالقدم يكون قد حدث له متأخّراً قضاء للقبليّة والبعديّة كما مرّ بيانها سلفاً، وهو كما ترى بيّن بطلانه، وإن كان قدمه سبحانه هو المتقدّم، فيلزم منه حدوث العالم لا محالة وهو المطلوب إثباته، وإن كانت رتبة قدمه مساوياً لقدمه سبحانه فيلزم أن لا يكون مخلوقاً، وفساده أوضح من نارٍ على منار.

المبحث الرابع: مساحات إدراك العقل بين المحظور والمسموح عند الإمام الحسن عليه السلام

دلّ قوله عليه السلام -: «**الحمد لله الواحد بغير تشبيه**» [١٠٠]، وكذلك قوله: «**فليس يخطر على قلب بشر مبلغ جبروته**[١٠١]**، ولا يبلغ الناس كنه جلاله**[١٠٢]**، ولا يفصح الواصفون منهم لكُنه عظمته، ولا تبلغه العلماء بألبابها**[١٠٣]**، ولا أهل التفكّر بتدابير أمورها**»[١٠٤] - على أحد أمرين:

أ - إخراج العقول عن حدّ التعطيل.

ب – وكذا إخراجها عن حدّ التشبيه؛ لوضوح إنّما هو أمر بين أمرين، بمعنى عدم صحّة الاعتقاد بأنّ صفاته تعالى لا يدرك منها شيئ، وهو عين التعطيل، كما أنّ الاعتقاد بالتشبيه يوقع صاحبه في حدّ التقصير أي التقصير في عدم معرفته تعالى كما ينبغي، وهذا يعطي أنّ مساحات إدراك العقول فيها جنبة متوسّطة، فهي تدرك شيئاً ولا تدرك شيئاً آخر، وهنا لابدّ عطف عنان البيان في ضمن المطلبين التاليين:

المطلب الأوّل: بيان ما لا تصل إليه العقول القاصرة بإدراكها

١ – فهي لا تدرك كنه حقيقة ذاته تعالى، فقد يُسأل أنّ حقيقة ذاته ما هي وأيّ شيء هي؟ الجواب: نحن لا ندرك هذا؛ لأنّ ذلك محرّم على العقول إدراكه، وممتنع على غوامض ثاقبات الفكر تشخيصه، فمن يعجز عن إدراك حقيقة روحه فالأولويّة القطعيّة يعجز عن إدراك حقيقة خالقها.

٢ – وأيضا أنّ العقول عاجزة عن إدراك مبلغ جبروته و حقيقة عظمته، فهي مهما جهدت وحاولت في ذلك فينقلب عليها البصر خاسئاً وهو حسير.

المطلب الثاني: بيان إدراك المساحات التي هي حقٌّ طلِقٌ للعقل

الأولى: إنّ العقل يفهم ويدرك من أنّ الكون من الذرّة إلى المجرّة يستلزم وجود المدبّر عقلاً، وتكشف بالبرهان الإنّيّ على أنّ المدبّر واحد، بمعنى أنّ وحدة العالم ووحدة النظام ووحدة التدبير المتّصل بها يدلّ عقلاً على أنّ المدبّر واحد وهو الله تعالى، وهذه من القضايا البديهيّة العقليّة التي تستكشف بأدنى تأمّلٍ والتفات من العقل.

الثانية: ومن المدركات التي تدخل في ضمن المساحات المسموح بها للعقل هي إدراك الحسن والقبح العقليّين، فإنّ العقل يستقلّ في إدراكهما والتمييز بينهما، بمعنى أنّه يدرك مستقلًّا أنّ الظلم قبيح، والعدل حسن، أي أنّه يدرك الظلم قبيح من أيّ جهة صدر سواء أكان الفاعل له هو ذات الواجب تعالى أم ذات الممكن، وسواء أكان الفاعل مؤمناً أو غير مؤمنٍ.

ومن أجل هذا، فقد اتّخذ الله تعالى من هذا الوضوح العقليّ والإدراك الجليّ سنداً لترتيب بعض أحكامه فيما يستقلّ به العقل إدراكاً، كقوله تعالى: ﴿**هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ**﴾[١٠٥]، وقوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسانِ وَإِيتاءِ ذِي القُرْبى وَيَنْهى عَنِ الْفَحْشاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**﴾[١٠٦]، وقوله تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّما حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَواحِشَ**﴾[١٠٧]، وقوله سبحانه: ﴿**يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ**﴾[١٠٨]، وقوله جلّت آلاؤه: ﴿**وَإِذا فَعَلُوا فاحِشَةً قالُوا وَجَدْنا عَلَيْها آباءَنا وَاللهُ أَمَرَنا بِها قُلْ إِنَّ اللهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشاءِ**﴾[١٠٩]، وقوله تعالى: ﴿**قُلِ اللهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ**﴾[١١٠].

فالتأمّـــــل في هذه الآيات وما تحتـــويه من مضـــامين ودلالات يُعطي أنّها قد خاطبت الإنسان بلسان وجدانه، وأوقفته على ما هو مدرك في عمق فطرته، فهو شكلٌ من أشكال إثارة دفائن العقول الخفيّة الذي نبّه عليه إمام التوحيد علي بن أبي طالب عليه السلام بقوله: ((**وَيُثِيرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ الْعُقُولِ**)) (١١١).

الثالثة: إنّ محدوديّة إدراك العقل وعدم كماله اقتضى تربيته وتأهيله بالعلم والمعرفة المتلقّاة من الوحي والعقول الكاملة المعصومة: ((**قِيلَ لَه فَهَلْ يَكْتَفِي الْعِبَادُ بِالْعَقْلِ دُونَ غَيْرِه قَالَ إِنَّ الْعَاقِلَ لِدَلَالَةِ عَقْلِه الَّذِي جَعَلَه الله قِوَامَه وزِينَتَه وهِدَايَتَه عَلِمَ أَنَّ الله هُوَ الْحَقُّ وأَنَّه هُوَ رَبُّه وعَلِمَ أَنَّ لِخَالِقِه مَحَبَّةً وأَنَّ لَه كَرَاهِيَةً وأَنَّ لَه طَاعَةً وأَنَّ لَه مَعْصِيَةً فَلَمْ يَجِدْ عَقْلَه يَدُلُّه عَلَى ذَلِكَ، وعَلِمَ أَنَّه لَا يُوصَلُ إِلَيْه إِلَّا بِالْعِلْمِ وطَلَبِه وأَنَّه لَا يَنْتَفِعُ بِعَقْلِه إِنْ لَمْ يُصِبْ ذَلِكَ بِعِلْمِه فَوَجَبَ عَلَى الْعَاقِلِ طَلَبُ الْعِلْمِ والأَدَبِ الَّذِي لَا قِوَامَ لَه إِلَّا بِه**)) (١١٢)، فإنّها دلّت بظاهرها على:

أ - أنّ نضوج العقل وكماله إنّما يكون بطلب العلم والأدب، ووصوله إلى هذه المرتبة الكبرى، والمنزلة العظمى إنما هو منوطٌ بمتابعة العقول الكاملة المعصومة ممثّلة بالنبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله، وبأهل بيت العصمة من آل محمد عليهم سلام الله جميعاً.

والرواية وإن لم يكن فيها تقييد أو إشارة من هذه الناحية إلّا أنّهم هم القدر المتيقّن منها دون أدنى ريبٍ أو شكٍّ في ذلك أكيداً.

ب- أنّ العقـــــل والشرع يرتـــــبطان بعـــــلاقة التنـــبيه والإثارة، كما وصف أمير المؤمنين عليه السلام مهمّة رسل الوحي، وحفظة الشرع بقوله: ((**وَيُثِيرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ الْعُقُولِ**)) (١١٣)، أي ليثيروا لهم تلك الجواهر ونتائج الأفكار المكنونة في غياهب العقول بالتربية والتعليم؛ بغية التعرّف على كيفيّة الاستدلال وترتيب المقدّمات وصولاً إلى أخذ النتائج الصحيحة.

ت - أنّ المستفاد من قوله عليه السلام: ((**وعَلِمَ أَنَّ لِخَالِقِه مَحَبَّةً وأَنَّ لَه كَرَاهِيَةً وأَنَّ لَه طَاعَةً وأَنَّ لَه مَعْصِيَةً فَلَمْ يَجِدْ عَقْلَه يَدُلُّه عَلَى ذَلِكَ**))، هو أنّ عقل المكلّف يعلم بالعلم الاجماليّ بوجود تكاليف منجّزة وملزمة له من جهة صاحب الشرع المقدّس، والكلام أنّه كيف يتمّ الوصول إليها والتعرّف عليها والخروج من عهدتها؟ إنه بطلب العلم أي يلزمه العلم بمعرفة القواعد

وكيفيّة تطبيق الضوابط التي تمنحه معرفة الخروج من العهدة وصولاً إلى براءة الذمّة يقيّناً.

الرابعة: ومن المساحات لإدراك العقل هو النظر في العواقب وما تؤول إليه نتائج الأمور وخواتيمها.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: ((**حَدُّ العَقلِ النَّظَرُ فِي العَواقِبِ**)) (١١٤)، أي أنّ لكلّ شيء عاقبة ومنتهى ونتيجة يُختتم به الشيء، بمعنى أنّ العاقبة هي كلّ شيء آخره (١١٥)، والعاقل من يضع الأشياء في نصابها الصحيح ويعلم عاقبة الأمور ومبادئها وما ينتج عنها من منافعها ومضارّها، والعقل في كلّ ذلك ميسور له الاستشراف بعواقب الأمور، وما تؤول إليه النتائج من خلال النظر والتدبّر في مقدّماتها، ويحسن هنا ذكر بعض الأمثلة التوضيحيّة تجليةً للمشهد بصورة أفضل:

١- فإنّه من يلقي نفسه من شاهق بعيد المدى، أو يلقي نفسه في فوّهة البركان المستعرة، فإنّ العقل يُدرك بأنّ عاقبة أمره سوف تكون هي الموت المحتّم يقيناً.

٢- على أنّ الأشياء إنّما تعرف وتقاس بخواتيمها ونتائجها، فحسن التدبير والاقتصاد المتوازن الخارج عن حدّ التقتير والتبذير يورث العاقبة الحسنة والنتيجة المحمودة؛ لأنّه من لوازم ذلك صيانة المال والاستغناء عن الناس والعيش بطمأنينة وراحة بال، وسوء عاقبة التبذير والإسراف هي الفقر وضياع الثروة، وهو مستقبحٌ ومذموم عقلاً.

٣- كما أنّ البدايات تدلّ على النهايات، وأنّ المقدّمة تبشّر بالنتيجة سلباً أو إيجاباً، وكلّ عاقل رشيد يمكنه التنبّؤ بما سيحدث ليوم غده استشرافاً من حاضره إلى وقت مستقبله، فنشاط التلميذ وحزمه وعدم التفريط بوقته يُخبرك بأنّ نجاحه أمرٌ محتّمٌ، كما أنّ كسله وتهاونه واستغراقه في لهوه وعبثه يدلّك على حتميّة عدم نجاحه ورسوبه في الامتحان، وكما أشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: ((**لِكُلِّ امْرِئٍ عَاقِبَةٌ حُلْوَةٌ أَوْ مُرَّةٌ**)) (١١٦)، و ((**لَيْسَ بِحَازِمٍ مَنْ لم يَنْظُر فِي الْعَوَاقِبِ، والنَّظَرُ فِي الْعَوَاقِبِ تَلْقِيحٌ لِلْقُلُوبِ**)) (١١٧)، بل حتّى قيل: من لم ينظر في العواقب فليس له الدهر بصاحب، أو من لم ينظر في العواقب فقد تعرّض لمفجعات النوائب.

الخامسة: معرفة تميز الكاذب والصادق على الله إنّما يكون بالعقل المجرّد من شبهات الأوهام الخادعة، كما جاء تقرير ذلك بقولهم عليهم السلام: ((**الْحُجَّةُ عَلَى الْخَلْقِ الْيَوْمَ...الْعَقْلُ يُعْرَفُ بِهِ**

الصَّـادِقُ عَـلَى الله فَيُصَدِّقُـه والْـكَاذِبُ عَـلَى الله فَيُكَذِّبُـه)) [١١٨].

ودلالته بيّنة صريحة على أنّ تمييز الصادق والكاذب عليه تعالى إنّما يُعرف بالعقل الخالص من شوائب الأوهام، والمتسلّح بمعارف شرائع الإسلام، ويمكن أن نأتي على ذكر بعض الأمثلة تعزيزاً لتجلية الفكرة بصورة أفضل وأوضح.

١ - استكشاف نسبة الكذب على الله تعالى في باب العقائد

روي عن جابر بن عبد الله أنّ رسول الله ﷺ قال: **((إن الله ينزل كلّ ليلة إلى السماء الدنيا لثلث الليل فيقول: ألا عبد من عبادي يدعوني فأستجيب له؟ ألا ظالم لنفسه يدعوني فأغفر له؟))** [١١٩].

و مفاد هذا الخبر الذي هو نزول الله بشخصه الذي هو الحركة إلى أسفل من المحال قبوله عقلاً؛ لأنّ ذاته تعالى لو كانت تتّصف بالنزول والحركة لكانت ذاته ناقصة ومن سنخ المادّة؛ لأنّ الحركة خروج من النقص إلى الكمال، أو من القوّة إلى الفعل، فتكون مفتقرة ومحتاجة إلى الغير؛ إذ الناقص محتاجٌ إلى المكمّل، والفعل إلى الفاعل، وبهذا يستكشف العقل كذب هذا الخبر، ونسبته الى رسول الله ﷺ محض افتراء جزماً.

٢ - استكشاف نسبة الكذب على رسول الله ﷺ في باب الأحكام:

أ - إنّهم رووا أنّ رسول الله ﷺ قال: **((...يا معشر قريش، أما والذي نفسي بيده ما أرسلت إليكم إلّا بالذبح وأشار بيده إلى الحلق))** [١٢٠]، فإنّ العقل يحكم باستحالة صدور مثل هذا الكلام عن رسول الله ﷺ؛ لأنّ القرآن يشهد له بخلافه، قال تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ**﴾ [١٢١]، وقال تعالى: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾[١٢٢]، إنّه تعالى أرسله رحمةً للعالمين والذبح ينافيها، على أن من وصفه الله تعالى بالخلق العظيم فمحالٌ أن يكون خلقه ونهجه الذبح، وبهذا يُعرف أنّ هذا الكلام موضوع على لسان رسول الله ﷺ.

ب- أو أنّهم زعموا أنّ النبيّ ﷺ قال للمسلمين: **((يوم حنين جزّوهم جزّاً وأومأ بيده إلى الحلق))** [١٢٣]، وهذا الكلام أيضاً يرفضه العقل ولا يسلّم به؛ لأنّ النبي ﷺ إنّما بعث إلى هدايتهم وإرشادهم إلى الحق، وليس للذبح والتشفي، على أنه لو كان الأمر كما نطق به

مدلول هذه الرواية المكذوبة فلمَ لم يقتل المشركين حين قدر عليهم، وتمّ له أسرهم؟! بل قال لهم: اذهبوا فأنتم الطلقاء، بل إنّ نفسه الشفيقة كادت أن تذهب عليهم حسرات؛ لأنّهم كانوا يقيمون على الضلال والشرك، حتى خاطبه الله تعالى بقوله: ﴿ **فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ** ﴾ (١٢٤).

المبحث الخامس: امتناع وقوع الحد على ذاته تعالى عقلاً عند الإمام الحسن عليه السلام

وأيضاً هنا بما يتصل بخصائص التوحيد يضع بين أيدينا الإمام الحسن عليه السلام مبحثاً مفتاحيّاً وبيان خصيصة من خصائصه تعالى موضحاً فيها بقوله عليه السلام: «**أعلم خلقه به الذي بالحدّ لا يصفه**»(١٢٥).

أي أنّ من كان عالماً بالله عزّ وجلّ ذاتاً وصفاتاً علماً حقيقيّاً لا يحدّه بحدود المخلوقين، والأمر في ذلك واضح؛ إذ لمّا كان ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**﴾ (١٢٦) امتنع تحديده بمن بمثله شيء ونظير، وتقريب وجه الامتناع يمكن أن يتمّ من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأوّل: أنّه تعالى لا يجري عليه التحديد العقليّ.

بمعنى أنّه تعالى يمتنع عليه الحدّ بتوسّط الجنس والفصل، وسرّ الامتناع في ذلك؛ لأنّ التحديد بهما يستلزم أن تكون ذاته تعالى مركّبة(١٢٧) منهما، والمركّب كما هو معلوم مفتقرٌ إلى أجزائه، وكلّ مفتقر ممكن الوجود، فلا يكون واجباً ذاتاً، على أنّه لو كانت ذاته تعالى مركّبة منهما لاستلزم أن يكون وجوده وجوداً فرعيّاً، لا استقلاليّة فيه؛ بل يلزم أن يكون وجوده موجودٌ لأجل جنسه، بل وتقدّم جنسه عليه في الوجود، فينتفي نعته بالأوّل.

المطلب الثاني: عدم تحديده بالمادّة والصورة

كما أنّه يمتنع تحديده بالمادّة والصورة؛ لأنّ المادّة والصورة يوجد بينهما اتّحاد وتركيب خارجاً، وهما من لوازم الجسم المقتضي للفقر والحاجة، والله تعالى منزّه من الجسم والجسمانيّات وما يستلزمها، على أنّ كلًّا من المادّة والصورة محدودة متناهية، وكلّ متناهٍ فهو محدث مخلوق، فلو جاز عليه الحدّ بالمادّة والصورة لكان الله تعالى مُحدَثاً مخلوقاً متناهياً، وهو كما ترى.

ومن أجل هذه المحاذير ونحوها جاءت كلماتهم عليهم السلام معلّلة وجه الامتناع في ذلك:

١- قال أمير المؤمنين عليه السلام: **((لَيْسَ لَه حَدٌّ يُنْتَهَى إِلَى حَدِّه ولَا لَه مِثْلٌ فَيُعْرَفَ بِمِثْلِه))** (١٢٨).

٢- وعنه عليه السلام: **((لَا يُحَدُّ ولَا يُبَعَّضُ))** (١٢٩).

٣- وعنه أيضاً عليه السلام: **((كُلَّ مَا قَدّرَهُ عَقْلٌ أَوْ عرفَ لهُ مِثْلٌ فَهُوَ مَحْدُودٌ))** (١٣٠).

٤-وعنه أيضاً عليه السلام: **((مُحَرَّمٌ عَلى بَوارِعِ ناقِباتِ الفِطَنِ تَحديدُه))** (١٣١).

٥- وعن أبي الحسن الرضا عليه السلام: **((لا يَتَغَيَّرُ اللهُ بِانغِيارِ المَخلوقِ، كَما لا يَتَحَدَّدُ بِتَحديدِ المَحدودِ))** (١٣٢).

الخاتمة

فقد تلخّص من جميع ما تقدّم جملة من أهمّ ما توصّل له الباحث، وهي كالآتي:

١- إنّ الإمام الحسن ﷺ قد وضّح إنّ معنى توحيده تعالى أنّه واحد أحديّ المعنى أي أنّه تعالى لا ينقسم في وجود ولا في عقل ولا في وهم.

٢- كما أنّه ﷺ بيّن أن ذاته تعالى تجلّ عن التشبيه؛ لأنّ الاعتقاد بالتشبيه يؤدّي الكفر والشرك بالله العظيم، بل والحكم بنجاسته فقهيّاً.

٣- وقد خصّ ﷺ أيضاً أنّ صفاته تعالى لا تشابه صفات المخلوقين بقاءً ودواماً وقياماً وخلقاً وعلماً وقدرة، وأنّه تعالى يباين خلقه ذاتاً وصفاتاً.

٤- وقد أعطى ﷺ توضيحاً وتنبيهاً إلى أنّ إدراك مساحات العقول محدودة في إدراكها، فهي تدرك شيئاً، ولا تدرك أشياء كثيرة إلّا بتعليم من الوحي ومعدن العصمة ﷺ.

٥- كما أنّه ﷺ أشار موضّحاً إلى استحالة تحديده تعالى، سواء أكان بالتحديد العقليّ أو بالمادّة والصورة؛ لأنّ تحديده بهما يؤدّي للقول بتركيبه وافتقاره وحاجته إلى غيره.

الهوامش

١- قال ابن أبي الحديد: (وذهب بعض متكلّمي المجسّمة إلى أنّ البارئ تعالى مركّب من أعضاء على حروف المعجم.. وحكى أبو إسحاق النظّام، ومحمد بن عيسى برغوث أنّ قوماً قالوا: إنّه تعالى الفضاء نفسه، وليس بجسم؛ لأنّ الجسم يحتاج إلى مكان، ونفسه مكان الأشياء)، شرح نهج البلاغة: ٣/ ٢٢٧.

٢- نقله ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة: ٣/ ٢٢٧.

٣-نقله ابن أبي الحديد بقوله: (ورووا أنّه ينزل إلى السماء الدنيا في نصف شعبان، وأنّه جالس على العرش، قد فضل منه أربع أصابع من كلّ جانب)، شرح نهج البلاغة: ٣/ ٢٢٦.

٤- نقله أبن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة: ٣/ ٢٢٧.

٥- سورة الشورى: من الآية ١١.

٦- سورة طه: من الآية ١١٠.

٧- سورة الأنعام: من الآية ١٠٣.

٨- نهج البلاغة:٣٩.

٩- سورة الأنبياء: من الآية ٢٥.

١٠- سورة الحشر: من الآية الثانية.

١١- نهج البلاغة (خطب الإمام علي عليه السلام، تحقيق صالح): ٥٠٦.

١٢- ميزان الحكمة: ٣/ ٣٠٣٨.

١٣- الكافي: ١/ ١١، كتاب العقل والجهل، ح ٦.

١٤- نهج البلاغة (خطب الإمام علي عليه السلام، تحقيق صالح): ١٥٨

١٥-سورة الروم: آية ٣٠.

١٦- تفسير فرات الكوفّي: ٧٩، بحار الأنوار: ٤٣/ ٣٥١.

١٧- هذا مقطع من دعاء أهل التصوّف قد كتب على حاشية نسخة من نسخ الإقبال، وتوهّم كونه لسيّد الشهداء عليه السلام.

١٨-دروس في الفلسفة الإسلامية(عبد الجبار الساعدي):٢٠٤، و٢٠٥.

١٩-طبيعيّ أنّ مثل هذا التركيب، هو تركيب عقلّي لا خارجيّ، فالعقل هو الذي يقوم بتحليل النوع، فيؤدّي به اكتشافه إلى كونه مركّباً من الجنس والفصل.

٢٠- مراده من عدم الجواز هو الاستحالة العقليّة، أي أنّ ذلك يستحيل عقلًا.

٢١-التوحيد(الشيخ الصدوق):٨٤.

٢٢- كما علّل ذلك أمير المؤمنين عليه السلام في الجواب عن سؤال الأعرابّي، ينظر: التوحيد(الشيخ الصدوق):٨٤.

٢٣- تفسير فرات الكوفي: ٧٩، بحار الأنوار: ٤٣/ ٣٥١.

٢٤- سورة الرحمن: من الآية ٢٧.

٢٥-الكافي(محمد بن يعقوب الكلينيّ): ١/ ١٤٠.

٢٦-الكمّ المنفصل: هو العرض الذي يقتضي الانقسام لذاته، هو العدد فقط، كالعشرين والثلاثين.
٢٧- تفسير فرات الكوفي: ٧٩، بحار الأنوار: ٤٣/ ٣٥١.
٢٨-التوحيد(الشيخ الصدوق): ٨٤.
٢٩-الدليل على موضوعات نهج البلاغة(علي أنصاريّان): ٦٧٣.
٣٠- تفسير فرات الكوفي: ٧٩، بحار الأنوار: ٤٣/ ٣٥١.
٣١-الصحاح: ٦/ ٢٢٣٦، مادّة (شبه).
٣٢-الفروق اللغويّة: ٤٨٠.
٣٣-المصدر نفسه.
٣٤-المصدر نفسه.
٣٥-الشورى: آية ١١.
٣٦-المصدر نفسه.
٣٧- تفسير فرات الكوفي: ٧٩، بحار الأنوار: ٤٣/ ٣٥١.
٣٨-فصوص الحكم (ابن عربي): ١/ ١٨١.
٣٩-المصدر نفسه.
٤٠-شرح فصوص الحكم (محمد داود قيصريّ روميّ): ٥٠١.
٤١- معنى الاستبطان: هو أن يكون ذات الموضوع مستبطناً لحكمه، كما يستبطن(٢+٢) للأربعة.
٤٢-سورة الشورى: آية ١١.
٤٣-بحار الأنوار: ٤/ ٥٤.
٤٤-التوحيد(الشيخ الصدوق): ٣٦٤.
٤٥-هداية الأمّة إلى أحكام الأئمّة ﷺ: ٨/ ٤١.
٤٦-المبسوط: ١/ ١٤.
٤٧-منتهى المطلب: ٣/ ٢٢٤.
٤٨-البيان: ٦٩.
٤٩-كشف اللثام: ١/ ٤٠٤.
٥٠- سورة طه: آية ٥.
٥١- سورة الفجر: آية ٢٢.
٥٢-كتاب الطهارة(السيّد الكلبيكاني): ٣١٢.
٥٣- تفسير فرات الكوفي: ٧٩، بحار الأنوار: ٤٣/ ٣٥١.
٥٤-قال الشيخ المظفّر وهو في صدد تعريف الخبر الواحد: (إنّ خبر الواحد وهو ما لا يبلغ حدّ التواتر من الأخبار، وأمّا الخبر المفيد للعلم فيما إذا احتفّ خبره بقرائن توجب العلم بصدقه، فإنّه لا شكّ في أنّ مثل هذا الخبر حجّة، وهذا لا بحث لنا فيه؛ لأنّه مع حصول العلم تحصل الغاية القصوى؛ إذ ليس وراء العلم غاية في

الحجّيّة، وإليه تنتهي حجّيّة كلّ حجّة). ينظر: أصول الفقه: ٣/ ٧٣.
٥٥- منهم: السيّد المرتضى في رسائله: ١/ ٢١١، والشيخ الطوسّي في العدّة في أصول الفقه:١/ ١٣١، وابن إدريس في السرائر: ١ / ٥٠ ــ٥١، والشهيد الثاني في المقاصد العليّة: ٤٥، والشيخ الأنصاريّ في فرائد الأصول: ١/ ٥٥٦، والشيخ الآخوند الخراسانّي في كفاية الأصول: ٣٢٩.
٥٦-سورة الشورى: من الآية ١١.
٥٧- المصدر نفسه.
٥٨- المصدر نفسه.
٥٩- تفسير فرات الكوفي: ٧٩، بحار الأنوار: ٤٣/ ٣٥١.
٦٠- سورة الرعد: من الآية ١٦.
٦١- تفسير فرات الكوفي: ٧٩، بحار الأنوار: ٤٣/ ٣٥١.
٦٢-مصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة): ١/ ٨٣.
٦٣-شرح نهج البلاغة(ابن ميثم البحرانّي): ٣/ ٥١.
٦٤- سورة الرعد: من الآية ٣٣.
٦٥- سورة الملك: من الآية ١٤.
٦٦- سورة آل عمران: من الآية ١٨.
٦٧- سورة البقرة: من الآية ١٠٦.
٦٨- سورة السجدة: من الآية ٦.
٦٩- سورة النساء: من الآية ١٢٦.
٧٠- أعني العلم والعدل والقدرة والتدبير والإحاطة والقيّوميّة.
٧١-أي سواء أكانت من الكيفيّات النفسيّة كالانفعالات وما أشبه، أو من الكيفيّات الملموسة كالحرارة والرطوبة ونحوهما، أو من الكيفيّات الاستعداديّة وهي القوّة واللاقوّة، ونحو ذلك من أقسام الكيفيّات.
٧٢- وقد علّل رسول الله ﷺ - في جوابه على سؤال اليهوديّ سّر امتناع اتّصاف ذاته تعالى بالكيف - بقوله: ((والْكَيْفُ مَخْلُوقٌ والله لَا يُوصَفُ بِخَلْقِه))، الكافي(الشيخ الكلينيّ): ١/ ٩٤، باب النهي عن الكلام في الكيفيّة، ح ٩.
٧٣- تفسير الميزان: ٢/ ٣٣١.
٧٤- تفسير فرات الكوفي: ٧٩، بحار الأنوار: ٤٣/ ٣٥١.
٧٥- قال الزبيديّ: (نصب، كفرح: أعيا ..وذو منصبة: فيه كدّ وجهد)، تاج العروس:٢/ ٤٣٣، مادّة ((نصب)).
٧٦-منهاج البراعة: ١٠/ ٣٧٨.
٧٧- سورة يس: الآية ٨٢.
٧٨- سورة العنكبوت: الآية ٢٠.

٧٩-بداية الحكمة(السيّد الطباطبائيّ): ٢١٦.
٨٠-سورة الرعد: الآية ١٦.
٨١- سورة فاطر: الآية ٤٤.
٨٢-سورة يس: الآية ٨٢.
٨٣-سورة الأعراف: الآية ٥٤.
٨٤- تفسير فرات الكوفي: ٧٩؛ بحار الأنوار: ٤٣/ ٣٥١.
٨٥-مجمع البحرين: ٤/ ٢٦.
٨٦-التبيان في تفسير القرآن: ١/ ٤٦٧.
٨٧-سورة البقرة: الآية ١٢٩.
٨٨-سورة ص: الآية ٩.
٨٩-سورة الأنعام: الآية ٩٦.
٩٠-سورة إبراهيم: الآية ١.
٩١-سورة الشعراء: الآية ٦٨.
٩٢-سورة ص: الآية ٦٦.
٩٣- مجمع البحرين: ٦/ ١٣٥.
٩٤- تفسير فرات الكوفي: ٧٩، بحار الأنوار: ٤٣/ ٣٥١.
٩٥-الأنعام: ١٠٢.
٩٦-أي ما فرضته أوّلًا بأنّه هو الأوّل.
٩٧-البلد الأمين (الكفعميّ): ٢٠٦.
٩٨-المصدر نفسه: ٤٠٥.
٩٩-وجود العالم بعد العدم عند الإماميّة (السيّد قاسم الأحمديّ): ١٠٠ - ١٠١.
١٠٠- تفسير فرات الكوفي: ٧٩، بحار الأنوار: ٤٣/ ٣٥١.
١٠١-جبر: في أسماء الله تعالى (الجبّار)، ومعناه الذي يقهر العباد على ما أراد من أمر ونهي، يقال: جبر الخلق وأجبرهم، وأجبر أكثر، وقيل هو العالي فوق خلقه، النهاية في غريب الحديث والأثر:١/ ٢٣٥.
١٠٢-كُنْهُ الشيءِ: حَقيقَتُهُ وكَيْفيَّتُهُ.. وقوْلهُم: لا يَكْتَنِهُه الوَصْفُ بمعْنَى لا يَبْلغ كُنْهَه، تاج العروس:١٩/ ٨٨، والجليل من أسمائه تعالى، وهو راجع إلى كمال الصفات، كما أنّ الكبير راجع إلى كمال الذات، والعظيم راجع إلى كمال الذات والصفات، مجمع البحرين:٥/ ٣٤٠. .
١٠٣-اللبّ: العقل، والجمع الألباب، وقد جمع على ألب، الصحاح: ١/ ٢١٦.
١٠٤- تفسير فرات الكوفي: ٧٩، بحار الأنوار: ٤٣/ ٣٥١.
١٠٥-الرحمن: آية ٦٠.
١٠٦-النحل: آية ٩٠.

١٠٧-الأعراف: آية ٣٣.
١٠٨-الأعراف : اية ١٥٧.
١٠٩-الأعراف: آية ٢٨.
١١٠-يونس: آية ٣٥.
١١١-نهج البلاغة (خطب الإمام علي، ﷺ تحقيق صالح): ٥٣.
١١٢-الكافي(الشيخ الكلينيّ): ١/ ٢٩.
١١٣-نهج البلاغة (خطب الإمام علي، ﷺ تحقيق صالح): ٥٣.
١١٤-ميزان الحكمة (محمد الريشهريّ):٣/ ٢٠٥٤.
١١٥-معجم مقاييس اللغة: ٧٩.
١١٦-نهج البلاغة(خطب الإمام علي ﷺ):٤/ ٤٠.
١١٧-مستدرك سفينة البحار (الشيخ علي النمازيّ الشاهروديّ):٢/ ١٨٢.
١١٨-الكافي(الشيخ الكلينيّ):١/ ٢٥.
١١٩-عمدة القاري(العيني): ٧/ ١٩٨.
١٢٠-مجمع الزوائد(الهيثمي): ٧/ ١٦.
١٢١-الأنبياء: ١٠٧.
١٢٢-القلم: ٤.
١٢٣-مجمع الزوائد(الهيثميّ): ٦/ ١٨١.
١٢٤-فاطر: ٨.
١٢٥- تفسير فرات الكوفي: ٧٩، بحار الأنوار: ٤٣/ ٣٥١.
١٢٦-الشورى: آية ١١.
١٢٧-أي فيلزم أن يكون مركّباً من الأجزاء العقليّة.
١٢٨-الكافي(الكلينيّ): ١/ ١٤٢.
١٢٩-المصدر نفسه: ١/ ٨٩.
١٣٠-التوحيد(الشيخ الصدوق): ٧٩.
١٣١-المصدر نفسه: ٧٠.
١٣٢-المصدر نفسه: ٣٧.

المصادر والمراجع

* أصول الفقه (الشيخ محمد رضا المظفّر ت١٣٨٣ هـ)، الناشر: مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرّفة.

* بحار الأنوار (العلّامة المجلسيّ ت١١١١ هـ)، تحقيق : محمد الباقر البهبوديّ، الطبعة : الثانية المصحّحة، سنة الطبع : ١٤٠٣ - ١٩٨٣ م، الناشر: مؤسّسة الوفاء - بيروت - لبنان.

* البيان: (الشهيد الأوّل ت ٧٨٦ هـ)، تحقيق: الشيخ محمد الحسّون، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤١٢هـ، المطبعة: المطبعة: صدر - قم، الناشر .

* بداية الحكمة (السيّد الطباطبائيّ ت١٤٠٢هـ)، تحقيق: عباس علي الزارعيّ السبزواريّ، سنة الطبع: ١٤١٨هـ، الناشر: مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرّفة.

* البلد الأمين والدرع الحصين (الشيخ إبراهيم الكفعميّ ت٩٠٥ هـ)، سنة الطبع: ١٣٨٣، المطبعة: چاپ أفست مروي، الناشر: مكتبة الصدوق - طهران - بازار سراى اردیبهشت.

* تفسير الميزان (السيّد الطباطبائيّ ت١٤٠٢هـ)، الناشر: مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرّفة.

* التبيان في تفسير القرآن(الشيخ الطوسيّ ت٤٦٠هـ)، تحقيق وتصحيح: أحمد حبيب قصير العامليّ، الطبعة: الأولى ، سنة الطبع: رمضان المبارك ١٤٠٩، المطبعة: مطبعة مكتب الإعلام الإسلاميّ، الناشر : مكتب الإعلام الإسلاميّ.

* تفسير فرات الكوفيّ (فرات بن إبراهيم الكوفيّ ت٣٥٢ هـ)، تحقيق: محمد الكاظم، الطبعة : الأولى، سنة الطبع : ١٤١٠ - ١٩٩٠ م، الناشر: مؤسّسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الاسلاميّ، طهران.

* التوحيد (الشيخ الصدوق ت٣٨١ هـ)، تحقيق وتصحيح وتعليق: السيّد هاشم الحسينيّ الطهرانيّ، الناشر: مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرّفة.

* تاج العروس(الزبيديّ ت ١٢٠٥هـ)، تحقيق: علي شيري، سنة الطبع: ١٤١٤ - ١٩٩٤م، المطبعة: دار الفكر - بيروت، الناشر : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت.

* جواهر الكلام : (الشيخ الجواهريّ ت١٢٦٦هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عباس القوچانيّ، الطبعة: الثانية، سنة الطبع: ١٣٦٥ ش، المطبعة: خورشيد، الناشر: دار الكتب الإسلاميّة - طهران.

* رسائل الشريف المرتضى: (الشريف المرتضى ت ٤٣٦هـ)، تحقيق: تقديم: السيّد أحمد الحسينيّ/ إعداد: السيّد مهدي الرجائيّ، سنة الطبع: ١٤٠٥هـ، المطبعة: مطبعة سيّد الشهداء - قم، الناشر: دار القرآن الكريم - قم.

* السرائر: (ابن إدريس الحلّيّ ت ٥٩٨هـ)، تحقيق: لجنة التحقيق، الطبعة: الثانية، سنة الطبع: ١٤١٠ هـ ، المطبعة : مطبعة مؤسّسة النشر الإسلاميّ، الناشر: مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرّفة.

* شرح المصطلحات الفلسفيّة: إعداد قسم الكلام في مجمع البحوث الإسلاميّة، الطبعة: الأولى، سنة الطبع ١٤١٤هـ ، الناشر: مجمع البحوث الإسلاميّة، الطبعة: مؤسسة الطبع والنشر في الآستانة الرضويّة المقدّسة.

* شرح نهج البلاغة(ابن ميثم البحرانيّ ت٦٧٩هـ)، تحقيق: عدّة من الأفاضل، الطبعة: الأولى: سنة الطبع: تابستان ١٣٦٢ش، المطبعة: چاپخانه دفتر تبليغات إسلاميّ، الناشر: مركز النشر مكتب الإعلام الإسلاميّ - الحوزة العلميّة - قم - إيران.

* شرح نهج البلاغة(ابن أبي الحديد ت ٦٥٦ هـ)، الناشر: دار إحياء الكتب العربيّة - عيسى البابي الحلبيّ وشركاه.
* شرح فصوص الحكم (محمد داود قيصري رومي)، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٣٧٥ ش، المطبعة: شركة انتشارات علمي وفرهنگي، الناشر: شركة انتشارات علمي وفرهنگي.
* الصحاح(الجوهري ٣٩٣ هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور العطّار، الطبعة: الرابعة، سنة الطبع: ١٤٠٧ - ١٩٨٧ م، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت - لبنان.
* العدّة في أصول الفقه (عدّة الأصول) (الشيخ الطوسيّ ت٤٦٠هـ)، تحقيق: محمد مهدي نجف، المطبعة: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام للطباعة والنشر، الناشر: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام للطباعة والنشر.
* فرائد الأصول: (الشيخ الأنصاريّ ت١٢٨١هـ)، تحقيق: إعداد: لجنة تحقيق تراث الشيخ الأعظم، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: شعبان المعظّم ١٤١٩، المطبعة: باقري - قم، الناشر: مجمع الفكر الاسلاميّ.
* كتاب الطهارة: (السيّد الگلپايگانيّ ت ١٤١٤هـ)، الناشر: دار القرآن الكريم للعناية بطبعه ونشر علومه - قم - إيران.
* الكافي: (الشيخ الكلينيّ ت٣٢٩هـ)، تحقيق وتصحيح وتعليق : علي أكبر الغفاريّ، الطبعة : الخامسة، سنة الطبع : ١٣٦٣ ش، المطبعة : حيدري، الناشر : دار الكتب الاسلاميّة - طهران.
* كفاية الأصول: (الآخوند الخراسانيّ ت١٣٢٩هـ)، تحقيق: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، الطبعة: الأولى، سنة الطبع : ربيع الأول ١٤٠٩ هـ، المطبعة: مهر - قم، الناشر: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث - قم المشرفة.
* كشف اللثام: الفاضل الهنديّ ت١١٣٧هـ، تحقيق: مؤسّسة النشر الاسلاميّ، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤١٦هـ، الناشر: مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرّفة.
* منهاج الصالحين: (الشيخ الوحيد الخراسانيّ ، معاصر).
* منتهى المطلب: العلّامة الحلّيّ: (ت ٧٢٦ هـ، تحقيق : قسم الفقه في مجمع البحوث الاسلاميّة، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤١٤هـ ، المطبعة: مؤسّسة الطبع والنشر في الآستانة الرضويّة المقدّسة، الناشر: مؤسّسة الطبع والنشر في الآستانة الرضويّة المقدّسة.
* المبسوط: (الشيخ الطوسيّ ت٤٦٠هـ)، تحقيق وتصحيح وتعليق : السيّد محمد تقي الكشفيّ، سنة الطبع: ١٣٨٧، المطبعة: المطبعة الحيدريّة - طهران، الناشر: المكتبة المرتضويّة لإحياء آثار الجعفريّة.
* ميزان الحكمة(محمد الريشهريّ معاصر)، تحقيق : دار الحديث، الطبعة : الأولى، المطبعة: دار الحديث، الناشر: دار الحديث.
* المقاصد العليّة في شرح الرسالة الألفيّة: (الشهيد الثاني ت ٩٦٥ هـ)، تحقيق: مركز الأبحاث والدراسات الإسلاميّة - محمد الحسون / قسم إحياء التراث الإسلامي، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤٢٠ - ١٣٧٨ ش، المطبعة: مطبعة مكتب الإعلام الإسلاميّ، الناشر: مركز انتشارات دفتر تبليغات إسلامي - مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلاميّ.
* المعالم الزلفى في شرح العروة الوثقى: (الشيخ عبد النبي النجفيّ العراقيّ ت١٣٨٥هـ): سنة الطبع: ١٣٨٠ - ١٣٣٩ ش، المطبعة: علمية - قم.
* مصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) (الميرجهاني ت ١٣٨٨هـ)، سنة الطبع: ١٣٨٨.
* منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة(حبيب الله

الهاشميّ الخوئيّ ت١٣٢٤هـ)، تحقيق: سيّد إبراهيم الميانجي، المطبعة: مطبعة الإسلاميّة بطهران، الناشر: بنياد فرهنگ إمام المهديّ ﷺ.
* مجمع البحرين(الشيخ فخر الدين الطريحيّ ت١٠٨٥هـ)، الطبعة: الثانية، سنة الطبع: شهريور ماه ١٣٦٢ ش، المطبعة: چاپخانهء طراوت، الناشر: مرتضويّ.
* معجم مقاييس اللغة (أحمد بن فارس بن زكريّا ت٣٩٥ هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، سنة الطبع: ١٤٠٤، المطبعة: مكتبة الإعلام الإسلاميّ، الناشر: مكتبة الإعلام الإسلاميّ.
* نهج البلاغة (خطب الإمام علي ﷺ)تحقيق صالح)، تحقيق: ما اختاره وجمعه الشريف الرضيّ، ضبط نصّه وابتكر فهارسه العلمية: الدكتور صبحي صالح، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٣٨٧ ـ ١٩٦٧ م .
* النهاية في غريب الحديث والأثر(مجد الدين ابن الأثير ت ٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاويّ ، محمود محمد الطناحيّ، الطبعة: الرابعة، سنة الطبع : ١٣٦٤ ش، الناشر : مؤسّسة إسماعيليّان للطباعة والنشر والتوزيع - قم - إيران.
* وجود العالم بعد العدم عند الإماميّة (السيّد قاسم علي الأحمديّ معاصر)، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤٢٢، الناشر: انتشارات مولود كعبة.
* هداية الأمّة إلى أحكام الأئمّة ﷺ (الحرّ العامليّ ت١١٠٤هـ)، الطبعة : الأولى، سنة الطبع: ١٤١٤هـ، المطبعة: مؤسّسة الطبع والنشر التابعة للآستانة الرضويّة المقدّسة، الناشر : مجمع البحوث الاسلاميّة - مشهد - إيران

دور الإمام الحسن عليه السلام
في التصدّي للتضليل الإعلاميّ

الشيخ حميد الجاف

ملخص البحث

لقد أدى الإمام الحسن عليه السلام دوراً مهمّاً ورائداً في التصدّي للنواصب وكشف مؤامراتهم على الإسلام إذ كان هدفهم تحريف الدين فضلاً عن تشويه التاريخ الناصع لأهل البيت الأطهار أهل الذكر الحقيقيّين ، فمثّل سفينة نبيّ الله نوح عليه السلام في زمانه من تشابه وتماثل وتطابق ليمثّل وجهاً حقيقيّاً وصورة ناصعة لإعادة التاريخ نفسه لتتجسّد سفينة نوح بما فعله الإمام الحسن عليه السلام في كل مواقفه التي استغرقت عشر سنوات بين استشهاد أبيه أمير المؤمنين عليه السلام وبين استشهاده عليه السلام.

فقام بهذا الدور الخطير على أتمّ وجهٍ وأجلى صورةٍ حيث تمخّض دوره وحركته الإصلاحيّة عن مكافحة الفساد الأمويّ الناصبيّ المضلّل في محورين رئيسين الأوّل: التصدّي للنواصب بالردّ المباشر عليهم وتكذيبهم وفضحهم أمام الناس، والثاني: نشر فضائل أهل البيت عليهم السلام وأمير المؤمنين عليه السلام، فكان هذان المحوران والمساران الرئيسان يكمّل بعضهما بعضاً ويؤيّد أحدهما الآخر، فحرص الإمام المجتبى عليه السلام على تأديته لهذا الدور الرائد والخطير في الأمّة وجعله محور إمامته ودوره الأساس الخطير والأصيل في مدة إمامته عليه السلام، فاتّسمت حركته المباركة وجهاده الكلاميّ بدقّة العرض وقوّة الحجّة والبرهان والتصدّي للمناظرات والخطب، وكلّ فرصة يمكن فيها البيان، ودعم كلّ كلمة له فيها بالدليل والبرهان المتّفق عليه كآيات الذكر الحكيم والسنّة النبويّة المتواترة.

المقدّمة

لقد أدى الإمام الحسن المجتبى عليه السلام دوراً مهمّاً ورائداً في التصدّي للنواصب وكشف مؤامراتهم على الإسلام وأهله على الصعيد الإعلاميّ التضليليّ التي تتلخّص في:

١. محاولتهم بشتّى الوسائل الشيطانيّة المتاحة لهم أن يحرّفوا الدين فضلاً عن محاولتهم طمس التاريخ الناصع لأهل البيت الأطهار أهل الذكر الحقيقيّين وأفضليّتهم ووجوب اتّباعهم وطاعتهم وولايتهم عن طريق شراء ذمم بعض الصحابة والتابعين للكذب والافتراء، ووضع الروايات المقابلة والمضادّة لفضائلهم عليهم السلام لتفريغ تلك الفضائل عن محتواها ومعناها وقوّتها وقيمتها ومن ثمّ تسبّب ذلك في إهمالها كوضع حديث (كتاب الله وسنّتي)[١] وحديث(سيّدا كهول أهل الجنّة)[٢] وحديث (خوخة أبي بكر) [٣]و(اللهمّ أعزّ الإسلام بأحد العمرين)[٤] وفضل الثريد والصديقة والصديق والفاروق.. إلى عشرات الأكاذيب التي يكذّبها ويناقضها الواقع الخارجيّ.

٢. قيامهم بالافتراء والتشويه لمنزلة سادة الخلق الطاهرين، فضلاً عن إلى سبّ ولعن أمير المؤمنين عليه السلام في بدعة سنّوها ليشيب عليها الصغير ويهرم خلالها الكبير، ونشر هذه الثقافة وجعلها حقيقة لا يمكن التنازل عنها أو تكذيبها حتّى نسلمّ بها كسنّة اسلاميّة عباديّة ضروريّة تختم بها خطب الجمع وتعقّب بها الصلوات ويوردها أئمّتهم كالأذكار ليل نهار.

٣. تعرّض الإمام الحسن عليه السلام نفسه لتشويه الصورة والافتراء والكذب عليه محاولة منهم لإزالة قداسته وإجلاله ومنزلته العظيمة ومقبوليّته عند الأمّة جمعاء ومحبّته في قلوب الناس بوصفه سبط رسول الله صلى الله عليه وآله وريحانته وسيّد شباب أهل الجنّة وصدق لهجته وحسن سمته وهيبته، ولذلك قاموا ببثّ سمومهم وخبثهم من الدعايات الإعلاميّة المضلّلة والادّعاءات البعيدة ينزّه عنها أبسط مؤمن ناهيك عن سيّد شباب أهل الجنّة ومن تربّى بأحضان رسول الله صلى الله عليه وآله وفاطمة الزهراء وأمير المؤمنين وسيّد الوصيّين، فحاولوا تصوير الإمام الحسن السبط عليه السلام بأنّه مزواج مطلاق، وأنّه يبذخ ويسرف في صرف الأموال، وباع الخلافة لمعاوية لأجل الحصول على الأموال والمغانم، وأنّه لا يجيد الكلام ولا الخطابة ولا المناظرة، وأنّه لا يجيد السياسة والقيادة بحيث أنّه استسلم لمعاوية وخسر الحرب وفشل في التصدّي له؛ لأنّه لم يجد اختيار قادة جيشه

ولم يكن محبوباً بحيث تعرّض لعدّة محاولات اغتيال من جنده أنفسهم وبعض أفراد جيشه وتعرّض للتجاوز والسبّ والشتم بعد الهدنة والصلح، فطعنوا بذلك في شخصيّته ومصداقيّته وقلّلوا من قدره من جميع الجهات والجوانب والحيثيّات.

الحملة الاعلاميّة الأمويّة المضلّلة:

يكفي أن نذكر لإثبات هذه الحقيقة كلام رجل سنّيّ محايد منصف دون أن نذكر رواياتنا الشيعيّة التي تثبت هذه الحقيقة المتواترة حتّى عند الخصوم.

وقد أثبت هذه الحقيقة أحد علماء المعتزلة وهو ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة بقوله:

(ذكر بعض ما مني به آل البيت من الأذى والاضطهاد):

...وقد روي أنّ أبا جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام قال لبعض أصحابه: يا فلان، ما لقينا من ظلم قريش إيّانا وتظاهرهم علينا، وما لقي شيعتنا ومحبّونا من الناس، إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قبض وقد أخبر أنّا أولى الناس بالناس فتمالأت علينا قريش حتّى أخرجت الأمر عن معدنه واحتجّت على الأنصار بحقّنا وحجّتنا ثمّ تداولتها قريش واحد بعد واحد حتّى رجعت إلينا فنكثت بيعتنا ونصبت الحرب لنا، ولم يزل صاحب الأمر في صعود كؤود حتّى قتل، فبويع الحسن ابنه وعوهد ثمّ غدر به وأسلم ووثب عليه أهل العراق حتّى طعن بخنجر في جنبه ونهبت عسكره وعولجت خلاليل أمّهات أولاده، فوادع معاوية وحقن دمه ودماء أهل بيته وهم قليل حقّ قليل، ثمّ بايع الحسين عليه السلام من أهل العراق عشرون ألفاً ثمّ غدروا به وخرجوا عليه وبيعته في أعناقهم وقتلوه ثمّ لم نزل -أهل البيت- نستذلّ ونستضام ونقصى ونمتهن ونحرم ونقتل ونخاف ولا نأمن على دمائنا ودماء أوليائنا، ووجد الكاذبون الجاحدون لكذبهم وجحودهم موضعاً يتقرّبون به إلى أوليائهم وقضاة السوء وعمّال السوء في كلّ بلدة، فحدّثوهم بالأحاديث الموضوعة المكذوبة ورووا عنّا ما لم نقله وما لم نفعله ليبغضونا إلى الناس وكان عظم ذلك وكبره زمن معاوية بعد موت الحسن عليه السلام، فقتلت شيعتنا بكلّ بلدة وقطّعت الأيدي والأرجل على الظنّة، وكان من يذكّر بحبّنا والانقطاع إلينا سجن أو نهب ماله أو هدّمت داره، ثمّ لم يزل البلاء يشتدّ ويزداد إلى زمان عبيد الله بن زياد قاتل الحسين عليه السلام ثمّ جاء الحجّاج

فقتلهم كلّ قتلة وأخذهم بكلّ ظنّة وتهمة حتّى أنّ الرجل ليقال له زنديق أو كافر أحب إليه من أن يقال شيعة علي، وحتّى صار الرجل الذي يذكر بالخير -ولعلّه يكون ورعاً صدوقاً -يحدّث بأحاديث عظيمة عجيبة من تفضيل بعض من قد سلف من الولاة ولم يخلق الله تعالى شيئاً منها ولا كانت ولا وقعت، وهو يحسب أنّها حقّ؛ لكثرة من قد رواها ممّن لم يعرف بكذب ولا بقلّة ورع[٥].

ثمّ أتبع ابن أبي الحديد المعتزليّ ذلك فقال: (وروى أبو الحسن علي بن محمد المدائنيّ في كتاب الأحداث:

قال: كتب معاوية نسخة واحدة إلى عمّاله بعد عام الجماعة أن برئت الذمّة ممّن روى شيئاً من فضل أبي تراب وأهل بيته، فقامت الخطباء في كلّ كورة وعلى كلّ منبر يلعنون علياً ويبرؤون منه ويقعون فيه وفي أهل بيته، وكان أشدّ الناس بلاء حينئذٍ أهل الكوفة؛ لكثرة من بها من شيعة علي عليه السلام ، فاستعمل عليهم زياد بن سميّة وضمّ إليه البصرة، فكان يتتبّع الشيعة وهو بهم عارف؛ لأنّه كان منهم أيّام علي عليه السلام، فقتلهم تحت كلّ حجر ومدر وأخافهم وقطّع الأيدي والأرجل وسمل العيون وصلبهم على جذوع النخل وطرّفهم وشرّدهم عن العراق، فلم يبق بها معروف منهم.

وكتب معاوية إلى عمّاله في جميع الآفاق ألّا يجيزوا لأحدٍ من شيعة علي وأهل بيته شهادة، وكتب إليهم أن انظروا من قبلكم من شيعة عثمان ومحبّيه وأهل ولايته والذين يروون فضائله ومناقبه، فادنوا مجالسهم وقرّبوهم وأكرموهم واكتبوا لي بكلّ ما يروى كلّ رجل منهم واسمه واسم أبيه وعشيرته، ففعلوا ذلك حتّى أكثروا في فضائل عثمان ومناقبه لمّا كان يبعثه إليهم معاوية من الصلات والكساء والحباء والقطائع ويفيضه في العرب منهم والموالي، فكثر ذلك في كلّ مصر وتنافسوا في المنازل والدنيا، فليس يجيئ أحد مردود من الناس عاملاً من عمّال معاوية فيروي في عثمان فضيلة أو منقبة إلّا كتب اسمه وقرّبه وشفّعه، فلبثوا بذلك حيناً.

ثمّ كتب إلى عمّاله: إنّ الحديث في عثمان قد كثر وفشا في كلّ مصر وفي كلّ وجه وناحية، فإذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء الأوّلين ولا تتركوا خبراً يرويه أحد من المسلمين في أبي تراب إلّا وتأتوني بمناقضٍ له في الصحابة، فإنّ هذا أحبّ

إليّ وأقرّ لعينيّ وأدحض لحجّة أبي تراب وشيعته وأشدّ عليهم من مناقب عثمان وفضله[٦].

فقُرئت كتبه على الناس، ورويت أخبار كثيرة في مناقب الصحابة مفتعلة لا حقيقة لها فوجد الناس في رواية ما يجري هذا المجرى حتّى أشادوا بذكر ذلك على المنابر، وألقى إلى معلّمي الكتاتيب فعلّموا صبيانهم وغلمانهم من ذلك الكثير الواسع حتّى رووه وتعلّموه كما يتعلّمون القرآن وحتّى علّموه بناتهم ونساءهم وخدمهم وحشمهم، فلبثوا بذلك ما شاء الله.

ثمّ كتب إلى عمّاله نسخة واحدة إلى جميع البلدان: انظروا من قامت عليه البيّنة أنّه يحبّ علياً وأهل بيته فامحوه من الديوان وأسقطوا عطاءه ورزقه وشفّع ذلك بنسخة أخرى: من اتّهمتموه بموالاة هؤلاء القوم فنكّلوا به واهدموا داره، فلم يكن البلاء أشدّ ولا أكثر منه بالعراق ولا سيّما بالكوفة حتّى أنّ الرجل من شيعة علي ﷺ ليأتيه من يثق به فيدخل بيته فيلقي إليه سرّه ويخاف من خادمه ومملوكه ولا يحدثه حتّى يأخذ عليه الأيمان الغليظة ليكتمنّ عليه، فظهر حديث كثير موضوع وبهتان منتشر، ومضى على ذلك الفقهاء والقضاة والولاة، وكان أعظم الناس في ذلك بليّة القرّاء المراؤون والمستضعفون الذين يظهرون الخشوع والنسك، فيفتعلون الأحاديث ليحظوا بذلك عند ولاتهم ويقرّبوا مجالسهم ويصيبوا به الأموال والضياع والمنازل حتّى انتقلت تلك الأخبار والأحاديث إلى أيدي الديّانين الذين لا يستحلّون الكذب والبهتان، فقبلوها ورووها وهم يظنّون أنّها حقّ، ولو علموا أنّها باطلة لما رووها ولا تديّنوا بها.

فلم يزل الأمر كذلك حتّى مات الحسن بن علي ﷺ، فازداد البلاء والفتنة، فلم يبق أحد من هذا القبيل إلّا وهو خائف على دمه أو طريد في الأرض)[٧].

ولذلك قام الإمام الحسن ﷺ روحي فداه وانبرى ـ أكثر من سائر المعصومين ﷺ للتصدّي لهذا الإعلام المضلّل للحقائق، وهذا الإجراء المشوّه والمحرّف لشريعة سيّد المرسلين، وكأنّ الله جعل دوره وضع الإسلام والحقّ على السكّة الصحيحة رغم قلّة الناصر وتكاثر الفتن وضعف المؤمنين وشراسة الطغاة الظالمين الفاسقين، ليبدأ رحلة السير إلى الله عزّوجلّ حاملاً معه بذرة التشيّع في سفينة النجاة ومحافظاً على ما تبقّى من الحوّاريّين من خلّص المؤمنين إلى برّ الأمان؛ لينجّيهم ويحافظ عليهم في خضم ظلم وظلمات السلاطين ووعّاظهم ودنياهم ومصالحهم التي

اضطرّتهم لتضليل الأمّة بإعلام مضلّل كاذب كان همّه وهدفه إبراز صورة مشوّهة مغايرة للواقع ومخالفة للحقيقة التي أرادها الله، محاولاً تزييف المبادئ والمفاهيم الصحيحة التي أرادها الله والتي لأجلها خلق الخلق وشرع الدين، فكان دوره ﷺ يشبه دور سفينة نبي الله نوح ﷺ في زمانه بكلّ معنى الكلمة من تشابه وتماثل وتطابق ليمثّل وجهاً حقيقيّاً وصورة ناصعة لإعادة التاريخ نفسه، لتتجسّد سفينة نوح بما فعله الإمام الحسن ﷺ في كلّ مواقفه التي استغرقت عشر سنوات بين استشهاد أبيه أمير المؤمنين ﷺ واستشهاده ﷺ، وكما استغرب، بل استهزأ قوم نوح من بنائه للسفينة ولم يستسيغوا أو يتقبّلوا تصرّف نوحٍ ﷺ أبداً عند بنائه لتلك السفينة وجعلوه في خانة التصرّفات غير العقلائيّة كذلك فعلوا مع الإمام الحسن ﷺ بالنسبة لهدنته مع معاوية الطليق اللعين، فهذا يرميه بمسوّد وجوه المؤمنين وآخر ينعته بمذلّ المؤمنين، ولا ندري واقعاً أين هم المؤمنون الحقيقيّون وكم كان عددهم مع كلّ ذلك الخذلان والغدر والخيانة الذي حصل كالهروب إلى معاوية والاعتداء على الإمام ﷺ ومحاولات الاغتيال الثلاثة التي تعرّض لها ﷺ وهو بين أولئك المؤمنين؟!

نعم، فإنّ ما فعله الإمام الحسن المجتبى سيّد شباب الجنّة كان جهاداً تمخّض عنه نبراس يضيء درب السالكين من طالبي الحقيقة من أتباع ومحبّي أهل البيت النبويّ الأطهار، فكان دوره وحركته الإصلاحيّة لمكافحة الفساد الأمويّ الناصبيّ الذي بدأه ﷺ بالصلح والهدنة مع معاوية لعنه الله يتلخّص في محورين رئيسين هما:

١- التصدّي للنواصب بالردّ المباشر عليهم وتكذيب مدّعياتهم كلها.

٢- نشر فضائل أهل البيت ﷺ وأمير المؤمنين ﷺ.

فكان هذان المحوران والمساران الرئيسان يكمّل بعضهما بعضاً ويؤيد أحدهما صاحبه، فحرص الإمام المجتبى على تأديته لهذا الدور الرائد والخطير في الأمّة في بيان ورفع ظلامة أهل البيت الطاهرين ﷺ وما تعرّضوا له من تشويه وافتراء وتزوير حقائق ثابتة تعدّ من ضروريّات الإسلام الأصيل، فتصدّى ﷺ للتصحيح دون سائر الأئمّة المعصومين ﷺ، ولعلّ سبب تفرّده في هذه المهمّة الصعبة هو الإجماع على منزلته العظيمة في الأمّة والاتّفاق على فضله وعدالته وعلوّ

شأنه وحكمته وأنه خطيب مفوّه بليغ شجاع هادئ مسالم محبوب له مقبوليّة عالية وحصانة أكيدة عند جميع الاتّجاهات والتوجّهات من جهة، ولتعرّض شخصه الكريم لهذه الحملة من الأكاذيب عليه من جهة أخرى.

ولذلك كان الطرح الحسنيّ الحكيم في كلا قسمي ومحوري حركته يتّسم بالدقّة وقوّة الحجّة والبرهان ودعم كلّ كلمة فيها بالدليل والبرهان المتّفق عليه كآيات الذكر الحكيم والسنّة النبويّة المتواترة أو المشهورة والمتّفق على صدورها لاسيما أنه عليه السلام كان من أهل البيت أصحاب الكساء والمباهلة من جهة وصحابيّاً في الوقت نفسه، وأحاديث الصحابة حجّة عندهم وإن كان الصحابيّ صغيراً أو لم يحضر بنفسه ما قاله النبيّ صلى الله عليه وآله، لذلك كانت حجّته بالغة وبرهانه ساطعاً؛ لقوّة أدلّته وقرب عهده برسول الله صلى الله عليه وآله وبمصدر الوحي والتنزيل، فضلاً عن انه من أهل البيت الأطهار الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً وصدق لهجته المعروفة عنه، ولذلك لم يُتّهم في كلّ ما قاله وبينه على رؤوس الأشهاد مطلقاً، ولم يكن هنالك مجال لأحدٍ مهما بلغ من نذالة وحقارة وفجور أن يجرؤ على تكذيبه في أيّ مفردة فيما قاله لهم وذكره في محاججاته ومناظراته المباشرة معهم من حقائق مخزية لهم والمادحة لأهل البيت عليهم السلام المبيّنة لعظيم منزلتهم.

وتفصيل دوره عليه السلام تلخّص بما يأتي:

المحور الأوّل: التصدّي للنواصب بالردّ المباشر عليهم وتكذيبهم وفضحهم أمام الناس

قام الإمام الحسن عليه السلام بهذا الدور أحسن قيام وأدّى ما عليه وزيادة، وبلّغ الأمّة على أحسن ما يمكن، وأقام الحجّة البالغة على أتمّ وجه، إذ تصدّى الإمام عليه السلام لرؤوس الضلال والفساد وكلّ من استعملته السلطات المضلّلة لبثّ الدعايات وتحريف الحقائق وتضليل الأمّة وصرفها عن هدايتها المنصبّين من الله عزّ وجلّ عناداً لله تعالى وللحقّ وأهله.

ولنذكر بعض المواقف التي توضّح هذا الدور ضمن هذا المحور المهمّ والخطير ليتّضح شيء من الدور الجسيم والخطير الذي قام به الإمام الحسن عليه السلام في سبيل تحقيقه ونجاحه وإبراء ذمّته وحرصه الشديد على هداية الأمّة وإنقاذها من التضليل الإعلاميّ المسيطر عليها وعلى ثقافتها الذي مارسته السلطات المتعاقبة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله التي صدّت الأمّة عن هداتها.

فممّا فضح به الإمام عليه السلام بني أميّة في كلّ مناسبة وفرصة أتيحت له عليه السلام مثل:

ما أخرجه الحاكم في مستدركه على الصحيحين وصحّحه: قال الإمام الحسن المجتبى لأحد أجلاف رجالات معاوية وجلاوزته ممّن يسمّونهم صحابة وهو معاوية بن حديج الذي كان أنصب وأسبّ الناس لأمير المؤمنين عليه السلام: -أنت السابّ لعلي؟ فقال: ما فعلت، فقال: والله إن لقيته -وما أحسبك تلقاه يوم القيامة- «لتجده قائماً على حوض رسول الله صلى الله عليه وآله يذود عنه رايات المنافقين بيده عصا من عوسج»، حدّثنيه الصادق المصْدُوق صلى الله عليه وآله وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى[٨][٩].

وما قاله المقريزيّ في كتابه النزاع والتخاصم: روي أنّ رجلاً قام إلى الحسن بن علي عليه السلام قال: يا مسوّد وجوه المؤمنين، فقال: لا تؤنّبني رحمك الله فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قد رأى بني أميّة يخطبون على منبره رجلاً رجلاً فساءه ذلك فنزلت: ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾ [١٠].

وقال الحاكم الحسكانيّ في شواهد التنزيل وقال المدائنيّ:(ودخل سفيان ابن أبي ليلى النهديّ عليه أي على الإمام الحسن عليه السلام فقال: السلام عليك يا مذلّ المؤمنين! فقال الحسن: اجلس يرحمك الله، إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله رفع له ملك بني أميّة، فنظر إليهم يعلون منبره واحد فواحد، فشقّ ذلك عليه، فأنزل الله تعالى في ذلك قرآناً، قال له:[١١] ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ ﴾)[١٢].

وروى أبو الفداء في كتابه المختصر في أخبار البشر : ... من تاريخ القاضي شهاب الدين ابن أبي الدم، قال: وفيها أمر بكتبه الطعن في معاوية وابنه وأبيه وإباحة لعنهم، وكان من جملة ما كتب في ذلك: (بعد الحمد لله والصلاة على نبيّه وأنّه لمّا بعثه الله رسولاً كان أشدّ الناس في مخالفته بنو أميّة وأعظمهم في ذلك أبو سفيان بن حرب وشيعته من بني أميّة، قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ ﴾ : اتّفق المفسّرون أنّه أراد بها بني أميّة)[١٣].

أمّا الطبريّ فقال في تاريخه سنة أربع وثمانين ومائتين ذكر كتاب المعتضد في شأن بني أميّة: (... فمما لعنهم الله به على لسان نبيّه صلى الله عليه وآله وأنزل به كتاباً قوله: ﴿ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴾ ، ولا اختلاف بين أحد أنّه أراد بها بني أميّة ....) [١٤] .

وقال السيوطيّ في الدرّ المنثور

(وأخرج ابن مردويه، عن عائشة أنّها قالت لمروان بن الحكم: سمعت رسول الله ﷺ يقول لأبيك وجدّك: إنّكم الشجرة الملعونة في القرآن.

وروي عن الشعبيّ وأبي مخنف ويزيد بن أبي حبيب المصريّ أنّهم قالوا: لم يكن في الإسلام يوم في مشاجرة قوم اجتمعوا في محفل أكثر ضجيجاً ولا أعلى كلاماً ولا أشدّ مبالغة في قولٍ من يوم اجتمع فيه عند معاوية بن أبي سفيان، يقول الإمام المجتبى عليه السلام ناقلاً عن جدّه المصطفى أنّه قال: (إذا بلغ ولد الوزغ ثلاثين رجلاً أخذوا مال الله بينهم دولاً وعباده خولاً وكتابه دخلاً)، وقال فيه أيضاً لمروان: وأنت يا مروان وذرّيّتك الشجرة الملعونة في القرآن)[١٥].

وقال الشيخ الطبرسيّ في الاحتجاج:

(وقال أبو محمد: قال الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام وقد حمل إليه رجل هديّة فقال له: أيّما أحبّ إليك أن أردّ عليك بدلها عشرين ضعفاً [عشرين ضعفاً عشرين ضعفاً -يعني] عشرين ألف درهم- أو أفتح لك باباً من العلم تقهر فلاناً الناصبيّ في قريتك تنقذ به ضعفاء أهل قريتك؟ إن أحسنت الاختيار جمعت لك الأمرين، وإن أسأت الاختيار خيّرتك لتأخذ أيّهما شئت. فقال: يا بن رسول الله فثوابي في قهري ذلك الناصب واستنقاذي لأولئك الضعفاء من يده قدره عشرون ألف درهم؟ قال: بل أكثر من الدنيا عشرين ألف ألف مرّة. قال: يا ابن رسول الله فكيف أختار الأدون، بل أختار الأفضل، الكلمة التي أقهر بها عدوّ الله وأذوده عن أوليائه؟ فقال الحسن بن علي عليهما السلام: قد أحسنت الاختيار، وعلّمه الكلمة وأعطاه عشرين ألف درهم، فذهب فأفحم الرجل، فاتّصل خبره به فقال له حين حضر معه: يا عبد الله، ما ربح أحد مثل ربحك ولا اكتسب أحد من الأودّاء مثل ما اكتسبت مودّة الله أوّلاً، ومودّة محمد وعلي ثانياً، ومودّة الطيّبين من آلهما ثالثاً، ومودّة ملائكة الله تعالى المقرّبين رابعاً، ومودّة إخوانك المؤمنين خامساً، واكتسبت بعدد كلّ مؤمن وكافر ما هو أفضل من الدنيا ألف مرّة، فهنيئاً لك هنيئاً)[١٦].

وقال الطبرسيّ في احتجاجه أيضا:

(احتجاج الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام على جماعة من المنكرين لفضله وفضل أبيه من قبل بحضرة معاوية:

روي عن الشعبيّ وأبي مخنف ويزيد بن أبي حبيب المصريّ أنّهم قالوا: لم يكن في الإسلام يوم في مشاجرة قوم اجتمعوا في محفل، أكثر ضجيجاً ولا أعلى كلاماً ولا أشدّ مبالغة في قول، من يوم اجتمع فيه عند معاوية بن أبي سفيان عمرو بن عثمان بن عفّان، وعمرو بن العاص، وعتبة بن أبي سفيان، والوليد بن عقبة بن أبي معيط، والمغيرة بن شعبة، وقد تواطؤا على أمر واحد.

فقال عمرو بن العاص: لمعاوية ألا تبعث إلى الحسن بن علي فتحضره، فقد أحيى سنّة أبيه، وخفقت النعال خلفه، أمر فأطيع، وقال فصدق، وهذان يرفعان به إلى ما هو أعظم منهما، فلو بعثت إليه فقصرنا به وبأبيه، وسببناه وسببنا أباه، وصغّرنا بقدره وقدر أبيه، وقعدنا لذلك حتّى صدق لك فيه.

فقال لهم معاوية: إنّي أخاف أن يقلّدكم قلايد يبقى عليكم عارها، حتّى يدخلكم قبوركم، والله ما رأيته قطّ إلّا كرهت جنابه، وهبت عتابه، وإنّي إن بعثت إليه لأنصفنّه منكم.

قال عمرو بن العاص: أتخاف أن يتسامى باطله على حقّنا، ومرضه على صحّتنا قال: لا، قال: فابعث إذاً إليه.

فقال عتبة: هذا رأي لا أعرفه، والله ما تستطيعون أن تلقوه بأكثر ولا أعظم ممّا في أنفسكم عليه، ولا يلقاكم بأعظم ممّا في نفسه عليكم، وأنّه لأهل بيت خصم جدل، فبعثوا إلى الحسن فلمّا أتاه الرسول قال له: يدعوك معاوية، قال: ومن عنده؟ قال الرسول: عنده فلان وفلان، وسمّى كلًّا منهم باسمه، فقال الحسن عليه السلام: ما لهم؟! خرَّ عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون، ثمّ قال: يا جارية أبلغيني ثيابي.

ثمّ قال:«اللهمّ إنّي أدرأ بك في نحورهم، وأعوذ بك من شرورهم، وأستعين بك عليهم، فاكفنيهم بما شئت، وأنّى شئت، من حولك وقوّتك، يا أرحم الراحمين»، وقال للرسول: هذا كلام الفرج، فلمّا أتى معاوية رحّب به، وحيّاه وصافحه، فقال الحسن عليه السلام: إنّ الذي حيّيت به

سلامة، والمصافحة أمن، فقال معاوية: أجل، إنّ هؤلاء بعثوا إليك وعصوني ليقرُّوك أنّ عثمان قتل مظلوماً، وأنّ أباك قتله، فاسمع منهم، ثمّ أجبهم بمثل ما يكلّمونك، فلا يمنعك مكاني من جوابهم، فقال الحسن: فسبحان الله، البيت بيتك والإذن فيه إليك! والله لئن أجبتهم إلى ما أرادوا إنّي لأستحيي لك من الفحش، وإن كانوا غلبوك على ما تريد، إنّي لأستحيي لك من الضعف، فبأيّهما تقرّ، ومن أيّهما تعتذر، وأمّا إنّي لو علمت بمكانهم واجتماعهم، لجئت بعدّتهم من بني هاشم مع أنيّ مع وحدتي هم أوحش منّي من جمعهم، فإنّ الله عزّ وجلّ لوليّي اليوم وفيما بعد اليوم، فمرهم فليقولوا فاسمع، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم، فتكلّم عمرو ابن عثمان بن عفّان فقال: ما سمعت كاليوم أن بقي من بني عبد المطلب على وجه الأرض من أحد بعد قتل عثمان بن عفّان، وكان ابن أختهم، والفاضل في الإسلام منزلة، والخاص برسول الله إثرة، فبئس كرامة الله حتّى سفكوا دمه اعتداء، وطلباً للفتنة، وحسداً، ونفاسة، وطلب ما ليسوا بأهلين لذلك، مع سوابقه ومنزلته من الله، ومن رسوله، ومن الإسلام، فيا ذلّاه أن يكون حسن وساير بني عبد المطّلب قتلة عثمان، أحياء يمشون على مناكب الأرض وعثمان بدمه مضرّج، مع أنّ لنا فيكم تسعة عشر دماً بقتلى بني أميّة ببدر.

ثمّ تكلّم عمرو بن العاص: فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: أي ابن أبي تراب، بعثنا إليك لنقرّرك أنّ أباك سمّ أبا بكر الصدّيق، واشترك في قتل عمر الفاروق وقتل عثمان ذي النورين مظلوماً، وادّعى ما ليس له حقّ، ووقع فيه، وذكر الفتنة، وعيّره بشأنها؟

ثمّ قال: إنّكم يا بني عبد المطّلب لم يكن الله ليطيعكم الملك فتركبون فيه ما لا يحلّ لكم، ثمّ أنت يا حسن تحدّث نفسك بأنّك كائن أمير المؤمنين وليس عندك عقل ذلك، ولا رأيه، وكيف وقد سلبته، وتركت أحمق في قريش؛ وذلك لسوء عمل أبيك، وإنّما دعوناك لنسبك وأباك.

ثمّ إنّك لا تستطيع أن تعيب علينا، ولا أن تكذّبنا به، فإن كنت ترى أنّا كذّبناك في شيء، وتقوّلنا عليك بالباطل، وادّعينا عليك خلاف الحقّ فتكلّم، وإلّا فاعلم أنّك وأباك من شرّ خلق الله، فأمّا أبوك فقد كفانا الله قتله وتفرّد به، وأمّا أنت فإنّك في أيدينا نتخيّر فيك، والله أن لو قتلناك ما كان في قتلك إثم عند الله، ولا عيب عند الناس.

ثمّ تكلّم عتبة بن أبي سفيان، فكان أوّل ما ابتدأ به أن قال: يا حسن إنّ أباك كان شرّ قريش لقريش، أقطعه لأرحامها، وأسفكه لدمائها، وإنّك لمن قتلة عثمان، وإنّ في الحقّ أن نقتلك به، وإنّ عليك القود في كتاب الله عزّ وجلّ، وإنّا قاتلوك به، وأمّا أبوك فقد تفرّد الله بقتله فكفانا أمره، وأمّا رجاؤك الخلافة فلست فيها، لا في قدحة زندك، ولا في رجحة ميزانك.

ثمّ تكلّم الوليد بن عقبة بن أبي معيط بنحوٍ من كلام أصحابه فقال: يا معشر بني هاشم، كنتم أوّل من دبّ بعيب عثمان وجمع الناس عليه، حتّى قتلتموه حرصاً على الملك، وقطيعة للرحم، واستهلاك الأمّة، وسفك دمائها، حرصاً على الملك، وطلباً للدنيا الخبيثة، وحبّاً لها، وكان عثمان خالكم، فنعم الخال كان لكم، وكان صهركم، فكان نعم الصهر لكم، قد كنتم أوّل من حسده وطعن عليه، ثمّ ولّيتم قتله، فكيف رأيتم صنع الله بكم.

ثمّ تكلم المغيرة بن شعبة: فكان كلامه وقوله كلّه وقوعاً في علي عليه السلام، ثمّ قال:

يا حسن، إنّ عثمان قتل مظلوماً فلم يكن لأبيك في ذلك عذر برئ، ولا اعتذر مذنب، غير أنّا يا حسن قد ظننّا لأبيك في ضمّه قتلة عثمان، وإيوائه لهم، وذبّه عنهم، أنّه بقتله راض، وكان والله طويل السيف واللسان، يقتل الحيّ ويعيب الميّت، وبنو أميّة خير لبني هاشم من بني هاشم لبني أميّة، ومعاوية خير لك يا حسن منك لمعاوية، وقد كان أبوك ناصب رسول الله صلى الله عليه وآله في حياته وأجلب عليه قبل موته، وأراد قتله، فعلم ذلك من أمره رسول الله صلى الله عليه وآله ثمّ كره أن يبايع أبا بكر حتّى أتي به قوداً، ثمّ دس عليه فسقاه سمّاً فقتله، ثمّ نازع عمر حتّى همّ أن يضرب رقبته، فعمد في قتله، ثمّ طعن على عثمان حتّى قتله، كلّ هؤلاء قد شرك في دمهم فأيّ منزلة له من الله يا حسن وقد جعل الله السلطان لوليّ المقتول في كتابه المنزل، فمعاوية وليّ المقتول بغير حقّ، فكان من الحقّ لو قتلناك وأخاك، والله ما دم علي بأخطر من دم عثمان، وما كان الله ليجمع فيكم يا بني عبد المطّلب الملك والنبوّة، ثمّ سكت، فتكلّم أبو محمد الحسن بن علي عليهما السلام فقال:

الحمد لله الذي هدى أوّلكم بأوّلنا، وآخركم بآخرنا، وصلّى الله على جدّي محمد النبيّ وآله وسلّم، اسمعوا منّي مقالتي وأعيروني فهمكم وبك أبدأ يا معاوية: إنّه لعمر الله يا أزرق ما

شتمني غيرك وما هؤلاء شتموني، ولا سبّني غيرك وما هؤلاء سبّوني ولكن شتمتني وسببتني فحشاً منك، وسوء رأي، وبغياً، وعدواناً، وحسداً علينا، وعداوة لمحمد ﷺ، قديماً وحديثاً، وأنّه والله لو كنت أنا وهؤلاء يا أزرق مشاورين في مسجد رسول الله ﷺ وحولنا المهاجرون والأنصار ما قدروا أن يتكلّموا به، ولا استقبلوني بما استقبلوني به.

فاسمعوا منّي أيّها الملأ المجتمعون المتعاونون عليّ، ولا تكتموا حقّاً علمتموه، ولا تصدّقوا بباطل إن نطقت به، وسأبدأ بك يا معاوية ولا أقول فيك إلّا دون ما فيك.

أنشدكم بالله هل تعلمون أنّ الرجل الذي شتمتموه صلّى القبلتين كلتيهما وأنت تراهما جميعاً وأنت في ضلالة تعبد اللات والعزّى، وبايع البيعتين كلتيهما بيعة الرضوان وبيعة الفتح، وأنت يا معاوية بالأولى كافر، وبالأخرى ناكث.

ثمّ قال: أنشدكم بالله هل تعلمون أنّ ما أقول حقّاً، أنّه لقيكم مع رسول الله ﷺ يوم بدر ومعه راية النبيّ ﷺ والمؤمنين، ومعك يا معاوية راية المشركين وأنت تعبد اللات والعزّى، وترى حرب رسول الله ﷺ فرضاً واجباً، ولقيكم يوم أحد ومعه راية النبيّ، ومعك يا معاوية راية المشركين، ولقيكم يوم الأحزاب ومعه راية رسول الله ﷺ، ومعك يا معاوية راية المشركين، كلّ ذلك يفلج الله حجّته، ويحقّ دعوته، ويصدق أحدوثته، وينصر رايته، وكلّ ذلك رسول الله يرى عنه راضياً في المواطن كلّها ساخطاً عليك.

ثمّ أنشدكم بالله هل تعلمون أنّ رسول الله ﷺ حاصر بني قريظة وبني النظير، ثمّ بعث عمر بن الخطّاب ومعه راية المهاجرين، وسعد بن معاذ ومعه راية الأنصار، فأمّا سعد بن معاذ فجرح وحمل جريحاً، وأمّا عمر فرجع هارباً وهو يجبن ويجبّن أصحابه ويجبّنه أصحابه، فقال رسول الله ﷺ: «لأعطينّ الراية غداً رجلاً يحبّ الله ورسوله، ويحبّه الله ورسوله، كرّار غير فرّار، ثمّ لا يرجع حتّى يفتح الله على يديه»، فتعرّض لها أبو بكر وعمر، وغيرهما من المهاجرين والأنصار، وعلي يومئذٍ أرمد شديد الرمد، فدعاه رسول الله ﷺ فتفل في عينيه فبرأ من رمده، وأعطاه الراية فمضى ولم يثن حتّى فتح الله عليه بمنّه وطوله، وأنت يومئذٍ بمكّة عدوّ لله ولرسوله، فهل يستوي بين رجل نصح لله ولرسوله، ورجل عادى الله ورسوله، ثمّ

أقسم بالله ما أسلم قلبك بعد، ولكنّ اللسان خائف فهو يتكلّم بما ليس في القلب.

أنشدكم بالله أتعلمون أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله استخلفه على المدينة في غزوة تبوك ولا سخط ذلك ولا كراهة، وتكلّم فيه المنافقون فقال: لا تخلّفني يا رسول الله فإنّي لم أتخلّف عنك في غزوة قطّ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أنت وصيّي وخليفتي في أهلي بمنزلة هارون من موسى ثمّ أخذ بيد علي عليه السلام فقال: أيّها الناس من تولّاني فقد تولّى الله، ومن تولّى علياً فقد تولّاني، ومن أطاعني فقد أطاع الله، ومن أطاع علياً فقد أطاعني، ومن أحبّني فقد أحبّ الله، ومن أحبّ عليّاً فقد أحبّني.

ثمّ قال: أنشدكم بالله أتعلمون أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال في حجّة الوداع: أيّها الناس إنّي قد تركت فيكم ما لم تضلّوا بعده: كتاب الله وعترتي أهل بيتي فأحلّوا حلاله، وحرّموا حرامه، واعملوا بمحكمه، وآمنوا بمتشابهه، وقولوا: آمنّا بما أنزل الله من الكتاب، وأحبّوا أهل بيتي وعترتي، ووالوا من والاهم، وانصروهم على من عاداهم، وأنّهما لن يزالا فيكم حتّى يردا عليّ الحوض يوم القيامة.

ثمّ دعا وهو على المنبر علياً فاجتذبه بيده فقال: اللهمّ والِ من والاه، وعاد من عاداه، اللهمّ من عادى علياً فلا تجعل له في الأرض مقعداً، ولا في السماء مصعداً، واجعله في أسفل درك من النار.

وأنشدكم بالله أتعلمون أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال له: أنت الذائد عن حوضي يوم القيامة تذود عنه كما يذود أحدكم الغريبة من وسط إبله.

أنشدكم بالله أتعلمون أنّه دخل على رسول الله صلى الله عليه وآله في مرضه الذي توفّي فيه فبكى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال علي: ما يبكيك يا رسول الله؟ فقال: يبكيني أني أعلم: أنّ لك في قلوب رجال من أمّتي ضغائن، لا يبدونها لك حتّى أتولّى عنك.

أنشدكم بالله أتعلمون أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله حين حضرته الوفاة واجتمع عليه أهل بيته قال: «اللهمّ هؤلاء أهل بيتي وعترتي، اللهمّ وال من والاهم وعاد من عاداهم»وقال : «إنّما مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح، من دخل فيها نجى، ومن تخلّف عنها غرق.

وأنشدكم بالله أتعلمون: أنّ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله قد سلّموا عليه بالولاية في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وحياته؟

أنشدكم بالله أتعلمون أنّ علياً أوّل من حرّم الشهوات كلّها على نفسه من أصحاب رسول الله، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ * وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي أَنْتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾، وكان عندهم علم المنايا، وعلم القضايا، وفصل الكتاب، ورسوخ العلم، ومنزل القرآن، وكان رهط لا نعلمهم يتمّمون عشرة، نبّأهم الله أنّهم مؤمنون، وأنتم في رهطٍ قريب من عدّة أولئك لعنوا على لسان رسول الله ﷺ، فأشهد لكم وأشهد عليكم: أنّكم لعناء الله على لسان نبيّه كلّكم.

وأنشدكم بالله هل تعلمون: أنّ رسول الله ﷺ بعث إليك لتكتب له لبني خزيمة حين أصابهم خالد بن الوليد فانصرف إليه الرسول فقال: «هو يأكل» فأعاد الرسول إليك ثلاث مرّات كلّ ذلك ينصرف الرسول إليه ويقول «هو يأكل»، فقال رسول الله «اللهمّ لا تشبع بطنه» فهي والله في نهمتك وأكلك إلى يوم القيامة.

ثمّ قال: أنشدكم بالله هل تعلمون أنّ ما أقول حقّاً إنّك يا معاوية كنت تسوق بأبيك على جمل أحمر يقوده أخوك هذا القاعد، وهذا: يوم الأحزاب، فلعن رسول الله القائد والراكب والسائق، فكان: أبوك الراكب، وأنت يا أزرق السائق، وأخوك هذا القاعد القائد؟

أنشدكم بالله هل تعلمون أنّ رسول الله ﷺ لعن أبا سفيان في سبعة مواطن؟

أوّلهنّ: حين خرج من مكّة إلى المدينة وأبو سفيان جاء من الشام، فوقع فيه أبو سفيان فسبّه، وأوعده، وهمّ أن يبطش به، ثمّ صرفه الله عزّ وجلّ عنه.

والثانية: يوم العير حيث طردها أبو سفيان ليحرزها من رسول الله.

والثالثة: يوم أحد قال رسول الله: الله مولانا ولا مولى لكم، وقال أبو سفيان: لنا العزّى ولا عزّى لكم، فلعنه الله، وملائكته، ورسله، والمؤمنون أجمعون.

والرابعة يوم حنين: يوم جاء أبو سفيان يجمع قريش وهوازن، وجاء عيينة بغطفان واليهود، فردّهم الله بغيظهم لم ينالوا خيراً، هذا: قول الله عزّ وجلّ أنزل في سورتين في كلتيهما يسمّي أبا سفيان وأصحابه كفّاراً، وأنت يا معاوية يومئذٍ مشرك على رأي أبيك بمكّة، وعلي يومئذٍ مع رسول الله ﷺ وعلى رأيه ودينه.

والخامسة: قول الله عزّ وجلّ: «والهدي معكوفاً أن يبلغ محله»وصددت أنت وأبوك ومشركو قريش رسول الله، فلعنه الله لعنة شملته وذرّيّته إلى يوم القيامة.

والسادسة: يوم الأحزاب يوم جاء أبو سفيان بجمع قريش، وجاء عيينة بن حصين بن بدر بغطفان، فلعن رسول الله القادة والأتباع، والساقة إلى يوم القيامة، فقيل: يا رسول الله أما في الأتباع مؤمن؟ قال: لا تصيب اللعنة مؤمناً من الأتباع، أمّا القادة فليس فيهم مؤمن، ولا مجيب، ولا ناج.

والسابعة: يوم الثنيّة، يوم شدّ على رسول الله صلى الله عليه وآله اثنا عشر رجلاً، سبعة منهم من بني أميّة، وخمسة من سائر قريش، فلعن الله تبارك وتعالى ورسول الله من حلّ الثنيّة غير النبيّ صلى الله عليه وآله وسائقه وقائده.

ثمّ أنشدكم بالله هل تعلمون أن أبا سفيان دخل على عثمان حين بويع في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا ابن أخي هل علينا من عين؟ فقال: لا، فقال أبو سفيان: تداولوا الخلافة يا فتيان بني أميّة، فو الذي نفس أبي سفيان بيده ما من جنّة ولا نار.

وأنشدكم بالله أتعلمون أنّ أبا سفيان أخذ بيد الحسين حين بويع عثمان وقال: يا ابن أخي اخرج معي إلى بقيع الغرقد، فخرج حتّى إذا توسّط القبور اجترّه فصاح بأعلى صوته: يا أهل القبور! الذي كنتم تقاتلونا عليه صار بأيدينا وأنتم رميم.

فقال الحسين بن علي عليه السلام: قبّح الله شيبتك، وقبّح وجهك، ثمّ نتر يده وتركه، فلولا النعمان ابن بشير أخذ بيده وردّه إلى المدينة لهلك، فهذا لك يا معاوية فهل تستطيع أن تردّ علينا شيئاً.

ومن لعنتك يا معاوية أنّ أباك أبا سفيان كان يهمّ أن يسلم، فبعثت إليه بشعر معروف مرويّ في قريش وغيرهم، تنهاه عن الإسلام وتصدّه.

ومنها: أنّ عمر بن الخطّاب ولّاك الشام فخنت به، وولّاك عثمان فتربّصت به ريب المنون، ثمّ أعظم من ذلك جرأتك على الله ورسوله: أنّك قاتلت علياً عليه السلام وقد عرفته وعرفت سوابقه، وفضله وعلمه على أمر هو أولى به منك ومن غيرك عند الله وعند الناس، ولأذيّته، بل أوطأت الناس عشوة، وأرقت دماء خلق من خلق الله بخدعك وكيدك وتمويهك، فعل من لا يؤمن بالمعاد، ولا يخشى العقاب، فلمّا بلغ الكتاب أجله صرت إلى شرّ مثوى، وعلي إلى خير منقلب،

والله لك بالمرصاد.

فهذا لك يا معاوية خاصّة، وما أمسكت عنه من مساويك وعيوبك فقد كرهت به التطويل.

وأمّا أنت يا عمرو بن عثمان فلم تكن للجواب حقيقاً بحمقك أن تتّبع هذه الأمور، فإنّما مثلك مثل البعوضة إذ قالت للنخلة: استمسكي فإنّي أريد أن أنزل عنك، فقالت لها النخلة: ما شعرت بوقوعك، فكيف يشقّ عليّ نزولك.

وإنّي والله ما شعرت أنّك تجسر أن تعادي لي فيشقّ عليّ ذلك، وإنّي لمجيبك في الذي قلت: إنّ سبّك عليّاً عليه السلام أينقص في حسبه، أو يباعده من رسول الله، أو بسوء بلائه في الإسلام، أو بجور في حكم أو رغبة في الدنيا؟ فإن قلت واحدة منها فقد كذبت.

وأمّا قولك: إنّ لكم فينا تسعة عشر دماً بقتلى مشركي بني أميّة ببدر، فإنّ الله ورسوله قتلهم، ولعمري لتقتلنّ من بني هاشم تسعة عشر وثلاثة بعد تسعة عشر ثمّ يقتل من بني أمية تسعة عشر وتسعة عشر في موطن واحد سوى ما قتل من بني أميّة لا يحصي عددهم إلّا الله، وأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إذا بلغ ولد الوزغ ثلاثين رجلاً: أخذوا مال الله بينهم دولاً، وعباده خولاً، وكتابه دغلاً، فإذا بلغوا ثلاثمائة وعشر حقّت اللعنة عليهم ولهم، فإذا بلغوا أربعمائة وخمسة وسبعين كان هلاكهم أسرع من لوك تمرة، فأقبل الحكم بن أبي العاص وهم في ذلك الذكر والكلام، فقال رسول الله: أخفضوا أصواتكم فإنّ الوزغ يسمع، وذلك حين رآهم رسول الله صلى الله عليه وآله ومن يملك بعده منهم أمر هذه الأمّة -يعني في المنام- فساءه ذلك وشقّ عليه، فأنزل الله عزّ وجلّ في كتابه: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ﴾ يعني: بني أميّة، وأنزل أيضاً ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ فأشهد لكم، وأشهد عليكم، ما سلطانكم بعد قتل علي إلّا ألف شهر التي أجّلها الله عزّ وجلّ في كتابه.

وأمّا أنت يا عمرو بن العاص الشاني اللعين الأبتر، فإنّما أنت كلب أوّل أمرك، أنّ أمّك بغيّة، وأنّك ولدت على فراش مشترك، فتحاكمت فيك رجال قريش منهم أبو سفيان بن الحرب، والوليد بن المغيرة، وعثمان بن الحرث، والنضر بن الحرث بن كلدة، والعاص بن

وايل، كلّهم يزعم أنّك ابنه، فغلبهم عليك من بين قريش ألأمهم حسباً، وأخبثهم منصباً، وأعظمهم بغية، ثمّ قمت خطيباً وقلت: أنا شاني محمد، وقال العاص بن وايل: إنّ محمداً رجل أبتر لا ولد له، فلو قد مات انقطع ذكره، فأنزل الله تبارك وتعالى: «إنّ شانئك هو الأبتر»، وكانت أمّك تمشي إلى عبد قيس تطلب البغيّة، تأتيهم في دورهم ورجالهم وبطون أوديتهم ثمّ كنت في كل مشهد يشهده رسول الله من عدوّه أشدهم له عداوة، وأشدّهم له تكذيباً، ثمّ كنت في أصحاب السفينة: الذين أتوا النجاشي والمهجر الخارج إلى الحبشة في الإشاطة بدم جعفر بن أبي طالب وساير المهاجرين إلى النجاشيّ، فحاق المكر السيّئ بك، وجعل جدّك الأسفل، وأبطل أمنيتك، وخيّب سعيك، وأكذب أحدوثتك، وجعل كلمة الذين كفروا السفلى، وكلمة الله هي العليا.

وأمّا قولك في عثمان، فأنت يا قليل الحياء والدين ألهبت عليه ناراً، ثمّ هربت إلى فلسطين تتربّص به الدوائر، فلمّا أتاك خبر قتله حبست نفسك على معاوية، فبعته دينك يا خبيث بدنيا غيرك، ولسنا نلومك على بغضنا، ولم نعاتبك على حبّنا، وأنت عدوّ لبني هاشم في الجاهليّة والإسلام، وقد هجوت رسول الله صلى الله عليه وآله بسبعين بيتاً من شعر، فقال رسول الله: «اللهمّ إنّي لا أحسن الشعر، ولا ينبغي لي أن أقوله فالعن عمرو بن العاص بكلّ بيت ألف لعنة»، ثمّ أنت يا عمرو المؤثر دنياك على دينك أهديت إلى النجاشيّ الهدايا، ورحلت إليه رحلتك الثانية، ولم تنهك الأولى عن الثانية، كلّ ذلك ترجع مغلوباً، حسيراً، تريد بذلك هلاك جعفر وأصحابه، فلمّا أخطأك ما رجوت وأمّلت أحلت على صاحبك عمارة بن الوليد.

وأمّا أنت يا وليد بن عقبة فو الله ما ألومك أن تبغض علياً وقد جلدك في الخمر ثمانين جلدة، وقتل أباك صبراً بيده يوم بدر، أم كيف تسبّه وقد سمّاه الله مؤمناً في عشرة آيات من القرآن، وسمّاك فاسقاً، وهو قول الله عزّ وجلّ: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لا يَسْتَوُونَ﴾ وقوله: ﴿إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾، وما أنت وذكر قريش وإنّما أنت ابن علج من أهل صفوريّة اسمه: «ذكوان»، وأمّا زعمك أنّا قتلنا عثمان فوالله ما استطاع طلحة، والزبير، وعائشة، أن يقولوا ذلك لعلي بن أبي طالب فكيف

تقوله أنت، ولو سألت أمّك من أبوك إذ تركت ذكوان فألصقتك بعقبة بن أبي معيط، اكتسبت بذلك عند نفسها سناء ورفعة، مع ما أعدّ الله لك ولأبيك ولأمّك من العار والخزي في الدنيا والآخرة، وما الله بظلّام للعبيد.

ثمّ أنت يا وليد والله أكبر في الميلاد ممّن تدّعي له، فكيف تسبّ علياً، ولو اشتغلت بنفسك لتثبت نسبك إلى أبيك لا إلى من تدعى له، ولقد قالت لذلك أمّك «يا بنيّ أبوك والله ألأم وأخبث من عقبة».

وأمّا أنت يا عتبة بن أبي سفيان: فوالله ما أنت بحصيف فأجاوبك، ولا عاقل فأعاقبك، وما عندك خير يرجى، وما كنت ولو سببت علياً لأعير به عليك؛ لأنّك عندي لست بكفو لعبد علي بن أبي طالب فأردّ عليك وأعاتبك، ولكنّ الله عزّ وجلّ لك ولأبيك وأمّك وأخيك لبالمرصاد، فأنت ذرّيّة آبائك الذين ذكرهم الله في القرآن فقال: «عاملة ناصبة * تصلى نارا حامية * تسقى من عين آنية * -إلى قوله- من جوع».

وأمّا وعيدك إيّاي أن تقتلني، فهلّا قتلت الذي وجدته على فراشك مع حليلتك، وقد غلبك على فرجها وشركك في ولدها حتّى ألصق بك ولداً ليس لك، ويلاً لك لو شغلت نفسك بطلب ثأرك منه كنت جديراً، ولذلك حريّاً؛ إذ تسومني القتل وتوعدني به، ولا ألومك أن تسبّ علياً وقد قتل أخاك مبارزة، واشترك هو وحمزة بن عبد المطّلب في قتل جدّك حتّى أصلاهما الله على أيديهما نار جهنّم وأذاقهما العذاب الأليم، ونفى عمّك بأمر رسول الله.

وأمّا رجائي الخلافة، فلعمر الله إن رجوتها فإنّ لي فيها لملتمساً، وما أنت بنظير أخيك، ولا بخليفة أبيك؛ لأنّ أخاك أكثر تمرّداً على الله، وأشدّ طلباً لإهراقه دماء المسلمين، وطلب ما ليس له بأهل، يخادع الناس ويمكرهم، ويمكر الله والله خير الماكرين.

وأمّا قولك: «إنّ علياً كان شرّ قريش لقريش»، فوالله ما حقّر مرحوماً ولا قتل مظلوماً.

وأمّا أنت يا مغيرة بن شعبة! فإنّك لله عدوّ، ولكتابه نابذ، ولنبيّه مكذّب، وأنت الزاني وقد وجب عليك الرجم، وشهد عليك العدول البررة الأتقياء، فأخّر رجمك، ودفع الحقّ بالأباطيل، والصدق بالأغاليط؛ وذلك لما أعدّ الله لك من العذاب الأليم، والخزي في الحياة

الدنيا، ولعذاب الآخرة أخزى، وأنت الذي ضربت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله حتّى أدميتها وألقت ما في بطنها، استذلالاً منك لرسول الله صلى الله عليه وآله ومخالفة منك لأمره، وانتهاكاً لحرمته وقد قال لها رسول الله صلى الله عليه وآله: «يا فاطمة، أنت سيّدة نساء أهل الجنّة»، والله مصيرك إلى النار، وجاعل وبال ما نطقت به عليك، فبأيّ الثلاثة سببت علياً، أنقصاً في نسبه، أم بعداً من رسول الله، أم سوء بلاء في الإسلام، أم جوراً في حكم، أم رغبة في الدنيا؟! إن قلت بها فقد كذبت وكذّبك الناس، أتزعم أنّ علياً عليه السلام قتل عثمان مظلوماً؟!

فعلي والله أتقى وأنقى من لائمه في ذلك، ولعمري لئن كان علياً قتل عثمان مظلوماً فوالله ما أنت من ذلك في شيء، فما نصرته حياً ولا تعصّبت له ميّتاً، وما زالت الطائف دارك تتبع البغايا، وتحيي أمر الجاهليّة، وتميت الإسلام، حتّى كان ما كان في أمس.

وأمّا اعتراضك في بني هاشم وبني أميّة فهو ادّعاءك إلى معاوية.

وأمّا قولك في شأن الإمارة وقول أصحابك في الملك الذي ملكتموه، فقد ملك فرعون مصر أربعمائة سنة، وموسى وهارون نبيّان مرسلان عليهما السلام يلقيان ما يلقيان من الأذى، وهو ملك الله يعطيه البرّ والفاجر، وقال الله: ﴿ وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴾[17] وقال: ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴾[18].

ثمّ قام الحسن فنفض ثيابه وهو يقول: ﴿ الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ ﴾[19] هم والله يا معاوية: أنت وأصحابك هؤلاء وشيعتك ﴿ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُوْلَئِكَ مُبَرَّؤُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾[20] ثمّ قال: هم علي بن أبي طالب عليه السلام وأصحابه وشيعته.

ثمّ خرج وهو يقول لمعاوية: ذق وبال ما كسبت يداك وما جنت ما قد أعدّ الله لك ولهم من الخزي في الحياة الدنيا والعذاب الأليم في الآخرة.

فقال معاوية لأصحابه: وأنتم فذوقوا وبال ما جنيتم.

فقال الوليد بن عقبة: والله ما ذقنا إلّا كما ذقت، ولا اجترأ إلّا عليك.

فقال معاوية: ألم أقل لكم إنّكم لن تنتقصوا من الرجل فهلّا أطعتموني أوّل مرّة فانتصرتم من الرجل إذ فضحكم، فوالله ما قام حتّى أظلمّ عليّ البيت، وهممت أن أسطو به فليس فيكم

خير اليوم ولا بعد اليوم.

قال: وسمع مروان بن الحكم بما لقي معاوية وأصحابه المذكورون من الحسن بن علي ﷺ، فأتاهم فوجدهم عند معاوية في البيت فسألهم: ما الذي بلغني عن الحسن وزعله؟ قالوا: قد كان كذلك.

فقال لهم مروان أفلا أحضرتموني ذلك، فوالله لأسبّنّه ولأسبّنّ أباه وأهل البيت سبّاً تتغنّى به الإماء والعبيد.

فقال معاوية والقوم: لم يفتك شيء، وهم يعلمون من مروان بذو لسان وفحش.

فقال مروان: فأرسل إليه يا معاوية فأرسل معاوية إلى الحسن بن علي.

فلمّا جاء الرسول قال له الحسن ﷺ ما يريد هذا الطاغية منّي؟ والله إن أعاد الكلام لأوقّرنّ مسامعه ما يبقى عليه عاره وشناره إلى يوم القيامة، فأقبل الحسن فلمّا جاءهم وجدهم بالمجلس على حالتهم التي تركهم فيها، غير أنّ مروان قد حضر معهم في هذا الوقت، فمشى الحسن ﷺ حتّى جلس على السرير مع معاوية وعمرو بن العاص.

ثمّ قال الحسن لمعاوية: لم أرسلت إليّ؟ قال: لست أنا أرسلت إليك ولكنّ مروان الذي أرسل إليك.

فقال مروان: أنت يا حسن السبّاب لرجال قريش؟

فقال له الحسن: وما الذي أردت؟

فقال مروان: والله لأسبّنّك وأباك وأهل بيتك سبّاً تتغنّى به الإماء والعبيد.

فقال الحسن ﷺ: أمّا أنت يا مروان فلست أنا سببتك ولا سببت أباك، ولكنّ الله عزّ وجلّ لعنك ولعن أباك، وأهل بيتك، وذرّيّتك، وما خرج من صلب أبيك إلى يوم القيامة، على لسان نبيّه محمد، والله يا مروان ما تنكر أنت ولا أحد ممّن حضر هذه اللعنة من رسول الله ﷺ لك ولأبيك من قبلك، وما زادك الله يا مروان بما خوّفك إلّا طغياناً كبيراً، وصدق الله وصدق رسوله يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴾، وأنت يا مروان وذرّيّتك الشجرة الملعونة في القرآن، وذلك عن رسول الله ﷺ عن جبرئيل عن الله عزّ وجلّ.

فوثب معاوية فوضع يده على فم الحسن وقال: يا أبا محمد، ما كنت فحّاشاً ولا طيّاشاً، فنفض الحسن عليه السلام ثوبه، وقام فخرج، فتفرّق القوم عن المجلس بغيظ، وحزن، وسواد الوجوه في الدنيا والآخرة)[٢١].

المحور الثاني: نشره فضائل أهل البيت عليهم السلام وأمير المؤمنين عليه السلام

في أوّل يوم من إمامته وخلافته لأمير المؤمنين عليه السلام قام بهذا الدور مباشرة حين ارتقى المنبر وخطب أوّل خطبة له للأمّة لينادي القلوب ويقيم الحجّة البالغة ويبيّن للأمّة مظلوميّة أمير المؤمنين عليه السلام وأوديته وأولويّته بخلافة رسول الله صلى الله عليه وآله مباشرة ومن دون فصل بجاهل أو بطاغوت أو بمنافق أو مفسد مارق من أئمّة الضلال الذين تقمّصوا غير قميصهم وغدروا بمولاهم وسيّدهم واغتصبوا مكاناً غير مكانهم وتمرّدوا على ولاة أمرهم.

فأوضح فضيلة أمير المؤمنين عليه السلام وأهل البيت عليهم السلام وافضليتهم، وقرن ذلك بالأدلّة الدامغة من القرآن الكريم كما روى ذلك الحاكم وأحمد في مسنده مختصراً وابن حبّان في صحيحه وغيرهم، وقد صحّح الألبانيّ أكثر طرق الخطبة فأتى بأربعة طرق لها، فقال الرواة: خطب الحسن بن علي الناس حين قتل علي، فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: لقد قبض في هذه الليلة رجل لا يسبقه الأوّلون ولا يدركه الآخرون، ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله يعطيه الراية فيقاتل جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره فما يرجع حتّى يفتح الله عليه وما ترك على ظهر الأرض صفراء ولا بيضاء إلّا سبعمائة درهم أفضلت من عطاياه أراد أن يبتاع بها خادماً لأهله ثمّ قال: أيّها الناس من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن علي، أنا ابن النبيّ وأنا ابن الوصيّ، وأنا ابن البشير، وأنا ابن النذير، وأنا ابن الداعي إلى الله بإذنه وأنا ابن السراج المنير)، وأنا من أهل البيت الذي كان جبريل ينزل إلينا ويصعد من عندنا، وأنا من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، وأنا من أهل البيت الذين افترض الله مودّتهم على كلّ مسلم (فقال تبارك وتعالى لنبيّه صلى الله عليه وآله: ﴿ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا ﴾[٢٢]، فاقتراف الحسنة مودّتنا أهل البيت عليهم السلام[٢٣].

وقال ابن شهر اشوب في مناقبه، وعنه المجلسيّ في بحاره:

(روى المبرّد قال: رآه شاميّ راكباً فجعل يلعنه والحسن ﷺ لا يردّ، فلمّا فرغ أقبل عليه الحسن وضحك وقال: أيّها الشيخ، أظنّك غريباً ولعلّك شبّهتني، فلو استعتبتنا أعنّاك، ولو سألتنا أعطيناك، ولو استرشدتنا أرشدناك، ولو استحملتنا حملناك، وإن كنت جائعاً أشبعناك، وإن كنت عرياناً كسوناك، وإن كنت محتاجاً أغنيناك، وإن كنت طريداً آويناك، وإن كنت ذا حاجةٍ قضيناها لك، فلو كنت حرّكت رحلك إلينا، وكنت ضيفاً لنا إلى وقت ارتحالك كان أعود عليك؛ لأنّ لنا موضعاً رحباً، وجاهاً عريضاً، ومالاً كثيراً، فلمّا سمع الرجل كلامه بكى، ثمّ قال: أشهد أنّك خليفة الله في أرضه، الله أعلم حيث يجعل رسالته، وكنت أنت وأبوك أبغض خلق الله إليّ، فالآن أنت أحبّ الخلق إليّ، وحوّل رحله إليه، وكان ضيفه إلى أن ارتحل، وصار معتقداً محبّتهم)[٢٤].

المحور الثالث: مفاخرة الحسن بن علي ﷺ على معاوية ومروان بن الحكم والمغيرة بن شعبة والوليد بن عقبة وعتبة بن أبي سفيان:

قيل: وفد الحسن بن علي ﷺ على معاوية فحضر مجلسه، وإذا عنده هؤلاء القوم، ففخر كلّ رجل منهم على بني هاشم، ووضعوا منهم، وذكروا أشياء ساءت الحسن بن علي وبلغت منه.

فقال الحسن بن علي ﷺ: أنا شعبة من خير الشعب، وآبائي أكرم العرب، لنا الفخر والنسب، والسماحة عند الحسب، ونحن من خير شجرة، أنبتت فروعاً نامية، وأثماراً زاكية، وأبداناً قائمة، فيها أصل الإسلام، وعلم النبوّة، فعلونا حين شمخ بنا الفخر، واستطلنا حين امتنع بنا العزّ، ونحن بحور زاخرة لا تنزف، وجبال شامخة لا تقهر.

فقال مروان بن الحكم: مدحت نفسك، وشمخت بأنفك، هيهات هيهات يا حسن، نحن والله الملوك السادة، والأعزّة القادة، لا تبجحنّ فليس لك عزّ مثل عزّنا، ولا فخر كفخرنا، ثمّ أنشأ يقول:

شفينا أنفساً طابت وقوراً * فنالت عزّها فيمن يلينا

فأبنا بالغنيمة حيث أبنا * وأبنا بالملوك مقرّنينا

ثمّ تكلّم مغيرة بن شعبة فقال: نصحت لأبيك فلم يقبل النصح، ولولا كراهيّة قطع

القرابة لكنت في جملة أهل الشام، فكان يعلم أبوك أنّي أصدر الوارد عن مناهلها، بزعارة قيس، وحلم ثقيف، وتجاربها للأمور على القبائل.

فتكلّم الحسن عليه السلام فقال: يا مروان أجبنا، وخوراً، وضعفاً، وعجزاً، زعم أنّي مدحت نفسي، وأنا ابن رسول الله، وشمخت بأنفي وأنا سيّد شباب أهل الجنّة وإنّما يبذخ ويتكبّر ويلك من يريد رفع نفسه، ويتبجّح من يريد الاستطالة، فأمّا نحن فأهل بيت الرحمة، ومعدن الكرامة، وموضع الخيرة، وكنز الإيمان، ورمح الإسلام، وسيف الدين، ألا تصمت ثكلتك أمّك قبل أن أرميك بالهوائل، وأسمّك بميسم تستغني به عن اسمك، فأمّا إيابك بالنهاب والملوك أفي اليوم الذي ولّيت فيه مهزوماً، وانخجرت مذعوراً، فكانت غنيمتك هزيمتك، وغدرك بطلحة حين غدرت به فقتلته، قبحاً لك ما أغلظ جلدة وجهك.

فنكس مروان رأسه، وبقي مغيرة مبهوتاً، فالتفت إليه الحسن عليه السلام فقال: أعور ثقيف، ما أنت من قريش فأفاخرك، أجهلتني يا ويحك؟! أنا ابن خيرة الإماء، وسيّدة النساء، غذّانا رسول الله صلى الله عليه وآله بعلم الله تبارك وتعالى، فعلّمنا تأويل القرآن، ومشكلات الأحكام، لنا العزّة العليا، والفخر والسناء، وأنت من قوم لم يثبت لهم في الجاهليّة نسب، ولا لهم في الإسلام نصيب، عبد آبق، ما له والافتخار عند مصادمة الليوث، ومجاحشة الأقران، نحن السادة، ونحن المذاويد القادة، نحمي الذمار، وننفي عن ساحتنا العار، وأنا ابن نجيبات الأبكار، ثمّ أشرت زعمت إلى خير وصيّ خير الأنبياء، وكان هو بعجزك أبصر، وبجورك أعلم، وكنت للردّ عليك منه أهلاً لو عزّك في صدرك، وبدوّ الغدر في عينك، هيهات لم يكن ليتّخذ المضلّين عضداً، وزعمك أنّك لو كنت بصفّين بزعارة قيس، وحلم ثقيف، فبماذا ثكلتك أمّك؟ أبعجزك عند المقامات، وفرارك عند المجاحشات؟ أما والله لو التفت عليك من أمير المؤمنين الأجاشع، لعلمت أنّه لا يمنعه منك الموانع، ولقامت عليك المرنات الهوالع.

وأمّا زعارة قيس: فما أنت وقيساً؟ إنّما أنت عبد آبق فثقف فسمّي ثقيفاً، فاحتلّ لنفسك من غيرها، فلست من رجالها، أنت بمعالجة الشرك وموالج الزرائب أعرف منك بالحروب.

فأمّا الحلم فأيّ الحلم عند العبيد القيون؟ ثمّ تمنّيت لقاء أمير المؤمنين عليه السلام فذاك من قد

عرفت: أسد باسل، وسمّ قاتل، لا تقاومه الأبالسة، عند الطعن والمخالسة، فكيف ترومه الضبعان، وتناله الجعلان، بمشيتها القهقرى.

وأمّا وصلتك: فمنكورة، وقربتك فمجهولة، وما رحمك منه إلّا كبنات الماء من خشفان الظباء، بل أنت أبعد منه نسباً.

فوثب المغيرة والحسن يقول لمعاوية: اعذرنا من بني أميّة إن تجاوزنا بعد مناطقة القيون، ومفاخرة العبيد.

فقال معاوية: ارجع يا مغيرة، هؤلاء بنو عبد مناف، لا تقاومهم الصناديد، ولا تفاخرهم المذاويد.

ثمّ أقسم على الحسن عليه السلام بالسكوت فسكت.

وروي أنّ عمرو بن العاص قال لمعاوية: ابعث إلى الحسن بن علي فمره أن يصعد المنبر ويخطب الناس، فلعلّه أن يحصر فيكون ذلك ممّا نعيّره به في كلّ محفل، فبعث إليه معاوية فأصعده المنبر، وقد جمع له الناس ورؤساء أهل الشام، فحمد الله الحسن صلوات الله عليه وأثنى عليه، ثمّ قال:

أيّها الناس من عرفني فأنا الذي يعرف، ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن علي بن أبي طالب، ابن عمّ نبيّ الله، أوّل المسلمين إسلاماً، وأمّي فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، وجدّي محمد بن عبد الله نبيّ الرحمة، أنا ابن البشير، أنا ابن النذير، أنا ابن السراج المنير، أنا ابن من بعث رحمة للعالمين، أنا ابن من بعث إلى الجنّ والإنس أجمعين، فقطع عليه معاوية فقال، يا أبا محمد خلّنا من هذا وحدّثنا في نعت الرطب أراد بذلك تخجيله.

فقال الحسن عليه السلام: نعم التمر الريح تنفخه، والحرّ ينضجه، والليل يبرده ويطيّبه.

ثمّ أقبل الحسن عليه السلام: فرجع في كلامه الأوّل فقال: أنا ابن مستجاب الدعوة، أنا ابن الشفيع المطاع، أنا ابن أوّل من ينفض عن رأسه التراب، أنا ابن من يقرع باب الجنّة فيفتح له فيدخلها، أنا ابن من قاتل معه الملائكة، وأحلّ له المغنم، ونصر بالرعب من مسيرة شهر، فأكثر في هذا النوع من الكلام، ولم يزل به حتّى اظلمّت الدنيا على معاوية، وعرف الحسن من لم يكن عرفه

من أهل الشام وغيرهم ثمّ نزل فقال له معاوية: أمّا إنّك يا حسن قد كنت ترجو أن تكون خليفة، ولست هناك، فقال الحسن عليه السلام: أمّا الخليفة فمن سار بسيرة رسول الله صلى الله عليه وآله، وعمل بطاعة الله عزّ وجلّ، وليس الخليفة من سار بالجور، وعطّل السنن، واتّخذ الدنيا أمّاً وأباً، وعباد الله خولاً، وماله دولاً، ولكنّ ذلك أمر ملك أصاب ملكاً فتمتّع منه قليلاً، وكان قد انقطع عنه، فأتخم لذّته وبقيت عليه تبعته، وكان كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴾[٢٥] ﴿ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ * ثُمَّ جَاءهُم مَّا كَانُوا يُوعَدُونَ* مَا أَغْنَى عَنْهُم مَّا كَانُوا يُمَتَّعُونَ ﴾[٢٦] وأومى بيده إلى معاوية، ثمّ قام فانصرف، فقال معاوية لعمرو: والله ما أردت إلّا شيني حين أمرتني بما أمرتني، والله ما كان يرى أهل الشام أنّ أحداً مثلي في حسب ولا غيره، حتّى قال الحسن عليه السلام ما قال، قال عمرو: وهذا شيء لا يستطاع دفنه، ولا تغييره؛ لشهرته في الناس، واتّضاحه، فسكت معاوية.

وروى الشعبيّ أنّ معاوية قدم المدينة فقام خطيباً فقال: أين علي بن أبي طالب؟ فقام الحسن ابن علي فخطب وحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال:

إنّه لم يبعث نبيّ إلّا جعل له وصيّ من أهل بيته، ولم يكن نبيّ إلّا وله عدوّ من المجرمين، وإنّ علياً عليه السلام كان وصيّ رسول الله صلى الله عليه وآله من بعده، وأنا ابن علي، وأنت ابن صخر، وجدّك حرب، وجدّي رسول الله، وأمّك هند وأمّي فاطمة، وجدّتي خديجة وجدّتك نثيلة، فلعن الله ألأمنا حسباً، وأقدمنا كفراً، وأخملنا ذكراً، وأشدّنا نفاقاً، فقال عامّة أهل المجلس: آمّين. فنزل معاوية فقطع خطبته.

وروي أنّه لمّا قدم معاوية الكوفة قيل له: إنّ الحسن بن علي مرتفع في أنفس الناس، فلو أمرته أن يقوم دون مقامك على المنبر فتدركه الحداثة والعيّ فيسقط من أنفس الناس وأعينهم، فأبى عليهم وأبو عليه إلّا أن يأمره بذلك فأمره، فقام دون مقامه في المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال:

أمّا بعد، أيّها الناس فإنّكم لو طلبتم ما بين كذا وكذا لتجدوا رجلاً جدّه نبيّ لم تجدوا غيري وغير أخي، وإنّا أعطينا صفقتنا هذا الطاغية -وأشار بيده إلى أعلى المنبر إلى معاوية-

وهو في مقام رسول الله ﷺ من المنبر، ورأينا حقن دماء المسلمين أفضل من إهراقها، ﴿ وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴾ ، وأشار بيده إلى معاوية.

فقال له معاوية: ما أردت بقولك هذا؟ فقال: ما أردت به إلّا ما أراد الله عزّ وجلّ، فقام معاوية فخطب خطبة عيّية فاحشة، فسبّ فيها أمير المؤمنين عليه الصلاة السلام، فقام إليه الحسن بن علي عليه السلام فقال له -وهو على المنبر-: ويلك يا بن آكلة الأكباد أوَ أنت تسبّ أمير المؤمنين عليه السلام وقد قال رسول الله ﷺ: «من سبّ علياً فقد سبّني، ومن سبّني فقد سبّ الله، ومن سبّ الله أدخله الله نار جهنّم خالداً فيها مخلّداً وله عذاب مقيم»؟

ثمّ انحدر الحسن عليه السلام عن المنبر ودخل داره، ولم يصلّ هناك بعد ذلك أبداً.

وفي آخر يوم لعمره الشريف في هذه الدنيا أكمل الإمام الحسن دوره العظيم بالتصدّي للإعلام المضلّل، فأشار فيه إلى قتل الأمّة لسبطي رسول الله ﷺ وسيّدي شباب أهل الجنّة، وبيّن بوضوح أنّ مصابه ومصيبته لا تقارن أبداً بمصاب ومصيبة أخيه الحسين حيث أشار لذلك فقال عليه السلام لأخيه الإمام الحسين مواسياً له على مصابه به وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة: (لا يوم كيومك يا أبا عبد الله)[٢٧].

كما أنّه ع قام بكلّ ما يمكن القيام به من دور إعلاميّ كاشفاً لمؤامرات القوم وتخاذل الأمّة وتقصيرها مع أهل بيت نبيّها، مبرهناً للجميع الخلاف والاختلاف والحقد والحسد على أهل البيت، وحقّانيّة البيت العلويّ الفاطميّ برسول الله ﷺ من كلّ أحد في الأمّة، وأنّ هذه الأمّة وهذه المرأة وأتباعها والغاصبين للخلافة النبويّة الشرعيّة قد اعتدوا على حرمة رسول الله ﷺ وتعدّوا كلّ حدود الأدب وأبسط واجبات الإسلام وبديهيّاته بدفن الرجلين عند رسول الله ﷺ وضرب الأرض وحفرها بالمعاول وإحداث الضوضاء ورفع الأصوات عند رسول الله ﷺ دون مراعاة حرمته الواضحة لكلّ مسلم يؤمن بالله ورسوله ﷺ.

الخاتمة ونتائج البحث

إن لكلّ إمام دور تميّز به وأُوكل إليه القيام به مع وحدة هدفهم عليهم السلام وكلمتهم وموقفهم ومبدئهم وعلمهم وعصمتهم، وإنّ الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا، وإنّ الإمام الحسن عليه السلام لو كان في زمن اللعين يزيد لاتّخذ الموقف نفسه الذي وقفه الإمام الحسين عليه السلام من قول الحقّ ووقفة الصدق وجهاد اليد لا اللسان لأعداء الإنسانيّة والإسلام.

فالظرف هو الذي يغيّر ويعدّد المواقف بين إمامٍ وإمام وليس شخص الإمام عليه السلام، ولا لوجود تفاوت ذاتيّ منهم عليهم السلام على الإطلاق، ولذلك قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾، فقرن طاعة ولاة الأمر بطاعته وأطلق الأمر بالطاعة لهم، وهذا ما يدلّ على عصمتهم عليهم السلام المطلقة كما اعترف إمام المتكلّمين الفخر الرازيّ بدلالتها على العصمة جزماً ومن دون أدنى شكّ مع أنه إمام المشكّكين.

وأهل الخلاف من أصحاب الإعلام المضلّل لا يؤمنون بعصمة حتّى خلفائهم الراشدين، فثبت أنّ أئمّة أهل البيت عليهم السلام هم المعنيّون بهذه الآية لا غير.

وقد أكد الإمام الحسن عليه السلام هذه الحقيقة وغيرها في خطبه ومناظراته وأقواله ومواقفه مبرزاً لها في هذه الأمّة الغافلة التي التزم فيها أهل الشام بلا عقلٍ ولا نقلٍ ولا حياءٍ بعصمة أئمّة الفجور والضلال من بني أميّة الذين تضافرت الآيات القرآنيّة والأحاديث النبويّة الشريفة على وصف فجورهم وأنهم مسوخ وقرود وأبغض العشائر لرسول الله صلى الله عليه وآله، فساهم الإمام الحسن عليه السلام، بل أسّس التصدّي لهم على رؤوس الأشهاد، فجزاه الله عن الحقّ وأهله خير جزاء المحسنين.

الهوامش

١-ينظر: سنن الكبرى:١٠/ ١١٤.
٢-ينظر: مسند أحمد:١/ ٨٠.
٣-المصدر نفسه:١/ ٢٧٠.
٤-ينظر: جواهر العقود:٢/ ٤٦٧.
٥-شرح نهج البلاغة:١١/ ٤٣-٤٤.
٦-ينظر: الاحتجاج:٢/ ١٧.
٧-شرح نهج البلاغة:١١/ ٤٤-٤٦.
٨-سورة طه:٦١.
٩-المستدرك على الصحيحين:٤/ ١١٣.
١٠-النزاع والتخاصم:٨٢.
١١-سورة الاسراء:٦٠.
١٢-شواهد التنزيل:٢/ ٤٥٧.
١٣-المختصر في أخبار البشر:٢/ ٥٧.
١٤-تاريخ الطبريّ:١٠/ ٥٨.
١٥-الدرّ المنثور:٤/ ١٩.
١٦-الاحتجاج:١/ ١١.
١٧-سورة الأنبياء:١١١.
١٨-سورة الإسراء:١٦.
١٩-سورة النور:٢٦.
٢٠-سورة النور:٢٦.
٢١-الاحتجاج:١/ ٤٠١-٤١٦.
٢٢-سورة الشورى:٢٣.
٢٣-المستدرك على الصحيحين:٣/ ١٧٢، مسند أحمد:١/ ١٩٩.
٢٤-مناقب آل أبي طالب:٤/ ١٩ ، بحار الأنوار:٤٣/ ٣٤٤.
٢٥-سورة الأنبياء:١١١.
٢٦-سورة الشعراء:٢٠٥-٢٠٧.
٢٧-الامالي، الصدوق:١٧٧.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

* الاحتجاج للطبرسي.
* الإمامة والسياسة: ابن قتيبة الدينوري.
* أنساب الأشراف: البلاذري.
* البداية والنهاية ابن كثير الدمشقي.
* تاريخ الطبري: ابن جرير الطبري.
* التاريخ الكبير للبخاري.
* تاريخ المدينة: ابن شبة النميري.
* تاريخ مدينة دمشق الكبير ابن عساكر.
* تقريب التهذيب: ابن حجر العسقلاني.
* تهذيب الكمال: ابو الحجاج المزي.
* الثقات ابن حبان.
* الجرح والتعديل: ابن ابي حاتم الرازي.
* الجمل الشيخ المفيد.
* حياة الإمام الحسن بن علي: باقر شريف القرشي.
* الرياض النضرة للمحب الطبري.
* شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد المعتزلي.
* صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري، طبع المطبعة السلفية، بدون تاريخ.
* صحيح مسلم مع شرحه للنووي، طبع المطبعة المصرية ومكتبتها، بدون تاريخ.
* الطبقات الكبرى: ابن سعد
* الفتنة ووقعة الجمل: سيف بن عمر الضبي.
* فيض القدير شرح الجامع الصغير: عبد الرؤوف المناوي.
* الكامل في ضعفاء الرجال لأبي أحمد ابن عدي الجرجاني.
* كنز العمال: المتقي الهندي .
* لسان الميزان لابن حجر العسقلاني.
* المجروحين ابن حبان.
* المغني في ضعفاء الرجال للذهبي.
* من له رواية في الكتب الستة للذهبي.
* نهج البلاغة جمع الشريف الرضي.

دور الإمام الحسن عليه السلام
في ترسيخ عقيدة التوحيد

الشيخ فارس آل شريف الجبوريّ

ملخص البحث

لقد جعلت البحث على مقدّمة وتمهيد ومقصدين وخاتمة، فذكرت في التمهيد كفر وانحراف سادات وبعض حكّام بني أميّة مستدلًّا عليه بوجوه عدّة، وأشرت إلى الانقلاب بعد النبيّ والاستئثار بالسلطة والعمل على استعادة ملك بني أميّة المسلوب بعدّة خطوات، التي منها طمع المقرّبين بتقمّص السلطة والتفرّد بها، والانقلاب على الدين الحنيف بإزالة الأئمّة عليهم السلام عن مراتبهم التي رتّبهم الله تعالى فيها عالمين عامدين، وتربّص بني أميّة وانتهازهم الفرص لإعادة سلطانهم الضائع، وقد ساعدهم كثيراً تولّي معاوية على الشام في عهد الثاني، واستعادة السلطة الكاملة كما كانت على حياة عثمان بشكل أقوى وأدهى.

أمّا المقصد الأوّل، فقد بيّنت فيه الجانب العقديّ والكلاميّ في أقوال الإمام الحسن عليه السلام، وقد اخترت من بين أقواله عليه السلام في التوحيد قولين فقط جعلتهما أنموذجين في البحث، أمّا المقصد الثاني، فقد كان البعد التوحيديّ في وجوده المبارك، وزهده وحلمه وعلمه وعبادته وكراماته، ولا يخفى أنّ الإمام الحسن عليه السلام كان يمثّل أحد أهمّ القيادات الدينيّة في عصره، بل هو القيادة الدينيّة الوحيدة الحقّة التي تمثّل السماء آنذاك، ولا يخفى أنّه كان قدوة صالحة، والقدوة الصالحة يتمتّع بصفات تؤهّله لقيادة مجتمعه باتّجاه الصلاح والإصلاح، فإنّ الصفات الحسنة التي يتمتّع بها تكون سبباً لانجذاب الناس إليه ومن ثمّ إلى ما يعبد ويعتقد، وإنّي افردت لكل واحدة مما عرض آنفاً مؤيّدات تؤيّد أنّ كلّ صفة منها تمثّل عامل جذب لله تعالى ولتوحيده.

المقدمة

وصلّى الله على سيّدنا ونبيّنا خاتم الانبياء والمرسلين أبي القاسم محمد وآله الطيّبين الطاهرين.

أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، كَمَا شَهِدَ الله لِنَفْسِهِ، وَشَهِدَتْ لَهُ مَلَائِكَتُهُ وَأُولُو الْعِلْمِ مِنْ خَلْقِهِ ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ الْمُنْتَجَبُ وَرَسُولُهُ الْمُرْتَضَى أَرْسَلَهُ ﴿بِالْهُدىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾.

وَأَشْهَدُ أَنَّكُمُ الْأَئِمَّةُ الرَّاشِدُونَ، الْمَهْدِيُّونَ، الْمَعْصُومُونَ، الْمُكَرَّمُونَ، الْمُقَرَّبُونَ، الْمُتَّقُونَ، الصَّادِقُونَ، الْمُصْطَفَوْنَ، الْمُطِيعُونَ لله الْقَوَّامُونَ بِأَمْرِهِ، الْعَامِلُونَ بِإِرَادَتِهِ، الْفَائِزُونَ بِكَرَامَتِهِ، اصْطَفَاكُمْ بِعِلْمِهِ، وَارْتَضَاكُمْ لِغَيْبِهِ، وَاخْتَارَكُمْ لِسِرِّهِ، وَاجْتَبَاكُمْ بِقُدْرَتِهِ، وَأَعَزَّكُمْ بِهُدَاهُ، وَخَصَّكُمْ بِبُرْهَانِهِ، وَانْتَجَبَكُمْ بِنُورِهِ، وَأَيَّدَكُمْ بِرُوحِهِ، وَرَضِيَكُمْ خُلَفَاءَ فِي أَرْضِهِ، وَحُجَجاً عَلَى بَرِيَّتِهِ، وَأَنْصَاراً لِدِينِهِ، وَحَفَظَةً لِسِرِّهِ، وَخَزَنَةً لِعِلْمِهِ، وَمُسْتَوْدَعاً لِحِكْمَتِهِ، وَتَرَاجِمَةً لِوَحْيِهِ، وَأَرْكَاناً لِتَوْحِيدِهِ، وَشُهَدَاءَ عَلَى خَلْقِهِ، وَأَعْلَاماً لِعِبَادِهِ، وَمَنَاراً فِي بِلَادِهِ، وَأَدِلَّاءَ عَلَى صِرَاطِهِ، عَصَمَكُمُ الله مِنَ الزَّلَلِ، وَآمَنَكُمْ مِنَ الْفِتَنِ، وَطَهَّرَكُمْ مِنَ الدَّنَسِ، وَأَذْهَبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ، وَطَهَّرَكُمْ تَطْهِيراً.

كثيراً ما يَلفُت انتباهي عند المطالعة والبحث في حياة السبط الأكبر للنبيّ الأعظم الإمام الحسن المجتبى عليه السلام قلّة التعرّض للجانب العقدي في حياته الشريفة، على الرغم من أنّ حياته عليه السلام حافلة بهذا الأمر، فهو الذي آثر تربية المجتمع الاسلامي آنذاك تربية عقديّة بعد الانحراف الفكريّ والأخلاقيّ والعقديّ الذي خلّفه الانقلاب على الأعقاب - بحسب التعبير القرآنيّ- وأخصّ بالذكر ولمدة التي أعقبت خلافة الثاني وتولّي الثالث الذي أسّس لدولة بني أميّة التي ما آمنت بالله تعالى قطّ بجميع ما تحمله من حقد وضغينة على الإسلام والخلّص من المسلمين، تاركاً عليه السلام القيام بأعباء الخلافة ومواصلة القتال لأجل الحفاظ عليها.

فقد كرّس الإمام الحسن عليه السلام ما تبقّى من عمره الشريف لترسيخ عقيدة التوحيد أوّلاً وترسيخ الأمور الأخرى المتفرّعة عنه ثانياً ، ولأجل هذا تناول بحثي دوره عليه السلام في ترسيخ عقيدة التوحيد، وقد جعلته على **مقدّمة وتمهيد ومقصدين وخاتمة**، تضمّن **التمهيد** إثبات كفر

بنـي أميّـة معتمـداً عـلى مصـادر العامّـة ممّـن يعتقـدون بإمامتهـم وخلافتهـم، ليكـون أكثـر وقعـاً في النفـوس، وبيّنـت أنّـه مـع اجتـماع كفرهـم وملكهـم صـار التصـدّي لزامـاً لئـلّا ترجـع الأمّـة إلى سـابق عهدهـا مـن الجاهليّـة الأولى ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾[1].

وتضمّـن **المقصـد الأوّل**: أجوبتـه عليه السلام عـن بعـض الأسـئلة، وذكـر محـاورة لـه مـع أحـد أصحابـه ممّـا يحمـل جوانـب عقديـة دقيقـة مـع التحليـل والـشرح والتفصيـل، غاضّـاً الطـرف عـن بعـض خطبـه ومـا احتوتـه مـن مفاهيـم توحيديّـة عاليـة ومعـانٍ سـامية، رعايـة للاختصـار، وتأجيـلاً لمناسـبات بحثيّـة أخـرى.

وتضمّـن **المقصـد الثـاني**: الجانـب العقـديّ في حلمـه وعلمـه وعبادتـه وكراماتـه، ومـا لهـا مـن أثـر كبـير في ترسـيخ عبـادة التوحيـد مـن الناحيـة العمليّـة، ولمـا لهـا مـن أثـر في تربيـة المجتمـع المسـلم تربيـة عقديّـة رصينـة تنسـجم مـع مـا يُنفـث مـن سـموم بنـي أميّـة في مائـدة الإسـلام النقيّـة، مسـتدلًّا ببعـض مـا ورد مـن روايـات في هـذا الشـأن، وكان **ختامهـا** مسـك في بيـان بعـض الأمـور المتعلّقـة بالبحـث

التمهيد

بعث الله تعالى نبيّه محمداً صلى الله عليه وآله إتماماً لأمره، وعزيمة على إمضاء حكمه، وإنفاذاً لمقادير حتمه، فرأى صلى الله عليه وآله الناس عابدة لأوثانها، منكرة لله مع عرفانها، فأنار ظُلَمَها، وقام في الناس بالهداية، فأنقذهم من الغواية، وهداهم إلى الدين القويم، وبعد أن اختاره الله تعالى وأتى به إلى جواره، انقلبوا على أعقابهم، فقدّموا الغواية على الهداية، وانحرفوا عن صراط الله المستقيم ونهج رسوله القويم، وتركوا كتاب الله بين أظهرهم، لاسيّما بنو أميّة ودولتهم التي هي إلى الكفر والشرك أقرب منها إلى الإيمان، والتي مهّد لها الأوّل بتقمّصه للخلافة التي يعلم أن لا محلّ له منها، وأنّ محلّ أمير المؤمنين عليه السلام منها محلّ القطب من الرحى، وقد زاد في الطين بلّة حينما أوصى للثاني الذي أسّس بدوره لدولة بني أميّة بتسليم ولاية الشام لمعاوية ابتداء، وبوصيّة مهّدت للثالث انتهاء، والثالث على الرغم من أنّه يعد ثالث الثلاثة إلّا أنّه يمكن القول أنّه أوّل حكّام بني أميّة؛ لأنّه من بني أميّة من جهة، ومن جهةٍ أخرى هو الذي مكّنهم ماديّاً وسياسيّاً، فمنهم من أغدق عليه الأموال الطائلة ومنهم من جعل له ولاية على الأمصار، ومنهم من وسّع رقعة ولايته، فعلى الأرجح أنّ الدولة الأمويّة بدأت بالثالث، وانحسرت خلافة أمير المؤمنين وابنه الحسن عليهما السلام، لترجع بعد الصلح دولة واسعة قويّة مبنيّة على ما يعبّر عنه حديثا بالدكتاتوريّة والأحقاد الطائفيّة والاجتهاد في تصفية الخصوم وتصفية الحسابات، فقد نقموا على النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله، فلو كان صلى الله عليه وآله بينهم بعد تجدّد سلطانهم لانتقموا منه شرّ انتقام، ولكن حال دون ذلك رحيله عنهم، فتجسّد الانتقام منه بإيذاء عترته الطاهرة لاسيّما أمير المؤمنين عليه السلام الذي - في الله تعالى ومن أجل دينه وإعلاء كلمته - وضع السيف في رقاب الطلقاء حتّى كثر النياح في بيوتهم، ولم يقتصر هذا الانتقام على أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم فقط، بل ذهب إلى أبعد من ذلك، وهو أسلوب إضلال الأمّة وتضليلها، وابتعاد حقيقيّ عن العقيدة والأخلاق والتعاليم الحقّة التي أسّس لها النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام، فقد سبّبت دولتهم عوجاً في الدين؛ لما ارتكبوا من حماقات استحقّوا بها اللعن، فإنّ الأخبار في لعن بني أُميّة رواها الفريقان، لكنّنا نورد عدداً من مرويّات كتب العامّة لأنّهم أتباعهم

وأشياعهم، ويعدونهم خلفاء رسول الله ﷺ وأولي الأمر وواجبي الطاعة، من باب إلزامهم بالحجّة، فبنوأميّة هم المعنيّون بالرؤيا، وهم الشجرة الملعونة في القرآن.

ويمكن الاستدلال على كفرهم وانحرافهم ولعنهم بعدّة وجوه، منها:

الأوّل: لعنهم في القرآن الكريم: قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴾[٢]، الآية التي كثرت فيها الآراء طبقاً لما جاءت فيها من الروايات، وقد لاحظت في تفسيرها على بعض مفسّري العامّة عدّة ملاحظات:

الملاحظة الأولى: ذُكر رأي واحد فقط هو المشهور عندهم دون الإشارة إلى الآراء الأخرى[٣].

الملاحظة الثانية: ذكر عدّة آراء تنسجم مع اعتقاده متغافلاً عن الآراء المخالفة التي فيها مساس بمعتقده[٤].

الملاحظة الثالثة: ذكر جميع الآراء مفصّلاً ما انسجم مع عقيدته موجزاً غيرها، هذا فيما يخصّ الرؤيا، أمّا ما يخصّ الشجرة الملعونة فقد ذكروا ما اشتهر عندهم غاضّاين الطرف عن الرأي الآخر[٥].

الملاحظة الرابعة: ذكر جميع الآراء بتفصيلاتها مقوّياً لما طابق اعتقاده مضعّفاً لما خالف[٦].

الملاحظة الخامسة: ذكر جميع الآراء بحسب رواياتها وترك الترجيح بينها إلّا تأويل بني أميّة في الشجرة الملعونة، فقد ذكر استثناء لابن عطية استثنى فيه عثمان ومعاوية وعمر بن عبد العزيز بغير وجه حقّ، فكان لولا استثناؤهم أميناً إلى حدّ ما على بحثه العلميّ[٧].

ورعاية للاختصار ذكرت خلاصة ما توصّل إليه السيّد الطباطبائيّ في تفسيره الميزان[٨]؛ لتثبّته ومناقشته لجميع الآراء وإبطالها، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴾[٩] روي ما يقرب منه بغير واحد من الطرق.

وفي الدرّ المنثور أخرج ابن جرير عن سهل بن سعد قال : رأى رسول الله ﷺ بني فلان ينزون على منبره نزو القردة فساءه ذلك، فما استجمع

ضاحكاً حتّى مات، فأنزل الله : ﴿ وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس ﴾ .

وفيه أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عمر: « أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال: رأيت ولد الحكم بن العاص على المنابر كأنّهم القردة وأنزل الله في ذلك: يعني الحكم وولده»[١٠].

وفيه أخرج ابن أبي حاتم عن يعلى بن مرّة قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله أريت بني أميّة على منابر الأرض وسيتملّكونكم فتجدونهم أرباب سوء، واغتمّ رسول الله صلى الله عليه وآله لذلك فأنزل الله: ﴿ وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس ﴾ »[١١].

وفيه أخرج ابن مردويه عن الحسين بن علي أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أصبح وهو مهموم فقيل: مالك يا رسول الله ؟ فقال: إنّي أريت في المنام كأنّ بني أميّة يتعاورون منبري هذا، فقيل: يا رسول الله، لا تهتمّ فإنّها دنيا تنالهم فأنزل الله: ﴿ وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس ﴾ .

وفيه أخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقيّ في الدلائل وابن عساكر عن سعيد بن المسيّب قال: «رأى رسول الله صلى الله عليه وآله بني أميّة على المنابر فساءه ذلك، فأوحى الله إليه إنّما هي دنيا أعطوها فقرّت عينه، وهي قوله: ﴿ وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس ﴾ يعني بلاء للناس»[١٢].

وبعد أن أثبت الطباطبائيّ (قدّس) في ميزانه وبطرق عديدة من أهل الخلاف أنّ الرؤيا خاصّة ببني أميّة مستدلًّا بضرس قاطع بنفي انصرافها إلى غيرهم من التأويلات التي تضمّنتها بحوث تملأ الشبكة الدوليّة (الانترنت) تدليساً، وإيماناً منهم بالبعض وكفراً بالبعض الآخر، عرّج على نفي التأويلات الخاصّة بالشجرة الملعونة مستبعداً بالدليل أن تكون شجرة الزقّوم أو غيرها المقصودة باللعن، وإثبات أنّ هذه الشجرة ليس نباتاً، بل هي شجرة نسب تدلّ – بالمضمون والسياق القرآنيّ– على بني أميّة قائلاً: (وبالتأمّل في ذلك يتّضح للباحث المتدبّر أنّ هذه الشجرة الملعونة قوم من هؤلاء الملعونين في كلامه لهم صفة الشجرة في النشوء والنموّ وتفرّع الفروع على أصل له حظّ من البقاء والإثمار، وهم فتنة تفتتن بها هذه الأمّة، وليس يصلح لهذه الصفة إلّا طوائف ثلاث من المعدودين وهم أهل الكتاب والمشركون والمنافقون، ولبثهم في الناس وبقاؤهم على الولاء إمّا بالتناسل والتوالد كأهل بيت من الطوائف المذكورة

يعيشون بين الناس ويفسدون على الناس دينهم ودنياهم ويفتتن بهم الناس وإمّا بطلوع عقيدة فاسدة ثمّ اتّباعها على الولاء من خلف بعد سلف[١٣]، وقال: ((ويؤيّد جميع ما تقدّم ما ورد من طرق أهل السنّة واتّفقت عليه أحاديث أئمّة أهل البيت عليهم السلام أنّ المراد بالرؤيا في الآية هي رؤيا رآها النبيّ صلى الله عليه وآله في بني أميّة والشجرة شجرتهم))[١٤].

الثاني: لعنهم في السنّة: بروايات ووقائع تاريخيّة كثيرة اخترنا منها ما يأتي:

الرواية الأولى: ما ورد عن العبّاس بن عبد المطلب أنّه قال: فأردفته خَلْفي ثمَّ جئت به، فكلّما انتهيتُ إلى نارٍ قاموا إليّ، فإذا رأَوني قالوا: هذا عمّ رسول الله، خلُّوا سبيله .. فجلست عند رأس رسول الله صلى الله عليه وآله فقلت: بأبي أنت وأُمّي! أبو سفيان وقد أجَرْتُه، قال : أدخِلْه، فقام بين يديه فقال: وَيْحك ـ يا أبا سفيان ـ ! أما آنَ لك أنْ تشهد أنْ لا إله إلا الله، وأنِّي رسول الله؟ قال: بأبي أنت وأُمّي! ما أكرمك، وأوصلَك وأحلمك! أما والله، لو كان معه إلهٌ لأغنى يوم بدر ويوم أُحد، وأمَّا أنَّك رسول الله .. فوَ الله إنَّ في نفسي منها لَشيئاً، قال العبّاس : يُضرَب ـ والله ـ عُنُقك في هذه الساعة، أو تشهد أنْ لا إله إلا الله، وأنَّه رسول الله. قال : فإنِّي أشهد أنْ لا إله إلا الله ، وأنَّك لرسول الله . تلجلج بها فوه[١٥].[١٦]

حتّى إذا أحسّ أبو سفيان بالأمان، عاد يكيد المكائد، وأظهر كفرَه ونفاقَه مِن جديد، حتَّى اشتهر عنه أنَّه نادى: يا بني أُميَّة، تلاقفوها تلاقف الصبيانِ للكُرة، فو الذي يحلف به أبو سفيان .. لا جَنَّة ولا نار[١٧].

الرواية الثانية: (روي أنّ النبيّ رأى أبا سفيان على جمل أحمر، يسوقه معاوية، و يقوده عتبة، فقال: اللهمّ العن الراكب والقائد والسائق، فحفظ معاوية هذه اللعنة، و عملت عملها في نفسه، وانتظر الفرصة السانحة للانتقام من نبيّ الرحمة، حتّى صار الحاكم بأمره، فلم يجرأ على التصريح بالاسم العظيم، فسبّ عليّاً، وهو لا يريد إلّا محمداً؛ لأنّه يعلم حقّ العلم أنّ النبيّ قال: من سبّ عليّاً فقد سبّني، و من سبّني فقد سبّ الله[١٨].

كرّس معاوية حياته في سبّ علي، فكتب إلى البلدان يأمر عمّاله وموظّفيه بالسبّ، فقامت الخطباء في كلّ كورة، و على كلّ منبر يلعنون علياً، و يبرؤون منه، و يقعون فيه وفي أهل بيته[١٩]، و بقي السبّ سُنّة بعد معاوية في سنين طويلة، سبّ أهل بيت الرسول، وأمر بسبّهم وجعل ذلك سنّة متّبعة، وديانة مقدّسة، و قانوناً لا يصلح الخروج عليه، لا لشيء إلّا لأنّ الله سبحانه قال في كتابه: ﴿ إنما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً[٢٠] ﴾[٢١].

الرواية الثالثة: وهذا ما أجاب به الإمام الحسن عليه السلام معاوية في احتجاج كبير اجتمع فيه رؤوس الضلال: عمرو بن عثمان، وعمرو بن العاص، وعتبة بن أبي سفيان، والوليد بن عقبة ابن أبي معيط، والمُغيرة بن شعبة.. وقد تواطئوا على أمرٍ واحدٍ يقوده عليهم معاوية، فتكلَّموا ونضحوا كُفراً ونفاقاً، وكان الإمام الحسن عليه السلام يُجابههم بحُجَجٍ دامغة، ويُذكِّرهم مثالبهم في الجاهليّة والإسلام .. وكان مِن ذلك قوله عليه السلام لمُعاوية:

(.. ثمَّ أُنشدكم بالله، هل تعلمون أنَّ أبا سفيان دخل على عثمان ـ حين بُويع في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله ـ فقال : يا ابن أخي ، هل علينا مِن عين؟ قال: لا ، فقال أبو سفيان: تداولُوا الخلافة ـ يا فتيانَ بني أُميَّة ـ ! فو الذي نفسُ أبي سفيان بيده ، ما مِن جنَّةٍ ولا نار ! وأُنشدُكم بالله، أتعلمونَ أنَّ أبا سفيان أخذ بيد الحسين حين بُويع عثمان وقال: يا ابن أخي، اخرجْ معي إلى بقيع الغرقد، فخرج حتَّى إذا توسَّط القبور اجترَّه فصاح بأعلى صوته: يا أهلَ القبور، الذي كنتم تُقاتلونا عليه (الحكم) صار بأيدينا وأنتم رميم ؟!)[٢٢].

وهذا من المؤيّدات لما ذكرت سابقاً من أنّ الدولة الأمويّة تأسّست على عهد عثمان وانحسرت في مدة الخلافتين الحقّتين (لأمير المؤمنين وابنه الحسن عليهما السلام).

الرواية الرابعة: عن أبي مخنف، قال: حدثني مالك بن أعين الجهنيّ، عن زيد بن وهب الجهنيّ، أنّ عمار بن ياسر رحمه الله قال يومئذٍ: أين من يبتغي رضوان الله عليه، ولا يؤوب إلى مال ولا ولد؟ فأتته عصابة من الناس، فقال: أيّها الناس، اقصدوا بنا نحو هؤلاء الذين يبغون دم ابن عفّان، ويزعمون أنّه قتل مظلوماً، والله ما طلبتهم بدمه، ولكنّ القوم ذاقوا الدنيا فاستحبّوها واستمرؤوها وعلموا أنّ الحقّ إذا لزمهم حال بينهم وبين ما يتمرّغون فيه من

دنياهم، ولم يكن للقوم سابقة في الإسلام يستحقّون بها طاعة الناس والولاية عليهم، فخدعوا أتباعهم أن قالوا: إمامنا قتل مظلوماً، ليكونوا بذلك جبابرة ملوكاً، وتلك مكيدة بلغوا بها ما ترون، ولولا ما تبعهم من الناس رجلان، اللهمّ إن تنصرنا فطالما نصرت، وإن تجعل لهم الأمر فادّخر لهم بما أحدثوا في عبادك العذاب الأليم.

ثمّ مضى، ومضت تلك العصابة التي أجابته حتّى دنا من عمرو، فقال : يا عمرو، بعت دينك بمصر، تبّاً لك تبّاً! طالما بغيت في الإسلام عوجاً، وقال لعبيد الله بن عمر بن الخطّاب: صرعك الله! بعت دينك من عدوّ الإسلام وابن عدوّه، قال: لا، ولكن أطلب بدم عثمان بن عفّان ، قال له : اشهد على علمي فيك أنّك لا تطلب بشيء من فعلك وجه الله عزّوجلّ، وأنّك إن لم تقتل اليوم تمت غداً، فانظر إذا أعطي الناس على قدر نيّاتهم ما نيّتك[٢٣].

الرواية الخامسة: (قال أبو مخنف: حدّثني عبد الرحمن بن جندب الأزديّ، عن أبيه أنّ علياً قال: عباد الله ، امضوا على حقّكم وصدقكم قتال عدوّكم، فإنّ معاوية وعمرو بن العاص وابن أبي معيط وحبيب بن مسلمة وابن أبي سرح والضحّاك بن قيس، ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن، أنا أعرف بهم منكم، قد صحبتهم أطفالاً، وصحبتهم رجالاً، فكانوا شرّ أطفال وشرّ رجال، ويحكم! إنّهم ما رفعوها، ثمّ لا يرفعونها ولا يعملون بما فيها، وما رفعوها لكم إلّا خديعة ودهناً ومكيدة، فقالوا له: ما يسعنا أن ندّعي إلى كتاب الله عزّوجلّ فنأبى أن نقبله، فقال لهم: فإنّي إنّما قاتلتهم ليدينوا بحكم هذا الكتاب، فإنّهم قد عصوا الله عزّوجلّ فيما أمرهم ونسوا عهده، ونبذوا كتابه، فقال له مسعر بن فدكي التميميّ، وزيد بن حصين الطائيّ ثمّ السنبسيّ، في عصابة معهما من القرّاء الذين صاروا خوارج بعد ذلك: يا علي، أجب إلى كتاب الله عزّوجلّ إذا دعيت إليه، وإلّا ندفعك برمّتك إلى القوم، أو نفعل كما فعلنا بابن عفّان، إنّه علينا أن نفعل بما في كتاب الله عزّوجلّ فقبلناه، والله لتفعلنّها أو لنفعلنّها بك، قال: فاحفظوا عنّي نهيي إيّاكم، واحفظوا مقالتكم لي، أمّا أنا فإن تطيعوني تقاتلوا، وإن تعصوني فاصنعوا ما بدا لكم . قالوا له : إمّا لا فابعث إلى الأشتر فليأتك)[٢٤].

الرواية السادسة: ما ورد على لسان الإمام الحسن المجتبى عليه السلام من ردّ على معاوية وأعوانه

من الأمويّين في مجلس الشام فوجّه خطابه أوّلاً إلى معاوية قائلاً:

يا معاوية، ما هؤلاء شتموني ولكنّك شتمتني فحشاً ألفته وسوء رأي عرفت به وخلقاً سيّئاً ثبتّ عليه وبغياً علينا عداوة منك لمحمد صلى الله عليه وآله، ولكن اسمع يا معاوية واسمعوا فلأقولنّ فيك وفيهم ما هو دون ما فيكم، أنشدكم الله أيّها الرهط أتعلمون أنّ الذي شتمتموه منذ اليوم صلّى القبلتين كلتيهما؟ وأنت يا معاوية بهما كافر تراهما ضلالة وتعبد اللات والعزّى غواية، وأنشدكم الله هل تعلمون أنّه بايع البيعتين كلتيهما بيعة الفتح وبيعة الرضوان؟ وأنت يا معاوية بإحداهما كافر وبالأخرى ناكث، وأنشدكم الله هل تعلمون أنّه أوّل الناس إيماناً؟ وأنّك يا معاوية وأباك من المؤلّفة قلوبهم تسرّون الكفر وتظهرون الإسلام وتستهالون بالأموال، وأنشدكم الله ألستم تعلمون أنّه كان صاحب راية رسول الله صلى الله عليه وآله يوم بدر وأنّ راية المشركين كانت مع معاوية ومع أبيه ثمّ لقيكم يوم أحد ويوم الأحزاب ومعه راية رسول الله صلى الله عليه وآله ومع أبيك راية الشرك، وفي كلّ ذلك يفتح الله له ويفلج حجّته وينصر دعوته ويصدق حديثه ورسول الله صلى الله عليه وآله في تلك المواطن كلّها عنه راضٍ وعليك وعلى أبيك ساخط، وأنشدك بالله يا معاوية أتذكر يوم جاء أبوك على جمل أحمر وأنت تسوقه وأخوك عتبة هذا يقوده فرآكم رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: اللهمّ العن الراكب والقائد والسائق، أتنسى يا معاوية الشعر الذي كتبته إلى أبيك لمّا همّ أن يسلم تنهاه عن ذلك؟

يا صخر[٢٥] لا تسلمن[٢٦] يوماً فتفضحنا ... بعد الذين ببدرٍ أصبحوا مزقا[٢٧]

خالي وعمّي وعمّ الأمّ ثالثهم ... وحنظل الخير قد أهدى لنا الأرقا[٢٨]

لا تركننّ إلى أمرٍ تكلّفنا ... والراقصات[٢٩] به في مكّة الخرقا

فالموت أهون من قول العداة لقد ... حاد ابن حربٍ عن العُزّى[٣٠] إذا فرقا[٣١].

والله لمّا أخفيت من أمرك أكبر ممّا أبديت، وأنشدكم الله أيّها الرهط أتعلمون أنّ علياً حرّم الشهوات على نفسه بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله فأنزل فيه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكُمْ﴾[٣٢]، وأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله بعث أكابر أصحابه إلى بني قريظة فنزلوا من حصنهم فهزموا، فبعث علياً بالراية فاستنزلهم على حكم الله وحكم رسوله، وفعل في خيبر

مثلها، ثمّ قال: يا معاوية أظنّك لا تعلم أنّي أعلم ما قاله رسول الله ﷺ فيك لمّا أراد أن يكتب كتاباً إلى بني خزيمة فبعث إليك فلم تأته، فدعا عليك بالنهم[٣٣] إلى أن تموت، وأنتم أيّها الرهط نشدتكم الله ألا تعلمون أنّ رسول الله ﷺ لعن أبا سفيان في سبعة مواطن لا تستطيعون ردّها:

أوّلها: يوم لقي رسول الله ﷺ خارجاً من مكّة إلى الطائف يدعو ثقيفاً إلى الدين، فوقع به وسبّه وسفّهه وشتمه وكذّبه وتوعّده وهمّ أن يبطش به، فلعنه الله ورسوله وصرف عنه.

الثانية: يوم العير إذ عرض لها رسول الله ﷺ وهي جائية من الشام فطردها أبو سفيان وساحل بها، فلم يظفر المسلمون بها، ولعنه رسول الله ﷺ ودعا عليه، فكانت واقعة بدر لأجلها.

الثالثة: يوم أحد حيث وقف تحت الجبل ورسول الله ﷺ في أعلاه وهو ينادي أعلو هبل مراراً، فلعنه رسول الله ﷺ عشر مرّات ولعنه المسلمون.

الرابعة: يوم جاء بالأحزاب وغطفان اليهود، فلعنه رسول الله ﷺ وابتهل.

الخامسة: يوم جاء أبو سفيان في قريش فصدّوا رسول الله ﷺ عن المسجد الحرام والهدي معكوفاً أن يبلغ محلّه يوم الحديبية، فلعن رسول الله أبا سفيان ولعن القادة والأتباع وقال: ملعونون كلّهم وليس فيهم من يؤمن، فقيل: يا رسول الله أفما يرجى الإسلام لأحدٍ منهم فكيف باللعنة؟ فقال: لا تصيب اللعنة أحداً من الأتباع، وأمّا القادة فلا يفلح منهم أحد.

السادسة: يوم الجمل الأحمر.

السابعة: يوم وقفوا لرسول الله ﷺ في العقبة ليستنفروا ناقته وكانوا اثنا عشر رجلاً منهم أبو سفيان، فهذا لك يا معاوية.[٣٤]

بحث في حادثة الانقلاب على ما جاء به النبيّ ﷺ:

بذل النبيّ الأكرم ﷺ جهداً استثنائيّاً لإخراج المجتمع آنذاك من التدنّي الفكريّ والأخلاقيّ والاعتقاديّ السائد في المجتمع، صابراً على الأذى محتسباً ذلك في ذات الله تعالى، مقدّماً للتضحيات الجسام، والظلم والاضطهاد له ولأقاربه وأصحابه الذين آمنوا به أوّل بعثته، وعمل المعسكر المعادي المتمثّل بأبي سفيان ومقرّبيه من قريش عامّة وبني أميّة خاصّة على وئد هذه الرسالة الإلهيّة ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾[٣٥]، فأنقذ

الله تعالى نبيّه ودينه حتّى قدّر لهم النصر على أعدائهم وفتح مكّة، وأوصى وصيّته في غدير خمّ بعد حجّة الوداع، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾[٣٦]، فختم صلى الله عليه وآله عمره الشريف بالنصّ على الإمامة والولاية منبّهاً إلى أنّ الله لا يهدي القوم الكافرين، إلّا أنّ ضلال الكافرين وعدم هدايتهم أمر خارج مُسبّب عن أنفسهم الظلمانيّة التي تأبى النور والتي لا تمنع إتمام الدين، فأتمّ صلى الله عليه وآله بهذه الوصيّة دينه، قال تعالى: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾[٣٧] إلّا أنّ من كان مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ لم ولن يتركوا هذا الدين، فبأنفسهم هم الذين خطّطوا لوأدها صغيراً عملوا، بل بذلوا قصارى جهودهم لتشويهه وتحريفه كبيراً، انتقاما منه ومن الذي جاء به، هذا الدين الذي أضرّ بهم وسلب عزّتهم وسلطانهم وأموالهم وقتل أعزّتهم وأقاربهم، عازمون على إرجاع الأمور إلى الجاهليّة الأولى بعدّة خطوات، منها:

الأولى: تطميع المقرّبين بتقمّص السلطة والتفرّد بها، والانقلاب على الدين الحنيف بإزالة الأئمّة عليهم السلام عن مراتبهم التي رتّبهم الله تعالى فيها عالمين عامدين، بعد التخلّص من النبيّ صلى الله عليه وآله، قال تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ ﴾[٣٨]، فانقلبوا بعد رحيله على الدين وشريعة سيّد المرسلين[٣٩].

الثانية: تربّص بني أميّة وانتهازهم الفرص لإعادة سلطانهم الضائع، وقد ساعدهم كثيراً تولّي معاوية على الشام في عهد الثاني، واستعادة ملكهم بوصول الثالث الذي أسّس لملك بني أميّة ببذخ المال وبذل السلطة بغير استحقاق منهم، وبغير وجه حقّ منه.

الثالثة: استعادة السلطة الكاملة كما كانت على حياة عثمان بشكل أقوى وأدهى، معلنين عن كفرهم وانتقامهم من النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله من خلال النيل من عترته عليهم السلام وشيعتهم سبّاً وظلماً وسمّاً وتقتيلاً، حتّى استبدلوا النسخة الحقّة من الدين بنسخة أخرى شوّهوا بها نسخته الحقيقيّة، واستبدلوا قادة الإسلام وأبطاله بالجبناء من أعدائه واستبدال الرواة الأمناء على

الدين بالوضّاعين ووعّاظ السلاطين، فحقّ قول رسول الله ﷺ (عن الإمام الصادق عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: قال رسول الله ﷺ: سيأتي على الناس زمان لا يبقى من القرآن إلّا رسمه، ومن الإسلام إلّا اسمه، يسمّون به وهم أبعد الناس منه، مساجدهم عامرة وهي خراب من الهدى، فقهاء ذلك الزمان شرّ فقهاءٍ تحت ظلّ السماء، منهم خرجت الفتنة وإليهم تعود)[٤٠].

فإنّ أوضح وأجلى مصداق لمفاهيم هذا الحديث هم بنو أميّة في ذلك الزمان، ومن لفّ لفّهم وشايعهم واتّبع سنّتهم في هذا الزمان، لذا اجتهدوا في تكذيبه[٤١] قديمًا وحديثاً.

ولذا تصدّى إمامنا الحسن عليه السلام وهو أعلم بتكليفه لهذا الفكر الضالّ المضلّ بترسيخ شرع الإسلام وأخلاقه من جهة وعقائده لاسيّما عقيدة التوحيد من جهة أخرى، ولذا ذكرنا دوره عليه السلام في ترسيخ عقيدة التوحيد بعدّة مقاصد هي:

المقصد الاول: الجانب العقدي والكلامي في اقوال الإمام الحسن عليه السلام

مع أنّه عليه السلام غضّ الطرف عن الخلافة لأسباب دينيّة ومبدئيّة، فهو لم يترك الساحة ومواريث الرسول ﷺ لتُنهب بأيدي الجاهليين، بل نجده قد تصدّى لتربية المؤمنين تربية عقديّة وأخلاقيّة تقوم على أساسها الدولة الاسلاميّة وعليها تُطبّق أحكام الشريعة، وقد اخترت من بين العديد من أقواله عليه السلام في التوحيد قولين هما:

القول الأوّل: جاء رجل إلى الحسن بن علي عليه السلام فقال له: يا بن رسول الله ﷺ صف لي ربّك حتّى كأنّي أنظر اليه، فأطرق الحسن بن علي عليه السلام مليّاً، ثمّ رفع رأسه، فقال: (الحمد لله الذي لم يكن له أوّل معلوم، ولا آخر متناهٍ، ولا قبل مدرك، ولا بعد محدود، ولا أمد بحتّى، ولا شخص فيتجزّأ، ولا اختلاف صفةٍ فيتناهى، فلا تدرك العقول وأوهامها، ولا الفكر وخطراتها، ولا الألباب وأذهانها صفته، فتقول : متى؟ ولا بدأ ممّا؟ ولا ظاهر على ما؟ ولا باطن فيما؟ ولا تارك فهلّا؟ خلق الخلق فكان بديئاً بديعاً، ابتدأ ما ابتدع، وابتدع ما ابتدأ، وفعل ما أراد، وأراد ما استزاد، ذلكم الله ربّ العالمين)[٤٢].

أقول: بعد التأمّل قليلاً بهذه الرواية يمكن تسجيل عدّة ملاحظات بعضها يخصّ السائل وأخرى تخصّ المجيب تجدر الاشارة إليها وهي:

الملاحظة الأولى: إنّ السائل عندما سأل كان سؤاله عن الصفات (صف لي ربّك) بمعنى أنّه أراد معرفة الله تعالى بمعرفة خواصّه، وهذا فيه احتمالان:

الأوّل: إنّه يعلم أنّ الذات الالهيّة لا يمكن إدراك كنهها، فعدل عن الذات إلى الصفات.

الثاني: أنّ السائل لا يعلم ذلك، لكنّه اكتفى بمعرفته تعالى بخواصّه، ولا فرق في البين سواء علم باستحالة إدراك كنه ذاته من عدمه، إلّا في مستوى ردّ المجيب.

الملاحظة الثانية: أنّه يريد جواباً يجعله كأنّه يرى الله تعالى حيث قال: (كأنّي أنظر إليه)، والنظر هنا فيه عدّة احتمالات منها:

الاحتمال الأوّل: إنّه يريد به النظر بالعين الباصرة من أنّ هذا الوصف يوصله إلى معرفة تنال بالحسّ الظاهر، وهذا يلزم منه التجسيم الباطل.

الاحتمال الثاني: إنّه يريد بالنظر هو الفكر الذي يجعله ينظر إلى صورته الذهنيّة التي ترتسم في الذهن نتيجة لتفكّر العقل، وهذا أيضاً واضح البطلان كما سيأتي.

الاحتمال الثالث: إنّه يريد بالنظر هو العلم لكن بالحسّ الباطنيّ الوجدانيّ والاستشعار الإيمانيّ، وهو الحقّ.

قد يقال: إنّ الاحتمال الأوّل هو الصحيح وأنّ المصحّح له أنّ السائل أراد أرفع وأعلى المعرفة وهي المشاهدة الحسّيّة، لكنّه لمّا علم استحالتها على الله فطلبها بنحو: (كأنّي أراه) أو (كأنّي أنظر إليه) أي كأنّي أنظر إلى الذات الإلهيّة نظراً حسّيّاً.

الملاحظة الثالثة: إنّ الإمام عليه السلام أخفض رأسه متأمّلاً في مدة ليست بالقليلة (فأطرق الحسن بن علي عليه السلام مليّاً، ثمّ رفع رأسه بعدها بدأ بالجواب، وهذا فيه عدّة احتمالات منها:

الاحتمال الأوّل: إنّ الاجابة غير حاضرة لدى الإمام ، فاحتاج الجواب إلى التأمّل وإعمال النظر، وهذا وإن كان حاصلاً مع عامّة الناس إلّا أنّه غير حاصل مع العلماء وأهل التخصّص، فضلاً عن الإمام المعصوم صاحب العلم اللدنيّ، وهذا الاحتمال واضح البطلان.

الاحتمال الثاني: انّ الإمام عليه السلام تأمّل في مقصود السائل واختار له ما يناسبه من اجابة، قال رسول الله صلى الله عليه وآله :(إِنَّا مَعَاشِرَ الْأَنْبِيَاءِ أُمِرْنَا أَنْ نُكَلِّمَ النَّاسَ عَلَى قَدْرِ عُقُولِهِمْ)[٤٣]، وهذا الاحتمال

راجح، ويحتمل غيره من الاحتمالات، فهو غير متعيّن.

الملاحظة الرابعة: إنّ الإمام ﷺ لم يذكر للسائل صفات الله كما طلب، بل كان الردّ بسلب تلك الصفات (صفات النقص)، وهذا أيضاً له عدّة احتمالات منها:

الاحتمال الأوّل: إنّ مراد السائل الوصول إلى النظر الحسّيّ، أعني النظر بالباصرة، كما في الاحتمال الأوّل من الملاحظة الثانية الذي يلزم منه التجسيم الباطل.

وهذا غير محتمل من العبارة؛ لأنّه قال: (كأنّي أنظر)، والكاف حرف تشبيه.

الاحتمال الثاني: إنّ مراد السائل الوصول إلى النظر الذهنيّ والتطلّع الفكريّ من خلال الصورة الذهنيّة الحاصلة في النفس كما في الاحتمال الثاني من الملاحظة الأولى، وهو باطل أيضاً.

الاحتمال الثالث: إنّ الإمام ﷺ بإجابته المعاكسة لسؤال السائل أراد أن يجنّبه سوء الفهم - كما في الاحتمالين السابقين- وما يترتّب عليه من مسائل اعتقاديّة فاسدة، أي أنّه ﷺ بعكسه للإجابة أراد أن يعالج مرضاً فكريّاً أو سوء فهم لدى السائل، وهذا الاحتمال وارد خصوصاً أنّ الإمام عالم بالنفوس وما يداخلها من خلجات.

الاحتمال الرابع: إنّ الإمام ﷺ عندما سلب صفات أثبت أخرى، فبسلب البداية أثبت الأزل وهي اللابداية، وبسلب النهاية أثبت الأبديّة التي هي اللانهاية، وهذا الاحتمال وارد أيضاً.

الاحتمال الخامس: إنّ سلب الصفات عن الذات تعبير عن أنّها مفتقرة إلى الذات وهي أقلّ ظهوراً منها، فهي لا تصلح أن تكون مُعرّفة للذات على حدّ تعبير الإمام الحسين ﷺ: (كيف يُستدلّ عليك بما هو في وجوده مفتقر إليك، أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك، حتّى يكون هو المظهر لك، متى غبت حتّى تحتاج إلى دليل يدلّ عليك، ومتى بعدت حتّى تكون الآثار هي التي توصل إليك..)[٤٤]، وهذا الاحتمال أيضاً وارد، وهو الأرجح من بين الاحتمالات الواردة.

قوله ﷺ: **الحمد لله الذي لم يكن له أوّل معلوم**، بمعنى أنّه جلّ جلاله ليس له أوّل حتى يُعلم؛ لأنّ كلّ ما له أوّل فيمكن أن يحيط به العلم من جهتين:

الأولى: إنّ الأوّليّة معلومة الحقيقة، فكلّ ما صدقت عليه هذه الحقيقة تتعلّق به المعرفة.

الثانية: إنّ كلّ ما له أوّل فهو معلول، وكلّ معلول فهو معلوم وإن كان معلوماً لعلّته على أقلّ تقدير، فهو سبحانه أوّل الأوائل من جملتها الأوليّة، فكيف له أوّل أو أوّليّة؟![٤٥].

قوله عليه السلام: **(ولا آخر متناهٍ)** أي ليس له آخر حتّى يتناهى، بل هو آخر كلّ شيء وإليه ينتهي غاية كلّ شيء ولا ينتهي هو إلى غاية؛ وذلك لأنّ كلّ ما له آخر يجب أن يكون له أوّل، وإذ ليس له جلّ جلاله أوّل فليس له آخر.

الخلاصة: أنّ نفي الأوّليّة والآخريّة نفي للجعل والانتهاء أو نفي للحدود، وهي ملزومات الامكان.

قوله عليه السلام: **(ولا قبل مدرك)** ، احتمالان في معناها هما:

الأوّل: ليس له قبل، أي قبليّة حتّى يُدرَك من جهة القبليّة ويصير قبليّة مدركة؛ لأنّ طبيعة القبليّة معلومة الحقيقة لكلّ أحد، والله سبحانه قبل بلا قبليّة تقوم بنفس ذاته.

الثاني: أن يكون المعنى ليس شيء قبله حتّى يكون له قبل؛ لأنّه جلّ جلاله لوكان له قبل لكان هو سبحانه يدلّ على ذلك القبل، كما هو شأن اللواحق بالنظر إلى السوابق، فإنّ اللواحق تكون دالّة على سابقاتها.

قوله عليه السلام: **(ولا بَعدٌ محدود)** ليس له بعديّة؛ إذ يكون حينئذٍ محدوداً بها، ولا شيء بعده حتّى يكون له بعد يتحدّد هو بذلك الذي بعده.

قوله عليه السلام: **(ولا أمد بحتّى)**، احتمالان في معناها هما:

الأوّل: ليس له تعالى أَمَدٌ متلبّس بـ(حتى) التي تستعمل في الغاية، أي ليس له عزّ شأنه أمد وغاية حتّى يتلبّس، وتستعمل فيه كلمة (حتّى) بأن يُقال: هو تعالى ثابت وموجود حتّى يكون كذا، هذا على تقدير أن تكون الكلمة بالباء التي للملابسة داخلة على لفظة (حتّى).

الثاني: ويحتمل بعيداً من حيث اللفظ وقريباً من حيث المعنى وبحسب القرائن، أن تكون بالياء التحتانيّة المضمومة وفتح الحاء المهملة ثمّ التاء الفوقانيّة المشدّدة على صيغة المجهول المضارع من التفعيل على أن يكون مشتقّاً من «حتّى» الجارّة اشتقاقاً جعليّاً، أي ليس له أمد

حتّى يقال عليه سبحانه أنّه موجود حتّى يكون كذا.

ولا يخفى أنّ ذلك أنسب لمراعاة النظير في قوله ﷺ: (ولا شخص يتجزّأ).

قوله ﷺ: (**ولا شخص فيتجزّأ**) ليس له عزّ شأنه شخص، أي شبح ومثال حتّى يتجزّأ؛ إذ الشبح والمثال ممّا يلزمه التجزئة والامتياز في الجهة كالفوق والتحت وغيرهما والابتداء والانتهاء ونظائرهما، كما لا يخفى.

قوله ﷺ: (**ولا اختلاف صفةٍ فيتناهى**) ليس له تعالى اختلاف صفة: وفيه عدّة معان:

المعنى الأوّل: بمعنى توارد الصفات المختلفة بأن يتلبّس بصفة ثمّ بأخرى وهكذا، وهذا المعنى يلزمه التناهي من وجوه:

الأوّل: أنّ توارد الصفة لا يكون إلّا بالحركة بأيّ نحوٍ كان، والحركة لابدّ لها من نهاية؛ إذ هي كمال أوّل لما بالقوّة، فينتهي إلى الكمال الأخير بالضرورة[٤٦].

الثاني: أنّه قد ثبت في الطبيعيّ أنّ جميع المتحرّكات لابدّ وأن تنتهي إلى مُحرّك لا مُحرك له.

الثالث: أنّ الصفة هي نهاية الموصوف؛ إذ بها ينتهي وجوده الذي له بنفسه، سيّما الصفات المتواردة الدالّة على حدوث أنفسها المستلزمة لحدوث موصوفها، وكلّ حادث فله أوّل وآخر هما نهايتاه.

المعنى الثاني: بمعنى أن يكون بعضه هذه الصفة وبعضه تلك الصفة؛ لأنّ ذوات الأبعاض لازمة لأمرين:

الأوّل: يلزمها الحدود، حيث يمتاز ذلك البعض عن الآخر.

الثاني: يلزمها أن ينتهي وجودها إلى تلك الأبعاض حيث يتركّب منها[٤٧].

المعنى الثالث: بمعنى أنّ الصفات عين ذاته تعالى كالعلم والقدرة والحياة، فيكون لها ما له، فإن كانت الذات خافية على السائل فإنّ هذه الصفات تخفى عليه بلا فرقٍ بينها وبين الذات؛ لأنّها عينها.

هذا المعنى حقّ، والإمام في مقام نفي اختلاف الصفات، فكيف يكون معنى كلام إثبات الصفات، والصحيح أنّ هذا لازم كلام الإمام .

قوله عليه السلام: **(فلا تُدرِكُ العقول وأوهامها ولا الفكر وخطراتها ولا الألباب وأذهانها صِفَتَهُ)**.

أقول: إنّ المراد بـ(أوهام العقول) تصوّراتها، والمراد بـ(خطرات الفكر) ما يخطر بالبال وبأذهان الألباب فطنتها.

والتفريع بالفاء، لبيان أنّ الذي لا يُدرَكُ له جلّ جلاله قبل ولا بعد ولا يُدرَكُ له أمد وليس بشبح وليس له مثال وليس فيه اختلاف صفة، فلا تدرك العقول صفته؛ لأنّ هذه[48] هي جهات إدراك العقول، فإذا لم يكن له سبحانه هذه الجهات، فلا يصل إليه العقول والأفهام.

قوله عليه السلام: **(فتقول: متى؟، ولا بديءٌ ممّا، ولا ظاهِرٌ على ما، ولا باطنٌ فيما، ولا تارِكٌ فهلّا)**.

أقول: إنّ المعنى: أتقول في الله متى هو؟!، وكيف تقول هذا في الله تعالى؟! وإنّما يصحّ قول متى في الشيء الذي له ابتداءٌ، أو ظهورٌ بعد خفاء، أو بطونٌ عقيب ظهور أو ترك لشيءٍ والتفات إلى آخر، والحال أنّه سبحانه لا يبتدي من شيءٍ هو مبدأه ولا ظاهرٌ على شيءٍ هو مُظهِرُه، بل إنّما هو جلّ جلاله ظاهر بذاته لا بغيره.

ولا أنّه سبحانه تارك شيئ حتّى يقال هلّا ترك فيتحقّق له زمان ترك، فليس يصحّ عليه قول متى بجهة من الجهات.

قوله عليه السلام: **(خلق الخلق فكان بديئاً بديعاً)**.

أقول: إنّ الضمير المستتر لِـ(كان) في رجوعه احتمالان:

الأوّل: أن يرجع إلى الخلق، فيكون البديء والبديع بمعنى المفعول أي المخلوق.

الثاني: أن يرجع إلى الله سبحانه، فيكونان بمعنى الفاعل أي المُبدئ والمُبدع.

وعلى الاحتمالين لا يمكن أن يقال متى كان لا قبل وجود الخلق ولا بعده؛ لأنّه جلّ جلاله فوق الزمان؛ ولأنّه تعالى ليس بجسم، وليس محلًّا للحوادث[49].

نعم، يجري الزمان على المخلوق المبتدع فقط؛ لأنّه جسم، وهو محلّ الحوادث وجريان الزمان.

وبعبارة أخرى: إنّ فعله تعالى ليس في زمان؛ إذ الفاعل الذي ليس في زمان فصنعه أيضاً ليس في زمان، إنّما مصنوعه زمانيّ؛ وذلك لأنّه لو كان صنعه في زمان وإيجاده في زمان لكان هو في زمان؛ إذ هو فاعل بذاته، فإيجاده الخلق يجعل الخلق بديئاً بديعاً أي ذي ابتداء، وأنّ إيجاد

المولى سبحانه وتعالى الخلق لا يستفيد له سبحانه ظهوراً وبطوناً، أو تركاً ووصولاً، بل إنّما هو إظهار لما خفي من العالم وإبداء لما يكمن في الغيب ظهوراً أتمّ، والله أعلم وأحكم.

قوله عليه السلام: **(ابتدأ ما ابتدع، وابتدع ما ابتدأ، وفعل ما أراد، وأراد ما استزاد، ذلكم الله ربّ العالمين)**.

أقول: هذا القول منه عليه السلام لردّ ما يمكن أن يتوهّم من الكلام السابق من أنّ هذه الأشياء شؤون يبديها لا شؤون يبتديها، كما ذهب إليه أكثر المتصوّفة، والمعنى: ابتدأ في العالم الإلهيّ الأشياء التي أظهرها وابتدعها في العالم الربوبيّ، وأوجد في العالم الربوبيّ كلّ ما ابتدأه في العالم الإلهيّ، بحيث لا يشذّ منها شيء وفعل، وأظهر في عالم الشهادة كلّ شيء أراد في عالم الطبيعة التي هي سنّة الله في الخليقة.

وأراد ما استزاد من نعم الدنيا والآخرة؛ إذ لا نفاد لكلمات الله، والاستزادة إنّما هي في الجزئيّات الخلقيّة والأشخاص الكونيّة.

ذلك الذي رتّب العوالم على النهج السببيّ والمُسبّبيّ والاتصالِ العِلّي والمعلوليّ والترتيب الإلهيّ، هو ربّ العالمين الذي هو ربّ الأرباب ومسبّب الأسباب، فتبارك الله ربّ العالمين[٥٠].

القول الثاني: (كان الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام يصلّي، فمرّ بين يديه رجل فنهاه بعض جلسائه، فلمّا انصرف من صلاته قال له: لم نهيت الرجل؟ قال: يابن رسول الله حظر[٥١] فيما بينك وبين المحراب[٥٢]، فقال: ويحك[٥٣]، إنّ الله عزّوجلّ أقرب إليَّ من أن يحظر فيما بيني وبينه أحد)[٥٤].

أقول: تتلخّص هذه الحادثة بأنّ الإمام الحسن عليه السلام كان يصلّي مقابلاً لمحراب الصلاة، فمرّ رجل من أمامه وحال في مروره بينه وبين محراب صلاته، فنهاه أحد أصحاب الإمام، وبعد أن أكمل الإمام صلاته سأل صاحبه لماذا نهيت الرجل عن مثل هذا الفعل؟ فأجابه صاحبه أنّه حال بينك وبين المحراب فمنعه عنك ظنّاً منه أنّ الله تعالى في المحراب، وبمروره هذا قد قطع أو منع اتّصال الإمام بالله تعالى، فردّه الإمام متعجّباً من قوله اللازم لحلول الله تعالى في محلّ ووجوده في مكان.

هذا القول الواضح، بل الضروريّ البطلان عند متكلّمي الإمامية بحسب قولهم: الباري تعالى ليس بجسم خلافاً للمجسّمة[٥٥]، والجسم هو: ما له طول وعرض وعمق، والعَرَض

هو الحالّ في الجسم، ولا وجود له بدونه.

والدليل على أنه تعالى ليس بجسم ولا عرض وجهان:

الأوّل: أنّه تعالى لو كان أحدهما[٥٦] لكان ممكناً[٥٧]؛ واللازم باطل[٥٨]، فالملزوم[٥٩] مثله[٦٠].

بيان الملازمة: أنّا نعلم بالضرورة أنّ كلّ جسم فهو مفتقر إلى المكان، وكلّ عرض مفتقر إلى المحلّ، والمكان والمحلّ غيرهما[٦١]، والمفتقر إلى غيره ممكن، فلو كان الباري تعالى جسمًا أو عرضاً لكان ممكناً محتاجاً في وجوده إلى الواجب، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً.

الثاني: أنّه تعالى لو كان جسماً لكان حادثاً، وهو[٦٢] محال.

بيان الملازمة:

إنّ كلّ جسم فهو لا يخلو من الحوادث، وكلّ ما لا يخلو من الحوادث فهو حادث، فلو كان تعالى جسماً لكان حادثاً، لكنّه قديم، فيجتمع النقيضان، واجتماعهما باطل؛ فتعيّن أن يكون تعالى شأنه ليس بجسم.

ولا يجوز أن يكون تعالى في محلّ، وإلّا لافتقر إليه؛ ولا في جهة، وإلّا لافتقر إليها، هذان وصفان سلبيّان:

الأوّل: (أنّه تعالى ليس في محلّ، خلافاً للنصارى وجمع من المتصوّفة، والمعقول من الحلول هو قيام موجود بموجود على سبيل التبعيّة[٦٣]، فإن أرادوا هذا المعنى فهو باطل[٦٤]، وإلاّ[٦٥] لزم افتقار الواجب، وهو محال، وإن أرادوا غيره[٦٦]، فلا بدّ من تصوّره أوّلًا ثمّ الحكم عليه بالنفي والإثبات)[٦٧].

الثاني: (أنّه تعالى ليس في جهة[٦٨]، والجهة مقصد المتحرّك ومتعلّق الإشارة.

وزعمت الكرّاميّة أنّه تعالى في الجهة الفوقيّة؛ لما تصوّروه من الظواهر النقليّة[٦٩]، وهو باطل؛ لأنّه تعالى لو كان في الجهة، لكان إمّا مع استغنائه عنها فلا يحلّ فيها، وإما مع افتقاره إليها يحلّ فيها، فيكون ممكناً.

والظواهر النقليّة لها تأويلات ومحامل مذكورة في مواضعها؛ لأنّه لّما دلّت الدلائل العقليّة على امتناع الجسميّة ولواحقها[٧٠] على الباري تعالى، وجب تأويل غيرها؛ لاستحالة العمل بهما)[٧١]، فلو:

أوّلاً: لم تؤوّل الدلائل النقليّة رغم تعارضها مع الدلائل العقليّة لاجتمع النقيضان[٧٢].

ثانياً: أو الترك للدليلين النقليّ والعقليّ، يلزم منه ارتفاع النقيضين.

ثالثاً: أو العمل بالنقل وطرح العقل، الذي يلزم منه إمكان إطراح النقل أيضاً؛ لطرح أصله وهو دليل العقل.

رابعاً: فيبقى الأمر الرابع، وهو العمل بالعقل وتأويل النقل[٧٣].

فليس لأحدٍ الحيلولة دون العبد وربّه ، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾[٧٤]؛ ولأنّ هذا الحوار بين الإمام عليه السلام والسائل ظاهر في نفي المكان له جلّ جلاله، ذكره الشيخ الصدوق[٧٥](رحمه الله) في باب نفي المكان والزمان[٧٦].

المقصد الثاني: الجانب التوحيديّ في وجوده المبارك وزهده وحسن عبادته

أوّلاً: الجانب التوحيديّ في وجوده المبارك

قد تقرّر في العلوم الإلهيّة أنّ الله فاعل كلّ شيء، وأنّ الإنسان الكامل الذي لا أكمل منه هو غاية المخلوقات، قال تعالى في الحديث القدسيّ: (لولاك لما خلقت الأفلاك)[٧٧].

وقال الفخر الرازيّ في ذيل تفسيره لقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى[٧٨] ﴾ (فيقول الله: حين كنتَ صبيّاً ضعيفاً ما تركناك، بل ربّيناك ورقّيناك إلى حين صرت مشرفاً على شُرفات العرش، وقلنا لك: لولاك ما خلقنا الأفلاك، أتظنّ أنّا بعد هذه الحالة نهجرك ونتركك)[٧٩].

فيجب أن يكون هو صلى الله عليه وآله البرهان على سائر الأشياء، كما قال ﴿ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيداً ﴾[٨٠].

إنّ الوجود المبارك للنبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وآل بيته عليهم السلام دالّ على توحيده جلّ جلاله، ولأجلهم خلق الله الخلق (فقالَ الله عَزَّ وَجَلَّ: يا مَلائِكَتِي وَيا سُكَّانَ سَماواتِي، إنِّي ما خَلَقتُ سَماءً مَبنِيَّةً وَلا أرضاً مَدحِيَّةً وَلا قَمَراً مُنِيراً وَلا شَمساً مُضِيئَةً وَلا فَلَكاً يَدُورُ وَلا بَحراً يَجرِي وَلا فُلكاً يَسرِي إلاّ فِي مَحَبَّةِ هؤُلاءِ الخَمسَةِ الَّذِينَ هُم تَحتَ الكِساءِ، فَقالَ الأمِينُ جبرائِيل: يا رَبِّ وَمَن تَحتَ الكِساءِ؟ فَقالَ عَزَّ وَجَلَّ: هُم أهلُ بَيتِ النُّبُوَّةِ وَمَعدِنُ الرِّسالَةِ، هُم فاطِمَةُ وَأبُوها وَبَعلُها

وَبَنُوها. فَقالَ جَبرائِيلُ: يا رَبِّ أَتَأذَنُ لِي أن أهبِطَ إلى الأرضِ لأَكُونَ مَعَهُم سادِساً، فَقالَ اللهُ: نَعَم، قَد أذِنتُ لَكَ، فَهَبَطَ الأمِينُ جَبرائِيلُ وَقالَ: السَّلامُ عَلَيكَ يا رَسُولَ الله، العَلِيُّ الأعلى يُقرِئُكَ السَّلامُ وَيَخُصُّكَ بِالتَّحِيَّةِ وَالإكرامِ وَيَقُولُ لَكَ: وَعِزَّتِي وَجَلالِي إنِّي ما خَلَقتُ سَماءً مَبنِيَّةً وَلا أرضاً مَدحِيَّةً وَلا قَمَراً مُنِيراً وَلا شَمساً مُضِيئَةً وَلا فَلَكاً يَدُورُ وَلا بَحراً يَجرِي وَلا فُلكاً يَسرِي إلا لأجلِكُم وَمَحَبَّتِكُم(٨١))(٨٢)، فهم صلوات ربيّ عليهم فوق مستوى المخلوق ودون مستوى الخالق، فعنهم عليهم السلام: (نزّهونا عن الربوبيّة وارفعوا عنّا حظوظ البشريّة، فلا يقاس بنا أحد من الناس)(٨٣).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام في حديث معرفتهم بالنورانيّة المشهور: (يا أبا ذر، أنا عبد الله عزّوجلّ وخليفته على عباده، لا تجعلونا أرباباً وقولوا في فضلنا ما شئتم فإنّكم لا تبلغون كنه ما فينا ولا نهايته، فإنّ الله عزّوجلّ قد أعطانا أكبر وأعظم ممّا يصفه واصفكم أو يخطر على قلب أحدكم، فإذا عرفتمونا هكذا فأنتم المؤمنون(٨٤))(٨٥).

فقد ورد مضمون هذا الخبر في مصادرنا المعتبرة بألفاظ متقاربة وبطرق متعدّدة قد بلغت حدّ الاستفاضة، بل التواتر المعنويّ.

فهم أوّل ما خلق سبحانه وابتدع، وهم نور الأزل الذي أنار به الكون إلى الأبد، (روي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنّه قال: إنّ الله حين شاء تقدير الخليقة وذَرءَ البريّة وإبداع المبدعات نَصَبَ الخلق في صور كالهباء قبل دحو الأرض ورفع السماء، وهو في انفراد ملكوته وتوحّد جبروته، فأتاح نوراً من نوره فلمع، ونزع قبساً من ضيائه فسطع، ثمّ اجتمع النور في وسط تلك الصور الخفيّة فوافق ذلك صورة نبيّنا محمد صلى الله عليه وآله، فقال الله عزّ من قائل: أنت المختار المنتخب، وعندك مستودع نوري وكنوز هدايتي، من أجلك أسطح البطحاء، وأمرُجُ الماء، وأرفع السماء، وأجعل الثواب والعقاب والجنّة والنار، وأنصّب أهل بيتك للهداية، وأوتيهم من مكنون على ما لا يشكل عليهم دقيقٌ ولا يعيبهم خفيّ، وأجعلهم حجّتي على بريّتي، والمنبّهين على قدرتي ووحدانيّتي، ثمّ أخذ الله الشهادة عليهم بالربوبيّة والإخلاص وبالوحدانيّة، فبعد أخذ ما أخذ من ذلك شاب ببصائر الخلق انتخاب محمد وآله، وأراهم أنّ

الهداية معه والنور له والإمامة في آله، تقديماً لسنّة العدل، وليكون الإعذار متقدّماً، ثمّ أخفى الله الخليقة في غيبه، وغيّبها في مكنون علمه، ثمّ نصب العوامل وبسط الزمان، ومَرَجَ الماء، وأثار الزبد، وأهاج الدخان، فطفا عرشُه على الماء، فسطح الأرض على ظهر الماء (وأخرج من الماء دخاناً فجعله السماء)، ثمّ استجلبهما إلى الطاعة فأذعنتا بالاستجابة، ثمّ أنشأ الله الملائكة من أنوار أبدعها، وأرواح اخترعها، وقرن بتوحيده نبوّة محمد ﷺ، فشهرت في السماء قبل بعثته في الأرض، فلمّا خلق آدم أبان فضله للملائكة، وأراهم ما خصّه به من سابق العلم من حيث عرفه عند استنبائه إيّاه أسماء الأشياء؛ فجعل الله آدم محراباً وكعبة وباباً وقبلة أسجَدَ إليها الأبرار والروحانيّين الأنوار، ثمّ نبَّه آدم على مستودعه، وكشف له (عن) خطر ما ائتمنه عليه، بعدما سمّاه إماماً عند الملائكة، فكان حظّ آدم من الخير ما أراه من مستودع نورنا، ولم يزل الله تعالى يَخبأ النور تحت الزمان إلى أن فضّل محمداً ﷺ في ظاهر الفترات، فدعا الناس ظاهراً وباطناً، وندبهم سرّاً وإعلاناً، واستدعى التنبيه على العهد الذي قدّمه إلى الذرّ قبل النسل، فمن وافقه وقبس من مصباح النور المقدّم اهتدى إلى سرّه، واستبان واضح أمره، ومن أبلسته الغفلة استحقّ السخط، ثمّ انتقل النور إلى غرائزنا، ولمع في أئمّتنا، فنحن أنوار السماء وأنوار الأرض، فبنا النجاة، ومنّا مكنون العلم، وإلينا مصير الأمور، وبمهديّنا تنقطع الحجج، خاتمة الأئمّة، ومنقذ الأمّة، وغاية النور، ومصدر الأمور، فنحن أفضل المخلوقين، وأشرف الموحّدين، وحجج ربّ العالمين؛ فليهنأ بالنعمة من تمسّك بولايتنا، وقبض على عزوتنا.

فهذا ما روي عن أبي عبد الله جعفر بن محمد، عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين، عن أبيه الحسين بن علي، عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه.

ولم نتعرّض لكثيرٍ من أسانيد هذه الأخبار وطرقها؛ لأنّا قد أتينا على جميع ذكرها واتّصالها في النقل بمن ذكرناها عنه وعزوناها إليه فيما سلف من كتبنا خوف الإكثار)[٨٦].

فهم عليهم السلام بوجودهم أدلّاء عليه تعالى وعلى توحيده، ويمكن من خلال الرواية المذكورة آنفاً ملاحظة عدّة تعابير دالّة على هذا المعنى:

أوّلها: قوله عليه السلام: (وأجعلهم حجّتي على بريّتي، والمنبّهين على قدرتي ووحدانيّتي، ثمّ أخذ الله

الشهادة عليهم بالربوبيّة والإخلاص وبالوحدانيّة)، ففيها دلالة ظاهرة في أنّهم عليهم السلام حجج الله على الخلائق، وهم من يُخرج الناس من غفلتهم عن صفاته ووحدة ذاته.

ثانيها: قوله عليه السلام: (وقرن بتوحيده نبوّة محمد صلى الله عليه وآله فشهرت في السماء قبل بعثته في الأرض)، فقد جعلهم الله تعالى قريناً لتوحيده.

ثالثها: قوله عليه السلام: (ولم يزل الله تعالى يَخبأ النور تحت الزمان إلى أن فضّل محمداً صلى الله عليه وآله في ظاهر الفترات، فدعا الناس ظاهراً وباطناً، وندبهم سرّاً وإعلاناً، واستدعى التنبيه على العهد الذي قدّمه إلى الذرّ قبل النسل، فمن وافقه وقبس من مصباح النور المقدّم اهتدى إلى سرّه، واستبان واضح أمره، ومَنْ أبلسته الغفلة استحقّ السخط).

وهنا دور الحقيقة المحمّديّة واضح في الهداية إلى توحيده تعالى والإقرار بالعهد الذي عهده الخلق لله تعالى في عالم الذرّ الذي فيه إقرار بالربوبيّة وتنبيه عليها.

فهذا النور المحمّديّ لمع وسطع من نور الله، إنّه النور الذي يسري في الكون منذ الأزل، والذي منه كانت نبوّة آدم ومن جاء بعده من الأنبياء إلى أن وصل إلى محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله، فانتقل منه إلى الأئمّة عليهم السلام من بعده، الذين سيكون آخرهم المهدي المنتظر عجل الله فرجه خاتمة الأئمّة ومنقذ الأمّة وغاية النور.

وهذا الانتظام في سلك النور المحمّديّ، النور الذي يشكّل الحقيقة الأولى التي أبدعها الله والتي يقتبس منها الأنبياء أنوار النبوّة، هو معنى الولاية، ولاية الإمام فيما نعتقد.

إنّ هذا النور المحمّديّ يسري في الأئمّة من طريقين هما:

الأوّل: الطريق الأزليّ المنطلق من الحقيقة المحمّديّة التي كانت أوّل ما أبدع الله تعالى وخلق، فهو مدد معنويّ غير منتهٍ متّصل بالذات الأقدس منذ الأزل إلى الأبد، (عن الإمام الحسين عليه السلام أنّه قال: لمّا أُنزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وآله: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾[٨٧] قام أبو بكر وعمر من مجلسهما فقالا: يا رسول الله، هو التوراة؟ قال: لا، قالا: فهو الإنجيل؟ قال: لا، قالا: فهو القرآن؟ قال: لا، قال: فأقبل أمير المؤمنين علي عليه السلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: هو هذا، إنّه الإمام الذي أحصى الله تبارك وتعالى فيه علم كلّ شيء)[٨٨].

الثاني: الطريق البشريّ المنحدر إليهم من شخص النبيّ الأكرم ﷺ، وهذا الطريق منتهٍ بطبيعة الحال الانسانيّ من موت وانقطاع عن عالم الدنيا، فيلزم أنّه انقطع برحيل النبيّ إلى الملأ الأعلى مودّعاً دار الفناء إلى دار البقاء، على الرغم من أنّ النبيّ الأكرم ﷺ قد أعطى لهم عليهم السلام علم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف سيكون إلى يوم القيامة، فعن (الإمام علي عليه السلام: إنّ رسول الله ﷺ التقم[٨٩] أذني وعلّمني ما كان وما يكون إلى يوم القيامة، فساق الله عزّوجلّ ذلك إليّ على لسان نبيّه ﷺ)[٩٠].

وهذا يلزم أن يكون علم الإمام أكمل وأتمّ من علم جميع الأنبياء والصدّيقين والأولياء والصالحين، فهم كما قلت فوق مستوى المخلوق ودون مستوى الخالق.

وهذا الكلام المذكور آنفاً وإن كان عامّاً في الدلالة على النبيّ ﷺ وجميع أئمّة أهل البيت عليهم السلام إلّا أنّه ضروريّ التخصيص بكلّ فرد منهم ولاسيّما الإمام الحسن عليه السلام؛ لأنّه قبس من هذا النور وأحد أبرز تجلّياته؛ وهو الذي يجعل منه عليه السلام دالًّا بوجوده الشريف عليه تعالى وعلى توحيده.

ثانياً: الجانب التوحيديّ في حلمه وعلمه وعبادته وكراماته

لا يخفى أنّ الإمام الحسن كان يمثّل أحد أهمّ القيادات الدينيّة في عصره، بل هو القيادة الدينيّة الوحيدة الحقّة التي تمثّل السماء آنذاك، ولا يخفى أنّه كان قدوة صالحة، والقدوة الصالحة يتمتّع بصفات تؤهّله لقيادة مجتمعه باتّجاه الصلاح والاصلاح، فإنّ الصفات الحسنة التي يتمتّع بها تكون سبباً لانجذاب الناس إليه ومن ثمّ إلى ما يعبد ويعتقد، بالرغم من كلّ المعوّقات والمنغّصات التي اجتهد حكّام بني أميّة أن تحول دون انجذاب الناس إلى ما جاء به سيّد الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ ومحاولاتهم في تضليل المجتمع والانقلاب على العقيدة الحقّة وإرجاع الناس إلى الجاهليّة الأولى، فيكون هو بهذه الصفات سبباً في ترسيخ العقائد الحقّة وعلى رأسها عقيدة التوحيد، ومن أبرز هذه الصفات:

أوّلاً: حلمه عليه السلام: وحلم الإمام عليه السلام من شأنه أن يُخرج الأعداء من معسكر الضلال إلى معسكر الهدى ومن الظلمات إلى النور، ومن شواهده: مَا رَوَى الْمُبَرِّدُ وَ ابْنُ عَائِشَةَ أَنَّ شَامِيّاً رَآهُ رَاكِباً فَجَعَلَ يَلْعَنُهُ وَ الْحَسَنُ لَا يُرَدُّ، فَلَمَّا فَرَغَ أَقْبَلَ الْحَسَنُ عَلَيْهِ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَضَحِكَ وَقَالَ:

أَيُّهَا الشَّيْخُ، أَظُنُّكَ غَرِيباً وَلَعَلَّكَ شُبِّهْتَ، فَلَوِ اسْتَعْتَبْتَنَا أَعْتَبْنَاكَ، وَلَوْ سَأَلْتَنَا أَعْطَيْنَاكَ، وَلَوْ اسْتَرْشَدْتَنَا أَرْشَدْنَاكَ، وَلَوْ اسْتَحْمَلْتَنَا حَمَّلْنَاكَ، وَإِنْ كُنْتَ جَائِعاً أَشْبَعْنَاكَ، وَإِنْ كُنْتَ عُرْيَاناً كَسَوْنَاكَ، وَإِنْ كُنْتَ مُحْتَاجاً أَغْنَيْنَاكَ، وَإِنْ كُنْتَ طَرِيداً آوَيْنَاكَ، وَإِنْ كَانَ لَكَ حَاجَةٌ قَضَيْنَاهَا لَكَ، فَلَوْ حَرَّكْتَ رَحْلَكَ إِلَيْنَا وَكُنْتَ ضَيْفَنَا إِلَى وَقْتِ ارْتِحَالِكَ كَانَ أَعْوَدَ عَلَيْكَ؛ لِأَنَّ لَنَا مَوْضِعاً رَحْباً وَ جَاهاً عَرِيضاً وَ مَالًا كَبِيراً، فَلَمَّا سَمِعَ الرَّجُلُ كَلَامَهُ بَكَى ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ خَلِيفَةُ الله فِي أَرْضِهِ، الله أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالاتِهِ، وَكُنْتَ أَنْتَ وَ أَبُوكَ أَبْغَضَ خَلْقِ الله إِلَيَّ وَ الْآنَ أَنْتَ أَحَبُّ خَلْقِ الله إِلَيَّ، وَحَوَّلَ رَحْلَهُ إِلَيْهِ وَكَانَ ضَيْفَهُ إِلَى أَنِ ارْتَحَلَ، وَصَارَ مُعْتَقِداً لِمَحَبَّتِهِمْ[٩١].

ثانياً: علمه عليه السلام: وقد ركّزنا كثيراً على هذا الأمر في الجانب السابق، مبيّنين أنّ للإمام نحوين من العلم: أحدهما معنويّ ناشئ من حقيقته وذاته، والآخر بشريّ مادّيّ كسبيّ تحصّل عليه من جدّه النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله، وبهذين العلمين كان له منزلة علميّة تفوق علم الأنبياء السابقين فضلاً عمّا يعبّر عنه بعلماء عصره، والشواهد التي تبيّن غزارة علمه من جهة وانجذاب الناس بسببها إلى العقيدة الحقّة من جهة أخرى كثيرة منها:

جاء رجل إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله ليسأل عن المراد من قوله تعالى: (وشاهد ومشهود)، فرأى في المسجد ثلاثة أشخاص قد احتفّ بكلّ واحد منهم جمع من الناس وهم يحدّثونهم عمّا سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وآله من الأحكام والآداب فقصد واحداً منهم فسأله عن مسألته:

فقال له : الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة، ثمّ انعطف إلى الثاني فسأله عن مسألته: فقال له: الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم النحر، ثم انعطف نحو الشخص الثالث فسأله عن مسألته: فقال له : الشاهد رسول الله صلى الله عليه وآله والمشهود يوم القيامة، ودعّم كلامه بالبرهان قائلاً: أما سمعت الله يقول في كتابه العزيز : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾[٩٢] ﴿ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ ﴾[٩٣] .

فسأل من هو الأوّل؟ قيل له: هو عبد الله بن عبّاس، فسأل من هو الثاني؟ قيل له: عبد الله بن عمر، فسأل من هو الثالث؟ قيل له: الحسن بن علي[٩٤].

وروى محمد بن قيس بإسناده عن أبي جعفر بن علي الباقر عليه السلام قال: بينا أمير المؤمنين في

الرحبة والناس عليه متراكمون، فمن بين مستفتٍ ومن بين مستعلمٍ، إذ قام إليه رجل، فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، فقال: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته، من أنت؟ قال: أنا رجل من رعيّتك وأهل بلادك، فقال له: ما أنت برعيّتي وأهل بلادي، ولو سلّمت علي يوماً واحداً ما خفيت عليّ، فقال: الأمان يا أمير المؤمنين، فقال: هل أحدثت منذ دخلت مصري هذا؟ قال لا، قال فلعلّك من رجال الحرب؟ قال: نعم، قال: إذا وضعت الحرب أوزارها فلا بأس، قال: أنا رجل بعثني إليك معاوية متغفّلاً لك، أسألك عن شيء بعث به أبي الأصفر إليه، وقال له: إن كنت أحقّ بهذا الأمر والخليفة بعد محمد، فأجبني عمّا أسألك، فإنّك إن فعلت ذلك اتّبعتك وبعثت إليك بالجائزة، فلم يكن عنده جواب وقد أقلقه، فبعثني إليك لأسألك عنها، فقال أمير المؤمنين: قاتل الله ابن آكلة الأكباد، ما أضلّه وأعماه ومن معه، حكم الله بيني وبين هذه الأمّة، قطعوا رحمي وأضاعوا أيّامي ودفعوا حقّي وصغّروا عظيم منزلتي، وأجمعوا على منازعتي، يا قنبر عليَّ بالحسن والحسين ومحمّد، فأُحضروا.

فقال: يا شاميّ، هذان ابنا رسول الله وهذا ابني فاسأل أيّهم أحببت، فقال: أسأل ذا الوفرة، يعني الحسن عليه السلام، فقال له الحسن عليه السلام: سلني عمّا بدا لك، فقال الشاميّ: كم بين الحقّ والباطل؟ وكم بين السماء والأرض؟ وكم بين المشرق والمغرب؟ وما قوس قزح؟ وما العين التي تأوي إليها أرواح المشركين؟ وما العين التي تأوي إليها أرواح المؤمنين؟ وما المخنث؟ وما عشرة أشياء بعضها أشدّ من بعض؟ فقال الحسن عليه السّلام: بين الحقّ والباطل أربع أصابع، فما رأيته بعينك فهو الحقّ، وقد تسمع بأذنك باطلاً كثيراً، فقال الشاميّ: صدقت، قال: وبين السماء والأرض دعوة المظلوم ومدّ البصر، فمن قال لك غيرها فكذّبه، قال: صدقت يا ابن رسول الله، قال: وبين المشرق والمغرب مسيرة يوم للشمس، تنظر إليها حين تطلع من مشرقها، وتنظر إليها حين تغيب في مغربها، قال: صدقت، فما قوس قزح؟ قال: ويحك، لا تقل قوس قزح، فإنّ قزح اسم الشيطان وهو قوس الله، وهذه علامة الخصب وأمان لأهل الأرض من الغرق.

وأمّا العين التي تأوي إليها أرواح المشركين فهي عين يقال لها: (برهوت)، وأمّا العين التي

تأوي إليها أرواح المؤمنين فهي عين يقال لها: (سلمى)، وأمّا المخنّث فهو الذي لا يدرى أذكر أم أنثى، فإنّه ينتظر به فإن كان ذكراً احتلم، وإن كان أنثى حاضت وبدا ثديها، وإلّا قيل له: (بُل على الحائط) فإن أصاب بوله الحائط فهو ذكر، وإن انتكص بوله كما ينتكص بول البعير فهي امرأة.

وأمّا عشرة أشياء بعضها أشدّ من بعض: فأشدّ شيء خلقه الله الحجر، وأشدّ من الحجر الحديد يقطع به الحجر، وأشدّ من الحديد النار تذيب الحديد، وأشدّ من النار الماء يطفي النار، وأشدّ من الماء السحاب يحمل الماء، وأشدّ من السحاب الريح تحمل السحاب، وأشدّ من الريح الملك الذي يرسلها، وأشدّ من الملك ملك الموت الذي يميت الملك، وأشدّ من ملك الموت، الموت الذي يميت ملك الموت، وأشدّ من الموت أمر الله الذي يميت الموت.

فقال الشاميّ: أشهد أنّك ابن رسول الله حقّاً وأنّ علياً أولى بالأمر من معاوية، ثمّ كتب هذه الجوابات وذهب بها إلى معاوية، فبعثها إلى أبي الأصفر.

فكتب إليه أبي الأصفر: يا معاوية، تكلّمني بغير كلامك وتجيبني بغير جوابك؟ أقسم بالمسيح ما هذا جوابك وما هو إلّا من معدن النبوّة وموضع الرسالة[٩٥].

ثالثاً: أدعيته وحسن عبادته: إنّ هذا الجانب من حياته عليه السلام ملفت جدّاً ويشهد به العدوّ قبل الصديق، وهو من أهمّ الأمور التي تجذب العبد إلى العقيدة الحقّة وتوحيد الله تعالى والاخلاص له؛ لأنّ العمل بالتكليف يعود بالمنفعة على العبد ماديّاً ودنيويّاً بتنظيم حياته من جميع جوانبها؛ لشمول الشريعة الإسلاميّة لجميع مجالات الحياة بلا استثناء، والعود عليه بكمال نفسه وسموّ ذاته معنويّاً والذي يلزم منه سعادة الدنيا بالإعراض عنها وعن ملذّاتها ومغرياتها وسعادة الآخرة بالإقبال على الله تعالى والرجوع إليه ونيل رضوانه، والشواهد على حسن عبادته كثيرة منها:

ما ورد من أنّه عليه السلام كان إذا بلغ باب المسجد رفع رأسه ويقول: إلهي ضيفك ببابك، يا محسن قد أتاك المسيء، فتجاوز عن قبيح ما عندي بجميل ما عندك يا كريم، وكان إذا فرغ من الفجر لم يتكلّم حتّى تطلع الشمس وإن زحزح، أي وإن أريد تنحّيه من ذلك باستنطاق ما يهمّ[٩٦].

وكان عليه السلام إذا قام في صلاته ترتعد فرائصه بين يدي ربّه عزّوجلّ، وكان إذا ذكر الجنّة والنار اضطرب اضطراب السليم[٩٧]، وسأل الله الجنّة وتعوّذ به من النار، وكان لا يقرأ من كتاب الله

عزّوجل ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ إلّا قال: لبيّك اللهمّ لبيّك.

ولم ير في شيء من أحواله إلّا ذاكراً لله سبحانه، وكان أصدق الناس لهجة وأفصحهم منطقاً[٩٨].

وكان أعبد الناس في زمانه وأزهدهم وأفضلهم، وكان إذا حجّ حجّ ماشياً وربّما مشى حافياً، ولا يمرّ في شيءٍ من أحواله إلّا ذكر الله سبحانه، وكان أصدق الناس لهجة وأفصحهم منطقاً، وكان إذا بلغ المسجد رفع رأسه ويقول: إلهي ضيفك ببابك، يا محسن قد أتاك المسيء، فتجاوز عن قبيح ما عندي بجميل ما عندك يا كريم[٩٩].

وللإمام المجتبى عليه السلام أدعية شتّى رويت عنه، وهي تتضمّن مجموعة من المعارف والآداب، كما تحمل أدب التقديس لله تعالى والخضوع له والتذلّل بين يديه، ونشير إلى نماذج منها:

قال عليه السلام: (اللهمّ إنّك الخلف من جميع خلقك، وليس في خلقك خلف مثلك، إلهي من أحسن فبرحمتك، ومن أساء فبخطيئته، فلا الذي أحسن استغنى عن ردفك ومعونتك، ولا الذي أساء استبدل بك وخرج من قدرتك، إلهي بك عرفتك، وبك اهتديت إلى أمرك، ولولا أنت لم أدر ما أنت، فيا من هو هكذا ولا هكذا غيره، صلّ على محمد وآل محمد، وارزقني الإخلاص في عملي والسعة في رزقي، اللهمّ اجعل خير عملي آخره، وخير عملي خواتمه، وخير أيّامي يوم ألقاك، إلهي أطعتك ولك المنّة عليّ في أحبّ الأشياء إليك: الإيمان بك والتصديق برسولك، ولم أعصك في أبغض الأشياء إليك: الشرك بك والتكذيب برسولك، فاغفر لي ما بينهما يا أرحم الراحمين)[١٠٠].

قال السيّد علي بن طاووس: ودعا عليه السلام في قنوته: اللهمّ إنّك الربّ الرؤوف، الملك العطوف، المتحنّن المألوف، وأنت غياث الحيران الملهوف، ومرشد الضالّ المكفوف، وتشهد خواطر أسرار المسرّين كمشاهدتك أقوال الناطقين، أسألك بمغيّبات علمك في بواطن أسرار سائر المسرّين إليك، أن تصلّي على محمد وآله صلاةً يسبق بها من اجتهد من المتقدّمين، ويتجاوز فيها من يجتهد من المتأخّرين، وأن تصل الذي بيننا صلة من صنعته لنفسك واصطنعته لغيبك، فلم تتخطّفه خاطفات الظنن ولا واردات الفتن، حتّى نكون لك في الدنيا مطيعين وفي الآخرة في جوارك خالدين[١٠١].

رابعاً: كراماته عليه السلام: ثبت في محلّه[١٠٢] أنّ وجود المعجزة[١٠٣] للأنبياء من دلائل صدق

دعواهم، وهي بعينها الكرامة لغير الأنبياء من الأوصياء والصالحين، فهي تثبت صدق دعواهم من أنّهم أئمّة يمثّلون الله تعالى في الأرض، وهم الأدلّاء عليه وعلى توحيده، وهناك الكثير من الكرامات لدى إمامنا الحسن عليه السلام، منها:

إِنَّ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ عليهما السلام خَرَجَ فِي عُمْرَةٍ وَ مَعَهُ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ وُلْدِ الزُّبَيْرِ، فَنَزَلُوا فِي مَنْهَلٍ تَحْتَ نَخْلٍ يَابِسٍ فَقَالَ الزُّبَيْرِيُّ: لَوْ كَانَ فِي هَذَا النَّخْلِ رُطَبٌ أَكَلْنَاهُ، فَقَالَ الْحَسَنُ: أَوَ أَنْتَ تَشْتَهِي الرُّطَبَ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، فَرَفَعَ الْحَسَنُ يَدَهُ إِلَى السَّمَاءِ فَدَعَا بِكَلَامٍ لَمْ يَفْهَمْهُ، فَاخْضَرَّتِ النَّخْلَةُ وَ أَوْرَقَتْ وَ حَمَلَتْ رُطَباً، فَصَعِدُوا عَلَى النَّخْلَةِ فَصَرَمُوا مَا فِيهَا فَكَفَاهُمْ[١٠٤].

وَروي أنّه اسْتَغَاثَ النَّاسُ مِنْ زِيَادٍ إِلَى الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ عليهما السلام، فَرَفَعَ يَدَهُ وَ قَالَ: اللهمَّ خُذْ لَنَا وَ لِشِيعَتِنَا مِنْ زِيَادِ ابْنِ أَبِيهِ، وَأَرِنَا فِيهِ نَكَالًا عَاجِلًا، إِنَّكَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، قَالَ: فَخَرَجَ خُرَاجٌ فِي إِبْهَامِ يَمِينِهِ يُقَالُ لَهَا السِّلْعَةُ وَوَرِمَ إِلَى عُنُقِهِ فَمَاتَ[١٠٥].

ادَّعَى رَجُلٌ عَلَى الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ عليهما السلام أَلْفَ دِينَارٍ كَذِباً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ عَلَيْهِ، فَذَهَبَا إِلَى شُرَيْحٍ فَقَالَ لِلْحَسَنِ: أَتَحْلِفُ؟ قَالَ: إِنْ حَلَفَ خَصْمِي أُعْطِيهِ، فَقَالَ شُرَيْحٌ لِلرَّجُلِ: قُلْ بِاللهِ الَّذِي لا إِلهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَ الشَّهادَةِ؟ فَقَالَ الْحَسَنُ: لَا أُرِيدُ مِثْلَ هَذَا، قُلْ: بِاللهِ إِنَّ لَكَ عَلَيَّ هَذَا وَخُذِ الْأَلْفَ، فَقَالَ الرَّجُلُ ذَلِكَ وَأَخَذَ الدَّنَانِيرَ، فَلَمَّا قَامَ خَرَّ إِلَى الْأَرْضِ وَمَاتَ، فَسُئِلَ الْحَسَنُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ خَشِيتُ أَنَّهُ لَوْ تَكَلَّمَ بِالتَّوْحِيدِ يُغْفَرْ لَهُ يَمِينُهُ بِبَرَكَةِ التَّوْحِيدِ وَيُحْجَبُ عَنْهُ عُقُوبَةُ يَمِينِهِ[١٠٦].

إِنَّ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ عليهما السلام حَجَّ مَاشِياً فَتَوَرَّمَتْ قَدَمَاهُ، فَقِيلَ لَهُ: لَوْ رَكِبْتَ مَرْكَباً يَسْهُلُ عَلَيْكَ الطَّرِيقُ، فَقَالَ: لَا تُبَالُوا فَإِنَّا إِذَا بَلَغْنَا الْمَنْزِلَ يَسْتَقْبِلُنَا أَسْوَدُ بِدُهْنٍ يَنْفَعُ الْوَرَمَ، فَقَالُوا نَفْدِيكَ بِآبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا لَيْسَ مِنْ قِبَلِنَا مَنْزِلٌ يُبَاعُ فِيهِ هَذَا، قَالَ: لَنْ نَبْلُغَ الْمَنْزِلَ إِلَّا بَعْدَ قُدُومِهِ، فَلَمْ نَسِرْ إِلَّا قَلِيلاً حَتَّى قَالَ: دُونَكُمُ الرَّجُلَ فَأَتَوْهُ، وَسُئِلَ عَنِ الدُّهْنِ فَقَالَ: لِمَنْ تَسْأَلُونَ؟ فَقَالُوا: لِلْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ، قَالَ: ائْتُوا بِي إِلَيْهِ، فَلَمَّا أَتَوْهُ قَالَ: مَا كُنْتُ أَزْعُمُ أَنَّ الدُّهْنَ يُسْتَدْعَى لِأَجْلِكَ وَلِي إِلَيْكَ حَاجَةٌ أَنْ تَدْعُوَ لِي لِأُرْزَقَ وَلَداً بَرّاً تَقِيّاً، فَإِنِّي وَدَّعْتُ أَهْلِي تَمْخَضُ وَكَانَتْ حَامِلًا، فَقَالَ: يَهَبُ لَكَ وَلَداً ذَكَراً سَوِيّاً شِيعِيّاً، فَكَانَ كَمَا قَالَ: وَطَلَى رِجْلَيْهِ بِالدُّهْنِ فَبَرَأَ بِإِذْنِ اللهِ تَعَالَى[١٠٧].

الخاتمة

وفي ختام بحثي هذا الذي لا أدّعي لنفسي وله الكمال، بل أعرض قصوري وتقصيري بين يدي القارئ الكريم والإخوة الباحثين لتقويمي ببيان مواطن السهو والخطأ فيه.

وفي نهاية المطاف، خرج البحث بنتائج عدّة، منها:

١-انقلاب ما يعبّر عنه بكبار الصحابة على أعقابهم، فقدّموا الغواية على الهداية، وانحرفوا عن صراط الله المستقيم ونهج رسوله القويم، وتركوا كتاب الله وسنّة نبيّه والبيعة التي أقرّوها يوم الغدير بين أظهرهم.

٢-إنّ الثالث على الرغم من أنّه يعد ثالث الثلاثة- فيما يعبّر عنه بالخلافة الراشدة- إلّا أنّه يمكن القول أنّه أوّل حكّام بني أميّة؛ لأنّه من بني أميّة من جهة، ومن جهة أخرى هو الذي مكّنهم مادّيّاً وسياسيّاً.

٣-إنّ الدولة الأمويّة بدأت ببيعة ثالث ما يعبر عنه بالخلافة الراشدة، وانحسرت في مدة خلافة أمير المؤمنين وابنه الحسن عليهما السلام، لترجع بعد الصلح مع الإمام الحسن عليه السلام دولة واسعة قويّة مبنيّة على ما يعبّر عنه حديثاً بالدكتاتوريّة.

٤-إنّ بني أميّة ملعونون في القرآن الكريم، وقد سبّبت دولتهم عوجاً في الدين.

٥-إنّ الإمام الحسن عليه السلام تصدّى للانحراف العقائديّ والأخلاقيّ الذي تسبّبت به دولة بني أميّة بجوانب عدة:

أوّلها: الجانب الكلاميّ في بعض أقواله.

وثانيها: الجانب التوحيديّ في وجوده المبارك، وفي زهده وحسن عبادته.

٦-إنّ مرويّات الإمام الحسن عليه السلام ودوره الأساس في مواجهة كفر وانحراف بني أميّة لم يكن محلّ عناية معظم الباحثين على مرّ العصور.

التوصيات

أوصي نفسي إن كانت هناك محاولات بحثيّة أخرى ومن يأتي بعدي لبحث الجانب الاعتقاديّ في حياة الإمام الحسن عليه السلام:

١-أن يُذكّر بكفر بني أميّة، وبيان جانب الاضلال والتضليل الذي قاموا به؛ وذلك لأنّهم يمثّلون البيئة التي عاشها الإمام عليه السلام، وانطلاقا منها بدأ تكليفه بترسيخ عقيدة التوحيد.

٢-تتبّع جميع مرويّات الإمام الحسن عليه السلام بخصوص ترسيخ العقيدة عموماً وعقيدة التوحيد خصوصاً.

٣-الالتفات إلى حياته الشريفة بجميع ما تحتويه من جوانب عقديّة وتوحيديّة، ورعاية ذلك في البحوث القادمة.

الهوامش

١- التوبة ٣٢
٢-سورة الاسراء، الآية ٦٠.
٣-انظر تفسير السعديّ في تفسير الآية ستّين من سورة الاسراء.
٤- انظر تفسير البغويّ في تفسير الآية ستّين من سورة الاسراء.
٥-انظر تفسير الطبريّ في تفسير الآية ستّين من سورة الاسراء.
٦-انظر تفسير الرازيّ في تفسير الآية ستّين من سورة الاسراء.
٧-انظر تفسير القرطبيّ في تفسير الآية ستّين من سورة الاسراء.
٨-انظر، الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائيّ ، ط مؤسّسة الأعلميّ بيروت- لبنان، ج١٣ : ١٤٥
٩-سورة الاسراء، الآية ٦٠.
١٠- الدرّ المنثور:٤/ ١٩١.
١١- المصدر نفسه:٤/ ١٩١.
١٢- المصدر نفسه:٤/ ١٩١.
١٣- الطباطبائيّ، الميزان في تفسير القران، ط مؤسّسة الأعلميّ بيروت- لبنان، ج١٣٥:١٣.
١٤- المصدر نفسه:١٣٧.
١٥- في مناقب آل أبي طالب ١: ١٧٧ ـ ١٨٠: فتلجلج لسانه وعلّي يقصده بسيفه، والنبيّ ﷺ مُحدق بعلّي ، فقال العبّاس : يُضَرب ـ والله ـ عُنقك الساعة أو تشهد الشهادتين، فأسلم اضطراراً.
١٦- إعلام الورى بأعلام الهُدى ، للطبرسّي : ١١٤، والإرشاد ، للمُفيد : ٦٠ ـ ٦٤.
١٧- ذكر ابن عبد البرِّ في الاستيعاب بذيل (الإصابة في تمييز الصحابة) لابن حجر العسقلانّي ٤: ٨٧ ما يقرب منه.
١٨- دلائل الصدق ج ٣ ص ٢٣١ نقلًا عن المستدرك للحاكم.
١٩- نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٣ : ١٥.
٢٠- سورة الأحزاب، الآية ٣٣ .
٢١- مغنية، محمدجواد، الشيعة والحاكمون، صفحة: ٧١، دار الجواد، بيروت – لبنان، ١٤٢١ ه.ق.
٢٢- الاحتجاج:١/ ٤٠٩.
٢٣- أبو جعفر محمد بن جبير الطبريّ، تاريخ الطبريّ، تقديم صدقي جميل العطّار، دار الفكر، بيروت- لبنان، ج٥ : ٣٢٤.
٢٤- تاريخ الطبريّ :٥/ ٣٣٠ .
٢٥- أبو سفيان: هو صخر بن حرب بن أميّة بن عبد شمس بن عبد مناف.
٢٦- لا تدخل الاسلام.
٢٧- تمزّق الثوب ونحوه تشقّق ، وهو كناية عن الموت وتشقّق الأجساد تحت وقع السلاح.
٢٨- من سوء الحال، وقلّة المال، وامتناع النوم.

٢٩- هي الإبل حينما تسرع في سيرها.
٣٠- بضمّ العين وفتح الزاي المشدّدة ، صنم من الأصنام كان يعبده المشركون.
٣١-الفَرْقُ بين الأمرين: المميِّز أَحدهما من الآخر.
٣٢- سورة المائدة، الآية ٨٧
٣٣-النَّهَمُ، والنَّهامَةُ: إفْراطُ الشَّهْوَةِ في الطعامِ، وأن لا تَمْتَلِئ عين الآكِلِ ولا يَشْبَعَ.
٣٤- ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب ج٤ : ٢٦ ، القرشّي باقر، حياة الإمام الحسن دراسة وتحليل، ج٢: ٣٠٨.
٣٥-سورة التوبة، الآية ٣٢.
٣٦-سورة مريم، الآية ٦٧.
٣٧-سورة المائدة، الاية٣.
٣٨-سورة ال عمران، الاية١٤٤
٣٩- ينظر: النصّ والاجتهاد، عبد الحسين شرف الدين:٥٢٢-٥٢٣، السقيفة، محمد رضا المظفّر:٢٣-٢٨.
٤٠-الشيخ الصدوق، ثواب الأعمال، ج٤: ٢٩٩ ، الفيض الكاشانّي، الوافي: ج٤: ٤٥٩.
٤١- ابن عدي، الكامل ج٤: ٢٢٧، الذهبيّ، ميزان الاعتدال ج٤: ٩٣ هذا على سبيل المثال لا الحصر؛ لأنّي لم أجد منهم من لم يضعّفه أو يكذّبه.
٤٢-الشيخ الصدوق، التوحيد، طبع دار الاندلس، طبعة أولى، باب ٢، حديث ٥: ص٢٢.
٤٣-العلامة المجلسي، بحار الأنوار، طبعة مؤسّسة الوفاء ، بيروت / لبنان ، سنة : ١٤١٤ هجريّة ، ج ٧٤: ١٤٢.
٤٤-دعاء الإمام الحسين يوم عليه السلام عرفة.
٤٥- القاضي سعيد محمد بن محمد مفيد القمّيّ، شرح توحيد الصدوق، تعليق وتصحيح الدكتور نجفقلي حبيبي، طبع مؤسّسة الطباعة والنشر لوزارة الثقافة والارشاد الاسلاميّ، طهران، ط٤، ج١: ٢٢٦، بتصرف.
٤٦- شرح توحيد الصدوق:١/ ٢٢٧ بتصرف.
٤٧- المصدر نفسه:١/ ٢٢٩ بتصرف.
٤٨- إشارة إلى: القبل، والبعد، والأمد، والشبح، والمثال، واختلاف الصفة.
٤٩- السكون والحركة.
٥٠- شرح توحيد الصدوق:١/ ٢٣٢، بتصرف.
٥١-. حظر بمعنى: مَنَعَهُ، وَكُلُّ مَا حَالَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ شَيءٍ، فَقَدْ حَظَرَهُ عَلَيْكَ. وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ: وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا. (انظر، معجم لسان العرب).
٥٢- المحراب: القبلة، ومحراب المسجد أيضاً صدره وأشرف موضع فيه، ومحاريب بني إسرائيل مساجدهم التي كانوا يجلسون فيها، وفي التهذيب: التي يجتمعون فيها للصلاة (انظر، معجم لسان العرب).
٥٣- كلمة مدح وتعجّب.
٥٤- الشيخ الصدوق، التوحيد، طبع دار الاندلس، طبعة اولى، باب ٢٩، حديث ٢٢: ص١١٥.
٥٥- مثل الظاهريّة، وهم أتباع داود الظاهريّ، والحنابلة، والكراميّة، ويجمعهم اسم المشبّهة، حيث شبّهوا

الخالـق بالمخلـوق، فقالـوا: إنّ الله تعـالى جسـم، ثـمّ اختلفـوا فيـما بينهـم في كيفيّاتـه وتركيبـه.
٥٦- الجسم أو العرض.
٥٧- ممكـن الوجـود: وهـو الشـامل لجميـع العـالَم، وهـو محـدث ليـس بقديـم، ومخلـوق ليـس بخالـق، ويقابـل الواجـب الوجـود: وهـو القديـم الخالـق البـارئ.
٥٨- إنه تعالى ممكن الوجود.
٥٩- إنه تعالى جسم أو عرض.
٦٠- مثيلًا له بالبطلان.
٦١- غير المكان والعرض.
٦٢- كونه تعالى جسم.
٦٣- فعندما نقول : (هذا حالّ في هذا)، يكون المحلّ ذا الوجود الأصليّ، والحال ذا الوجود التبعيّ.
٦٤- فحلول الواجب في محلّ يستلزم افتقاره له، والافتقار بكلّ أنحائه ينافي الوجوب بالذات.
٦٥- إن لم يرضوا ببطلان هذا المعنى من الحلول.
٦٦- غير هذا المعنى من الحلول.
٦٧- إذ الحكم على الشيء والتصديق به فرع تصوّره. النافع يوم الحشر، المقداد السيوريّ:٥١.
٦٨- ليـس لـه جهـة؛ أي لا يقبـل الإشـارة الحسّـيّة، وهـذه صفـة المجـرّدات، قـال تعـالى: ﴿ وَإِذَا سَـأَلَكَ عِبَـادِي عَنِّـي فَـإِنِّي قَرِيـبٌ أُجِيـبُ دَعْـوَةَ الـدَّاعِ إِذَا دَعَـانِ فَلْيَسْـتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُـوا بِي لَعَلَّهُـمْ يَرْشُـدُونَ ﴾ (البقـرة:١٨٦)، فلـو كان الحـقّ يقبـل الإشـارة الحسّـيّة لـكان مادّيّـاً حينهـا، وبالتـالي إذا اقـترب مـن الـذي في الـشرق ابتعـد عـن الـذي في الغرب؛ لأنّ المـادّيّ القابـل للإشـارة الحسّـيّة إذا اقـترب مـن شيء ابتعـد عـن شيء آخـر، وهـذا خـلاف مـا أفادتـه الآيـة المباركـة مـن كونـه قريبـاً مـن كلّ شيء؛ لأنّ نسبته إلى جميع الممكنـات متساوية؛ لتجـرّده.
٦٩- كقولـه تعـالى: ﴿ الرَّحْمَـنُ عَـلَى الْعَـرْشِ اسْـتَوَىٰ ﴾ (طه: ٥)، وقولـه تعالى: ﴿ وَهُـوَ الْقَاهِـرُ فَـوْقَ عِبَـادِهِ ۚ وَهُـوَ الْحَكِيـمُ الْخَبِيرُ ﴾ (الانعـام:١٨)، وقولـه تعالى:{يَخَافُـونَ رَبَّهُـم مِّـن فَوْقِهِـمْ وَيَفْعَلُـونَ مَـا يُؤْمَرُونَ ﴾ (النحـل:٥٠).
٧٠- مثل الحلول والجهة.
٧١- النافع يوم الحشر، المقداد السيوريّ:٥١-٥٢.
٧٢- وهما الجسميّة والجهويّة بحسب الدليل النقليّ، وعمّهما بحسب الدليل العقليّ.
٧٣- المقداد السيوريّ، النافع يوم الحشر في شرح الباب الحادي عشر: ١٩-٢٠.
٧٤- سورة ق، الآية ١٦.
٧٥- الشـيخ الصـدوق، هـو محمـد بـن عـلي بـن الحسـين بـن موسـى بـن بابويـه القمّـيّ، مـن أعاظـم علـماء القـرن الرابـع الهجـريّ، ولـد سـنة ٣٠٥ هـ، وتـوفّي ٣٨١ هـ.، مـن أهـمّ مؤلّفاتـه كتـاب مـن لا يحـضره الفقيـه، وهـو مـن الكتـب الأربعـة المعتمـدة لـدى الشـيعة، ومـن أبـرز تلامذتـه السـيّد المرتضـى والشـيخ المفيـد.
٧٦- ينظر: التوحيد، الصدوق:١٧٣، ب نفي المكان والزمان والسكون والحركة.. .
٧٧- ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب عليهم السلام، ج١/ ٢١٧.

٧٨- سورة الضحى، الآية ٦.
٧٩- الفخر الرازيّ، مفاتح الغيب، ج٣١ / ١٩٦.
٨٠- سورة النساء، الآية ٤١.
٨١- حديث الكساء المرويّ بسند صحيح عن جابر بن عبد الله الأنصاريّ.
٨٢- الشيخ عبّاس القمّيّ، مفاتيح الجنان.
٨٣- الحافظ رجب البرسّي، مشارق أنوار اليقين: ١٠١.
٨٤- (فإذا عرفتمونا هكذا فأنتم المؤمنون)، يبدو أنّ هذا المعنى المراد من قولهم ﷺ المتكرّر كثيراً: من زار الحسين ﷺ - على سبيل المثال لا الحصر - عارفاً بحقّه له ما له من الثواب ومضاعفة الأجر التي تَشكُلُ غالباً لدى عامّة الناس بسبب ما فيها من مبالغة في إدراكهم المحدود ونظرهم القاصر.
٨٥-العلامة المجلسي، بحار الأنوار،ج٢: ٢٦.
٨٦-المسعوديّ، مروج الذهب، مراجعة: كمال حسن مرعي، المكتبة العصريّة بيروت لبنان، طبعة أولى ٢٠٠٥، ج١: ٢٦-٢٧.
٨٧- سورة يس، الآية ١٢.
٨٨- محمد الريشهريّ، موسوعة الإمام علي بن أبي طالب ﷺ في الكتاب والسنّة ج١٠: ٦٤، نقلًا عن معاني الأخبار: ج١: ٩٥ ، وعن أمالي الصدوق، ومشارق أنوار اليقين.
٨٩- التقم أذنه: سارّه - بمعنى سّره - تاج العروس ج ١٧: ٦٥٦ .
٩٠- محمد الريشهريّ، موسوعة الإمام علي بن أبي طالب ﷺ في الكتاب والسنّة ج١٠: ٦٤، نقلًا عن الخصال ج١: ٥٧٦ عن مكحول.
٩١- ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب ﷺ، ج٤: ١٩.
٩٢- سورة الأحزاب: الآية ٤٥.
٩٣- سورة هود: الآية ١٠٣.
٩٤- باقر شريف القرشي، حياة الإمام الحسن دراسة وتحليل، ج١: ٣٢٣.
٩٥- السيّد شهاب الدين أحمد، توضيح الدلائل في تصحيح الفضائل ص٧١٢.
٩٦- ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب ﷺ، ج ٤، ص ١٤.
٩٧- اضطراب السليم من لسعة العقرب.
٩٨- الشيخ الصدوق، الأمالي: ١٥٠ ، وبحار الأنوار، ج ٤٣ / ٣٣١.
٩٩-مناقب آل أبي طالب:٣/ ١٨٠.
١٠٠-السيّد ابن طاووس، مهج الدعوات ومنهج العبادات : ١٤٤.
١٠١- المصدر نفسه: ٥٩.
١٠٢- ينظر، حسين علي الحسينيّ، بيان النافع يوم الحشر في شرح الباب الحادي عشر، مؤسّسة الأعلميّ للمطبوعات، ط١: ٢١١ وما بعدها.

١٠٣- المعجزة: هي الأمر الخارق للعادة، المطابق للدعوى، المقرون بالتحدّي، المتعذّر على الخلق الاتيان بمثله. ينظر: المصدر السابق.

١٠٤- ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب عليهم السلام،ج٤: ٦

١٠٥- المصدر نفسه،ج٤: ٧.

١٠٦- المصدر نفسه ،ج٤: ٧.

١٠٧- المصدر نفسه،ج٤: ٧

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

* الاستيعاب ، ابن عبد البر.
* إعلام الورى بأعلام الهدى. للطبرسي .
* الأمالي ، الشيخ الصدوق.
* بحار الانوار: ج٧٤، العلامة المجلسي.
* تاج العروس.
* تاريخ الطبري، أبي جعفر محمد بن جبير الطبري.
* تفسير البغوي.
* تفسير الرازي
* تفسير السعدي.
* تفسير الطبري
* تفسير القرطبي
* التوحيد، الشيخ الصدوق.
* توضيح الدلائل في تصحيح الفضائل، السيد شهاب الدين أحمد.
* ثواب الاعمال، الشيخ الصدوق.
* حياة الإمام الحسن دراسة وتحليل، باقر شريف القرشي.
* دلائل الصدق
* شخصيات ومواقف، جعفر البياتي.
* شرح توحيد الصدوق، القاضي سعيد محمد بن محمد مفيد القمي.
* الشيعة والحاكمون، محمد جواد مغنية.
* في رحاب أئمة أهل البيت عليهم السلام، السيد الامين.
* الكامل ، ابن عدي.
* مروج الذهب ، المسعودي.
* مشارق انوار اليقين، الحافظ رجب البرسي.
* المعجم الرائد.
* معجم القاموس المحيط.
* معجم المعاني الجامع
* معجم لسان العرب.
* مفاتح الغيب، الفخر الرازي.
* مفاتيح الجنان ، الشيخ عباس القمي.
* مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب.
* موسوعة الإمام علي بن ابي طالب عليه السلام في الكتاب والسنة، محمد الريشهري.
* ميزان الاعتدال ، الذهبي.
* الميزان في تفسير القرآن، السيد الطباطبائي.
* النافع يوم الحشر في شرح الباب الحادي عشر، المقداد السيوري.
* الوافي ، الفيض الكاشاني.

زواج الإمام الحسن عليه السلام

الشيخ جاسم الوائليّ

ملخص البحث

جاءت هذه الدراسة لتسلّط الضوء على الأخبار التي أفادت أنّ الحسن عليه السلام كان كثير التزويج والطلاق، واقتصر البحث على أحد عشر خبراً، وفيها خبران معتبرتان، أحدهما صحيح، والآخر موثّق، وأشرنا إلى أنّه قد اتّفقت الأخبار المشار إليها على نسبة المزواجيّة والمطلاقيّة إلى الحسن عليه السلام، وقد تناولت الدراسة بيان المضامين الأخرى لتلك الأخبار غير المزواجيّة والمطلاقيّة، فكانت الأخبار المشار إليها بين ما دلّ على أصل المزواجيّة والمطلاقيّة، ومن دون ذكر أسبابها، وما دلّ على أنّ السبب وراء ذلك هو إصرار أهالي النساء على تزويج الحسن عليه السلام منهنّ، ومن دون ذكر سبب الإصرار، وما دلّ على أنّ سبب الإصرار هو رغبة أولئك النساء وأهليهنّ في الاتصال بالنسب الشريف ومصاهرة النبيّ الأكرم ، وأمير المؤمنين عليه السلام، وفاطمة الزهراء عليها السلام، وكذا أثارت الدراسة اثني عشر احتمالاً في الهدف من وراء كثرة التزويج والتطليق على فرض وقوعهما فعلاً، وكان ثاني عشر الوجوه هو ما دلّت عليه الأخبار المقيّدة برغبة النساء وأهليهنّ في المصاهرة المذكورة، فكان أن تمّ ترجيح الوجه الثاني عشر؛ لأنّه مقتضى الصناعة الأصوليّة، ثمّ احتملنا ورود احتمالات أخرى من بين الاحتمالات الباقية بشرط أن تليق بمقام الحسن عليه السلام بما أنّه إمام معصوم، وأنّه سيّد شباب أهل الجنّة، وما إلى ذلك من صفاته عليه السلام التي لا يليق بها أن تكون كثرة التزويج والتطليق لأسباب مرفوضة شرعاً أو عقلاً، من المزاجيّة ونحوها، وأخيراً تناولت الدراسة في خاتمتها ردوداً على شبهات أربع، ممّا قيل أو يمكن أن يقال.

المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين.

وبعد، فقد كثر الكلام حول الأخبار الواردة في كثرة تزويج الإمام الحسن بن علي عليه السلام وكثرة تطليقه، وفي هذه الدراسة نحاول تسليط الضوء على تلك الأخبار من جهاتٍ عدّة.

والكلام في هذه المسألة يقع في تمهيد، ومطالب ثلاثة، وخاتمة.

التمهيد: في استعراض الأخبار.

المطلب الأوّل: في بيان حال أسانيدها.

المطلب الثاني: في بيان مضامينها.

المطلب الثالث: في بيان الوجوه المحتملة في كثرة التزويج والتطليق.

الخاتمة: في شبهات وردود.

هذا، وأسأله تعالى أن يتقبّل هذه الدراسة بقبول حَسَنٍ، ويجعلها ذريعةً لنيل شفاعة مولاي الحَسَن، صلوات الله وسلامه عليه، ولعنتُه على كلّ من شنّع عليه.

التمهيد

في استعراض الأخبار

ونستعرض ما تيسّر لنا منها:

الخبر الأوّل: ما نقله ابن شهر آشوب عن كتاب (قوت القلوب) لأبي طالب المكّيّ: أنّ الحسن عليه السلام تزوّج مائتين وخمسين امرأة، وقد قيل: ثلاثمائة، وكان علي عليه السلام يضجر من ذلك، فكان يقول في خطبته: ((إنّ الحسن مِطلاق، فلا تُنكِحوه)).

ثمّ نقل عن كتاب (رامش اقزاي[1]) لأبي عبد الله المحدّث: أنّ هذه النساء كلّهنّ خرجن خلف جنازته حافيات[2].

الخبر الثاني: ما رواه ابن شهر آشوب عن كتاب (الإحياء) لأبي طالب المكّيّ أيضاً: أنّه خطب الحسن بن علي عليه السلام إلى عبد الرحمن بن الحارث بنته، فأطرق عبد الرحمن، ثمّ رفع رأسه فقال: والله ما على وجه الأرض من يمشي عليها أعزُّ عليَّ منك، ولكنّك تعلم أنّ ابنتي بضعة منّي، وأنت مِطلاق، فأخاف أن تطلّقها، وإن فعلتَ خشيتُ أن يتغيّر قلبي عليك، لأنّك بضعةٌ من رسول الله، فإن شرطتَ أن لا تطلّقها زوّجتُك، فسكت الحسن، وقام وخرج، فسُمع منه يقول: ((ما أراد عبد الرحمن إلّا أن يجعل ابنته طوقاً في عنقي))[3].

الخبر الثالث: ما رواه ابن شهر آشوب عن الكتاب المذكور أيضاً: وروى محمد بن سيرين أنّه خطب الحسن إلى منظور بن ريّان ابنتَه خولة، فقال: والله إنّي لأُنكِحُكَ وإنّي لأعلم أنّك غَلِقٌ، طَلِقٌ، مَلِقٌ، غير أنّك أكرم العرب بيننا[4]، وأكرمهم نفساً، فولد منها الحسن بن الحسن[5].

الخبر الرابع: ما رواه ابن كثير مرسلاً: قالوا: وكان كثير التزوّج، وكان لا يفارقه أربع حرائر، وكان مِطلاقاً مِصداقاً[6].

الخبر الخامس: ما رواه نقلاً عن الواقديّ: كان الحسن بن عليّ عليه السلام كثير نكاح النساء، وكان قَلَّما يحظَيْنَ عنده، وكان قَلَّ امرأةٌ تزوّجها إلّا أحبَّته، وضَنّت به[7].

الخبر السادس: ما رواه ابن كثير مرسلاً: يقال: إنّه أحصن سبعين امرأة[8].

الخبر السابع: ما رواه الكلينيّ، عن عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن محمد بن

إسماعيل بن بزيع، عن جعفر بن بشير، عن يحيى بن أبي العلاء، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: ((إنّ الحسن بن علي عليهما السلام طلّق خمسين امرأةً، فقام علي عليه السلام بالكوفة، فقال: يا معاشر أهل الكوفة، لا تُنكِحُوا الحسن، فإنّه رجل مِطلاق، فقام إليه رجل، فقال: بلى والله لَنُنكِحَنَّهُ؛ فإنّه ابن رسول الله صلى الله عليه وآله، وابن فاطمة عليها السلام، فإن أعجبته أمسك، وإن كره طلّق))[٩].

الخبر الثامن: ما رواه ابن كثير مرسلاً: وقد كان عليٌّ عليه السلام يقول لأهل الكوفة: ((لا تزوّجوه، فإنّه مِطلاق))، فيقولون: والله يا أمير المؤمنين، لو خطب إلينا كلَّ يوم لزوّجناه منّا من شاء، ابتغاءً في صهر رسول الله صلى الله عليه وآله[١٠].

الخبر التاسع: ما رواه السرخسيّ مرسلاً، قال: وإنّ الحسن بن علي عليهما السلام استكثر من النكاح والطلاق بالكوفة، حتى قال عليٌّ عليه السلام على المنبر: ((إنّ ابني هذا مِطلاق، فلا تُزوِّجوه))، فقالوا: إنّا نُزوِّجه، ثم نُزوِّجه[١١].

الخبر العاشر: ما رواه الكلينيّ، عن حميد بن زياد، عن الحسن بن محمد بن سماعة، عن محمد بن زياد بن عيسى، عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: ((إنّ عليّاً قال وهو على المنبر: لا تزوّجوا الحسن فإنّه رجل مِطلاق، فقام رجل من همدان فقال: بلى والله لنُزَوِّجَنَّهُ، وهو ابن رسول الله صلى الله عليه وآله، وابن أمير المؤمنين عليه السلام، فإن شاء أمسك، وإن شاء طلّق))[١٢].

الخبر الحادي عشر: ما رواه البرقيّ، عن ابن محبوب، عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: ((أتى رجل أمير المؤمنين عليه السلام فقال له: جئتك مستشيراً، إنّ الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر خطبوا إليَّ، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: المستشار مؤتمن، أمّا الحسن فإنّه مِطلاق للنساء، ولكن زوّجها الحسين؛ فإنّه خيرٌ لابنتك))[١٣].

المطلب الأوّل: في بيان حال أسانيد الأخبار

أمّا الثلاثة الأولى فهي منقولة عن أبي طالب المكّيّ المشكوك في سلامة عقله، على ما ذكره ابن خلّكان في ترجمته، حيث قال - باختصار منّا -: ((أبو طالب محمد بن علي بن عطيّة الحارثيّ المكّيّ، صاحب كتاب (قوت القلوب)، كان رجلاً صالحاً مجتهداً في العبادة .... وكان يستعمل الرياضة كثيراً، حتّى قيل: إنّه هجر الطعام زماناً، واقتصر على أكل الحشائش المباحة، فاخضرَّ جلده من كثرة تناولها، ولقي جماعة من المشايخ في الحديث وعلم الطريقة، وأخذ عنهم .... وقدم بغداد، فوعظ الناس فخلّط في كلامه، فتركوه وهجروه.

وقال محمد بن طاهر المقدسيّ في كتاب (الأنساب): إنّ أبا طالب المكّيّ المذكور لمّا دخل بغداد واجتمع الناس عليه في مجلس الوعظ خلّط في كلامه، وحُفظ عنه أنّه قال: ليس على المخلوقين أضرّ من الخالق، فبدَّعه الناس وهجروه))[١٤]. انتهى موضع الحاجة.

فها أنت ترى أنَّ الرجل كان مخلّطاً، ولعلّ تخليطه يرجع إلى الهلوسة بسبب هجره لطعام الآدميّين، واقتصاره على طعام البهائم والأنعام، مضافاً إلى الرياضة التي يبتدعها المتصوّفة، فما بالك لو أكثر منها؟!.

ولا ينقضي تعجُّبي من نقل ابن شهر آشوب لهذه الأخبار في مناقبه عن هذا الرجل، لا سيما مع خلوّ هذا الخبر من كلّ منقبة، بل في مضامينها ما هو أقرب إلى المثلبة منه إلى المنقبة!.

وأمّا الثلاثة الأُخر – الرابع، والخامس، والسادس - فهي مراسيل، مضافاً إلى نسبة السادس إلى القيل، وهو مشعر بضعفه من غير جهة الإرسال، فيكون ضعيفاً من جهتين.

وأمّا الثلاثة الثالثة – السابع، والثامن، والتاسع – فهي ضعيفة، فأوّلها بجهالة يحيى بن أبي العلاء، والآخران بالإرسال.

وأمّا الأخيران - العاشر، والحادي عشر - فمعتبران سنداً، فأوّلهما موثّق، والآخر صحيح.

المطلب الثاني: في بيان مضامين الأخبار

وفيما يلي بيان مضامين الأخبار المتقدّمة تفصيلاً، بعد اتّفاقها في أنّ الحسن عليه السلام كان مِطلاقاً.

مضمون الخبر الأوّل

لقد اشتمل الخبر الأوّل على ثلاثة مضامين:

أوّلها: أنّ عدد النساء اللاتي تزوّج بهنَّ لا يقلُّ عن مائتين وخمسين امرأة.

لكنّ العدد المذكور ممّا انفرد به أبو طالب المكّيّ المشكوك في سلامة عقله؛ فإنَّ أقصى عدد نقل من طريق العامّة هو سبعون امرأة، كما في الخبر السادس المرسل، والمضعّف بنسبته إلى القيل، وأقصى ما نقل من طريقنا هو خمسون امرأة، كما في الخبر السابع.

ثانيها: أنّ عليّاً عليه السلام نهى الناس عن تزويج بناتهم من الحسن عليه السلام.

ثالثها: أنّ عليّاً عليه السلام كان يضجر من كثرة تزويج الحسن عليه السلام وتطليقه.

ولكن لم يثبت كونه رواية عن معصوم؛ إذ يحتمل قويّاً أنّه اجتهاد من أبي طالب المكّيّ، فربّما ظنّ أنّ نهي عليّ عليه السلام ناشئٌ من تضجُّره من كثرة تزويج ولده، وهو أوّل الكلام؛ إذ سيأتي في المطلب الثالث بيان الوجوه المحتملة فيه، فانتظر.

مضمون الخبر الثاني

واشتمل الخبر الثاني على مضمونين اثنين:

أوّلهما: أنّ الحسن عليه السلام لمّا خطب من عبد الرحمن بن الحارث ابنته اشترط عليه عبد الرحمن أن لا يطلّقها؛ لأنّ الحسن عليه السلام مِطلاق، والحارث كان متخوّفاً من أن تطلّق ابنته كغيرها من النساء اللاتي طلّقهنّ الحسن عليه السلام، فتزول بذلك محبّته عليه السلام من قلب عبد الرحمن، وهو لا يريد لها أن تزول؛ لأنّ الحسن عليه السلام أعزّ الناس على قلبه؛ لأنه بضعة من رسول الله صلى الله عليه وآله.

ثانيهما: أنّ الحسن عليه السلام أعرض عن الزواج من ابنة الحارث؛ لأنّ زواجه منها بالشرط المذكور يضطرّه إلى إبقائها في حُبالته، وهذا ربّما يؤيّد لأنه عليه السلام مِطلاق.

مضمون الخبر الثالث

أمّا الثالث فقد اشتمل على مضامين خمسة:

أوّلها: أنّ الحسن عليه السلام خطب خولة ابنة منظور بن ريّان، ومنظور زوّجه ابنته، رغم أنّه يعتقد في الحسن ثلاثاً من الصفات الذميمة، وهي: الغَلِق، والطَّلِق، والمَلِق، والأوّل على ما يستفاد من المصباح: الكثير الضجر، والغضب[١٥]، والثاني هو: كثير الطلاق، والثالث هو على ما في المختار: الذي يقول بلسانه ما ليس في قلبه[١٦].

ثانيها: أنّ الحسن عليه السلام – حاشاه – كثير الضجر، كثير الغضب.

ثالثها: أنّ الحسن عليه السلام – حاشاه – يقول بلسانه ما ليس في قلبه.

ومن المعلوم لدى المسلمين كافّة نزاهة الحسن عليه السلام من هاتين الصفتين، فكيف اعتقد ابن ريّان وجودهما فيه عليه السلام؟!

وهذا ما يزيد الخبر ضعفاً إلى ضعفه السنديّ.

رابعها: أنّ الذي جعل ابن ريّان يرضى بتزويج ابنته من الحسن عليه السلام رغم اعتقاده بوجود تلك الصفات الثلاث هو أنّ الحسن عليه السلام أكرم العرب بيتاً، وأكرمهم نفساً.

خامسها: أنّ أمّ الحسن المثنّى هي خولة بنت منظور بن ريّان.

مضمون الخبر الرابع

ويشتمل الخبر الرابع على مضمونين اثنين:

أوّلهما: أنّ زوجات الحسن عليه السلام الحرائر لا تقلّ عن أربع.

ثانيها: أنّه عليه السلام مِصداق.

وهذا المضمون يدلُّ على أنّه عليه السلام كان يبذل مالاً طائلاً في الصّداق، أي المهر، فيدلُّ على كرمه عليه السلام من جهة، وعلى تكريمه للمرأة من جهة أخرى، وسيأتي في الفصل الثالث – إن شاء الله تعالى – ما يؤيّد ذلك.

مضمون الخبر الخامس

ويشتمل على مضمونين اثنين أيضاً:

أولها: أنّ أكثر النساء اللاتي تزوّج بهنّ أحببنه.

وفيه دلالة على أنّ الحسن عليه السلام كان حسن العشرة.

ثانيها: أنّ أكثر الزوجات كانت تريده لنفسها، وتبخل به على غيرها.

وهذا ينشأ عادة من الغَيرَة، وهو أمر طبيعيّ في النساء، فلا وجه لنقله.

مضمون الخبر السادس

وفيه مضمون واحد، وهو أنّ الحسن عليه السلام طلَّق ستّاً وستّين امرأة في أقلّ تقدير؛ إذ لا يجوز أن يحتفظ من السبعين بأزيد من أربع زوجات.

مضمون الخبر السابع

وفيه مضامين أربعة:

أوّلها: أنّ عليّاً عليه السلام نهى أهل الكوفة عن تزويج بناتهم من الحسن عليه السلام، معلّلاً لأنه مِطلاق.

ثانيها: إصرار أهل الكوفة على تزويج الحسن عليه السلام حتّى بعد نهي أمير المؤمنين عليه السلام لهم عن ذلك.

والظاهر عدم حرمة إصرارهم المذكور؛ إذ من البعيد أن يتواطأ أهل الكوفة على ارتكاب الحرام، لا سيّما مع سكوت الإمام عليه السلام بعد ذلك، ولو كان حراماً لنبّههم على ذلك.

ومن نافلة القول: أنّ النهي المذكور لم يكن نهياً ولائيّاً (حكوميّاً)، وإلّا وجب عليهم طاعة أميرهم عليه السلام، وإلّا جاز له عليه السلام أن يعاقبهم على المخالفة.

ثالثها: أنّ تعليل أهل الكوفة تزويج بناتهم من الحسن عليه السلام بأنّه ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وابن فاطمة عليها السلام ظاهر في أنّ الدافع من وراء ذلك هو أن يصيروا أنسباء لرسول الله صلى الله عليه وآله، ولابنته فاطمة عليها السلام.

رابعها: أنّ رغبة أهل الكوفة في تزويج بناتهم من الحسن عليه السلام ليست مقيّدة بإبقائهنّ في حُبالته، بل هم راغبون في تزويجهنّ منه عليه السلام حتّى لو علموا بأنّه سيطلّقهنّ بعد ليلة واحدة، بل بعد ساعة من عقد النكاح، وهو يؤكّد التعليل المذكور؛ إذ يكفي في صيرورة البنت نسيبة لرسول الله صلى الله عليه وآله وابنته الزهراء عليها السلام مجرّد العقد عليها من قبل الحسن عليه السلام حتّى لو لم يدخل بها، وسيأتي في المطلب اللاحق ما يؤيّد ذلك.

مضمون الخبر الثامن

وفيه أربعة مضامين أيضاً:

أحدها: أنّ عليّاً عليه السلام نهى أهل الكوفة عن تزويج بناتهم من ولده الحسن عليه السلام، معلّلاً بكونه مِطلاقاً.

ثانيها: إصرار أهل الكوفة على تزويج بناتهم من الحسن عليه السلام حتّى لو بلغ عددهنَّ بعدد أيّام حياته عليه السلام.

ثالثها: تعليلهم إصرارهم بطمعهم في مصاهرة رسول الله صلى الله عليه وآله.

رابعها: اكتفاء أهل الكوفة بالعقد على بناتهم حتّى لو لم يكن دخول، لأنّ الغرض المصاهرة وهي تتحقّق بمجرّد العقد.

مضمون الخبر التاسع

وفيه مضمونان اثنان:

أحدها: أنّ عليّاً عليه السلام نهى أهل الكوفة عن تزويج الحسن عليه السلام مُفرّعاً على كونه مِطلاقاً.

ثانيها: إصرار أهل الكوفة على تزويجه مهما بلغ عدد النساء.

مضمون الخبر العاشر

وفيه أربعة مضامين:

أوّلها: إنّ عليّاً نهى عليه السلام عن تزويج الحسن عليه السلام معلّلاً بكونه مِطلاقاً.

ثانيها: إصرار المخاطبين على تزويج الحسن عليه السلام.

ثالثها: تعليلهم الإصرار على ذلك بأنّ الحسن عليه السلام ابن رسول الله صلى الله عليه وآله، وابن أمير المؤمنين عليه السلام.

رابعها: أنّ تزويج بناتهم من الحسن عليه السلام ليس مشروطاً بأن يبقيهنّ في حُبالته، فله أن يطلّقهنَّ متى شاء ولو بعد العقد مباشرة وبغير دخول.

مضمون الخبر الحادي عشر والأخير

وفيه ثلاثة مضامين:

أوّلها: أنّ الحسن والحسين عليهما السلام وعبد الله بن جعفر تقدّموا لخطبة امرأة في وقت واحد.

وهـذا المضمـون مجمـل مـن حيـث علـم كلّ واحـد منهـم برغبـة الآخـر في تلـك المـرأة وعـدم علمـه؛ إذ لم يذكـر السـائل مـا إذا كانـوا عالمين بذلـك أو لا، ولا بـدّ مـن الحمـل عـلى عـدم العلـم، ولا أقلّ مـن جهـة الحسـن والحسـين عليهما السلام؛ لاستبعاد أن يتقدّم أحدهما لخطبة تلك المرأة وهـو يعلـم برغبـة أخيـه فيهـا، لاسـيّما لـو علـم الحسـين عليه السلام برغبـة الحسـن عليه السلام فيهـا؛ لأنـه أخـوه الأكـبر مـن جهـة، ولكونـه إمامـه مـن جهـة أخـرى، والأمـر سـهل.

ثانيها: يجب على المستشار أن يشير بما يطابق الواقع، وإلّا كان خائناً.

ثالثها: أنّ الحسين عليه السلام خيرٌ لتلك البنت من الحسن عليه السلام.

وليس المراد من الخيريّة هنا هي الخيريّة الذاتيّة، وأنّ الحسين عليه السلام ذاتاً خيرٌ من الحسن عليه السلام ذاتاً، بداهة أنّ الحسن عليه السلام إن لم يكن خيراً من الحسين عليه السلام فهو مثله، بل المراد هي الخيريّة النسبيّة، أي: أنّ الاقتران بالحسين عليه السلام بالنسبة إلى تلك البنت هو خير لها من الاقتران بالحسن عليه السلام؛ لأنّ الذي تهدف إليه المرأة عادةً هو الزواج الدائم، وهو غير مضمون مع الحسن عليه السلام بحسب ظاهر حاله، من كونه كثير التطليق للزوجات، فلا تأمن المرأة التي تهدف إلى الزواج الدائم من أن يطلّقها، فلا يتحقّق غرضها، بخلاف ما لو تزوّجت من الحسين عليه السلام، فإنّ ظاهر حاله عدم تطليق الزوجة الدائمة إلّا لأمر طارئٍ كالذي يحدث بين المتزوّجين بالزواج الدائم، من خيانة، أو كراهة، أو إكراه ظالم، أو غير ذلك من الطوارئ التي لولاها لما تطلّقا.

المطلب الثالث: بيان الوجوه المحتملة في كثرة الزواج والطلاق

أمّا الوجوه المحتملة في الأخبار المتقدّمة ونحوها فهي عدة:

الوجه الأوّل: أنّها أخبار واردة في وقائع خارجيّة لا نحيط بملابساتها، وربّما كان لإكثاره عليه السلام من الزواج والطلاق وجهٌ نحن نجهله، ولا بدّ لمن يعتقد بعصمة الحسن عليه السلام – وهو الحقّ الذي عليه الإماميّة – من إرجاع علم ذلك إلى الإمام عليه السلام، والاعتقاد بعدم منافاته؛ لعصمته ومقامه.

ولا بدّ لمن ينفي عصمته عليه السلام من التوقُّف في المسألة؛ لعدم إحاطته بالملابسات التي ربما يكون بينها ما يرفع الإشكال في المسألة.

الوجه الثاني: أنّها أخبار موضوعة بهدف توهين شخصيّة الإمام الحسن عليه السلام، وإسقاط اعتبارها من نفوس المسلمين، وهو غرض مشترك لأعداء أهل البيت عليهم السلام عموماً، وأعداء الحسن عليه السلام خصوصاً، وفي مقدّمتهم بنو أميّة عليهم لعائن الله.

وممّن يميل إلى هذا الوجه السيّد علي الحسينيّ الميلانيّ (قدّه)، إذ قال في تحقيقٍ له حول هذه المسألة – وسيأتي في الملحق –: ((أقول: هذا كلّه بناءً على ثبوت أصل الموضوع تاريخيّاً، وصحّة الرّوايات الحاكية لذلك سنداً، لكنّ الظاهر أنّه من القضايا المفتعلة ضدّ أهل البيت عليهم الصلاة والسلام، فراجع))[١٧].

وممّن يؤيد ذلك أيضاً شيخنا الإيروانيّ (دام ظلّه)، إذ قال: ((إنّ في الكتب الأربعة أحاديث قد لا يمكن التصديق بصدورها، من قبيل ما ذكره في الكافي في كتاب الطلاق من أنّ أمير المؤمنين عليه السلام ارتقى المنبر وقال: لا تزوّجوا ولدي الحسن فإنّه مِطلاق.

إنّنا لا نرضى بتقديس كتاب الكافي بثمنٍ باهضٍ يحطّ فيه من كرامة إمامنا الحسن عليه السلام)).

ثمّ بعد نقله (دام ظلّه) لحديث آخر من الأحاديث المشكلة قال:

((**وإذا قيل**: بأنّ أمثال هذه الأحاديث لا بدَّ من رفع اليد عن ظاهرها، وتأويلها بشكل من الأشكال، من قبيل تأويل الحديث الأوّل بأنّ بعض العوائل الكوفيّة كانت تحاول تزويج الإمام الحسن عليه السلام من بعض بناتها، وكان أمير المؤمنين عليه السلام يحذر على ولده من تلك البنات، فارتقى المنبر وقال: لا تزوّجوا ولدي الحسن، فإنّه مِطلاق حذراً منه على ولده.

أجبنا: ما الفائدة في الحفاظ على الصدور، وإلغاء الظهور؟!. إنّ تقديس أهل البيت عليهم السلام وأخبارهم يلزم أن يدعونا للحفاظ عليها صدوراً وظهوراً، أمّا التسليم بصدورها مع عدم العمل بظهورها فهو رفع بالتالي لليد عن أخبار أهل البيت عليهم السلام، ويعني عدم عملنا بها))[١٨].

وربّما يؤيّد هذا الوجه أنّ عدد أزواج الحسن عليه السلام اللاتي أحصاهنّ المؤرّخون قريب من عدد أزواج النبيّ صلى الله عليه وآله، أو بعض من عرفوا بكثرة الأزواج من دون نكير عليهم من أحد، كما اعترف بذلك الدكتور علي محمد الصلابيّ، حيث قال ما نصّه: ((وقد ذكر المؤرّخون أنّ من زوجاته: خولة الفزاريّة، وجعدة بنت الأشعث، وعائشة الخثعميّة، وأمّ إسحاق بنت طلحة بنت عبيد الله التميميّ، وأمّ بشير بنت أبي مسعود الأنصاريّ، وهند بنت عبد الرحمن بن أبي بكر، وأمّ عبد الله، وهي بنت الشليل بن عبد الله أخو جرير البجليّ، وامرأة من بني ثقيف، وامرأة من بني عمرو بن أهيم المنقريّ، وامرأة من بني شيبان من آل همام بن مرّة)). قال: ((وربّما تجاوز هذا العدد بقليل، وهو كما ترى لا يمتّ إلى الكثرة المزعومة بصلةٍ بعرف ذلك العصر)). قال: ((وأمَّا ما رَواه رُواة الأثر في كونه تزوّج سبعين، وفي بعض الروايات تسعين، والبعض الآخر مائتين وخمسين، والبعض الآخر ثلاثمائة، وروي غير هذا، إلا أنّه من الشذوذ بمكان، وهذه الكثرة المزعومة موضوعة)). انتهى[١٩].

كما يؤيّده الروايات المجزوم بكذبها، التي تدور حول النساء والزوجات أيضاً، من مثل:

١ـ ما رواه الذهبيّ بسنده عن سويد بن غفلة، قال: كانت الخثعميّة تحت الحسن عليه السلام، فلمّا قُتل عليٌّ عليه السلام وبويع الحسن عليه السلام دخل عليها، فقالت: لِتُهنِكَ الخلافةُ، فقال: أظهرتِ الشماتة بقتل علي؟ أنت طالق ثلاثاً، فقالت: والله ما أردت هذا، ثمّ بعث إليها بعشرين ألفاً، فقالت: متاعٌ قليلٌ من حبيب مفارق[٢٠].

والكذب في هذا الخبر – بعد غضّ النظر عن ضعف سنده – من وجوه:

أحدها: أنّ مثل الإمام الحسن عليه السلام لا يخفى عليه أنّ تهنئة الخليفة اللاحق بالخلافة لا تستلزم الشماتة بمقتل الخليفة السابق ما لم تدلّ عليه قرينة.

وثانيها: كان ثمّة حزازة في التهنئة بلحاظ عدم مناسبة أجواء الحزن والمصيبة لذلك، فغايته

أن تكون المرأة قد غفلت عن ذلك، وهو لا يوجب أن تعاقب بالطلاق، لا سيّما وأنّها محبّة للحسن عليه السلام.

وثالثها: أنّ بطلان الطلاق ثلاثاً في مجلس واحد من معالم فقه مذهب أهل البيت عليهم السلام، فكيف يصدر من إمام من أئمّتهم، ولا موجب له من تقيّة أو غيرها.

٢ـ ما رواه الثعلبيّ في تفسيره، عن ابن سيرين: ((إنّ الحسن عليه السلام تزوّج بامرأة، فبعث إليها بمائة جارية، مع كلّ جارية ألف درهم))[٢١].

ووضوح كذب هذا الخبر غنيٌّ عن بيان وجهه.

الوجه الثالث: ما احتمله العلّامة المجلسيّ (قدّه) في تعليقته على الخبر العاشر، حيث قال: ((ولعلّ غرضه عليه السلام كان استعلام حالهم، ومراتب إيمانهم، لا الإنكار على ولده المعصوم المؤيّد من الحيّ القيوم))[٢٢].

يعني: أنّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام حينما نهى أهل الكوفة عن تزويج الحسن عليه السلام لم يكن نهيه حقيقيّاً، بل كان امتحانيّاً، يريد أن يعرف منزلته ومنزلة أهل بيته عند أهل الكوفة، وقد أثبتوا ولاءهم ومحبّتهم له صلوات الله عليه، ولأهل بيته عليهم السلام بإصرارهم على تزويج الحسن عليه السلام، وأنّ له تطليق من يشاء، وإمساك من يشاء.

ولا يشكل عليه: بأنّ الوارد في بعض الأخبار أنّه عليه السلام كان يتضجّر من هذا الأمر، وهو ينافي أن النهي امتحانيّ.

إذ يجاب: بما تقدّم من أنّ الخبر الناقل لتضجّره عليه السلام لم يثبت لأنه قول للمعصوم، ولعلّه استنباط لأبي طالب المكّي الناقل لمضمون الرواية في كتاب قوت القلوب.

وإنّما يشكل عليه: بأنّه خلاف الظاهر، فلا يصار إليه من دون قرينة.

الوجه الرابع: حمل ذلك على الامتحان الإلهي، نظير امتحانه تعالى للأمّة بصلحه عليه السلام مع معاوية، وتسليمه السلطة إليه، الذي شبّهه عليه السلام في حديث بامتحان موسى النبيّ صلى الله عليه وآله بما جرى على يد العبد الصالح، من خرق السفينة، وقتل الغلام.

الوجه الخامس: ما احتمل الشيخ البحرانيّ مصير بعض الباحثين إليه، حيث نقل أخباراً

تضمّنت تطليق بعض الأئمّة عليهم السلام لزوجاتهم، وبعد أن حمل الطلاق فيها على وجود مسوّغ شرعيٍّ له قال في أخبار مسألتنا: ((وربّما حمل بعضهم هذه الأخبار على ما تقدّم في سابقاتها، من سوء خُلُقِ أولئك النساء، أو نحوه ممّا يوجب أولويّة الطلاق)).

وأجاب عنه قائلاً: ((ولا يخفى بعده؛ لأنّه لو كان كذلك لكان عذراً شرعيّاً، فكيف ينهى أمير المؤمنين عليه السلام عن تزويجه والحال كذلك)).

ثمّ قال: ((وبالجملة: فالمقام محلُّ إشكال، ولا يحضرني الآن جوابٌ عنه، وحبسُ القلم عن ذلك أولى بالأدب))[٢٣].

واستبعاده للحمل المذكور في محلّه، لكنّ تعليله في غير محلّه؛ لأنّ شرعيّة الطلاق لأجل العذر لا يمنع من النهي عنه وعن التزويج بنساء أخريات إذا عرض له عنوان ثانويّ، كما لو كانت كثرتها توجب طعناً بسمعته، وهدراً لكرامته، بحيث يتوجّب عليه الصبر على بعضهنّ.

والأنسب في تعليل الاستبعاد أن يقال: إنّه ليس من المعقول في العادة ابتلاء جميع أولئك النسوة البالغ عددهنّ خمسين أو أربعين أو حتّى عشرة نساء بسوء الخُلُق، وعدم وجود ولو امرأة واحدة يمكن العيش معها.

الوجه السادس: أنّ الهدف من ذلك هو تكثير النسل ليباهي النبيّ صلى الله عليه وآله ويكاثر به الأمم يوم القيامة، كما دلّت عليه النصوص، من قبيل: صحيح عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا نبيَّ الله، إنّ لي ابنة عمّ قد رضيت جمالها وحسنها ودينها، ولكنّها عاقر، فقال: لا تَزَوَّجها[٢٤]، إنّ يوسف بن يعقوب لقي أخاه، فقال: يا أخي، كيف استطعت أن تتزوّج النساء بعدي؟. فقال: إنّ أبي أمرني، وقال: إن استطعت أن تكون لك ذرّيّة تُثقل الأرض بالتسبيح فافعل)). قال[٢٥]: ((فجاء رجل من الغد إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال له مثل ذلك، فقال له: تزوّج سَوءَاءَ وَلُوداً، فإنّي مُكاثرٌ بكم الأمم يوم القيامة)). قال[٢٦]: فقلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما السوءاءُ؟. قال: ((القبيحة))[٢٧].

وصحيح محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ((تزوّجوا بِكراً وَلُوداً، ولا تزوّجوا حسناء جميلةً عاقراً، فإنّي أُباهي بكم الأمم يوم القيامة))[٢٨].

ويعضد الصحيحين: خبر إسماعيل بن عبد الخالق، عمَّن حدّثه قال: شكوت إلى أبي عبد الله عليه السلام قلّة وُلدي، وأنّه لا وُلد لي، فقال لي: ((إذا أتيت العراق فتزوّج امرأةً، ولا عليك أن تكون سَوءَاءَ)). قلت: جعلت فداك، وما السَّوءَاءُ؟ قال: ((امرأة فيها قُبحٌ، فإنهنَّ أكثر أولاداً))[٢٩].

وخبر سليمان بن جعفر الجعفري، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام، قال: ((قال رسول الله صلى الله عليه وآله لرجل: تزوّجها سَوءَاءَ وَلُوداً، ولا تَزَوَّجها حسناء عاقراً، فإني مُبَاهٍ بكم الأمم يوم القيامة، أَوَ ما علمت أنَّ الوُلدان تحت العرش يستغفرون لآبائهم، يحضنهم إبراهيم، وتُرَبِّيهم سارة في جبل من مسك وعنبر وزعفران؟))[٣٠].

ويردُّه: أوّلاً: أنّ الوجه المذكور إن كان يبرّرُ الإكثار من الزوجات فهو لا يبرّر طلاقهنّ.

توضيحه: إنّ غاية ما تدلّ عليه هذه الأحاديث هو استحباب الإكثار من الزواج لو توقّف عليه تكثير النسل، لكنّ استحبابه معارض بكراهة طلاق إحداهنّ، فضلاً عن طلاق أكثرهنّ، فالمناسب في امتثال الحكمين – الاستحباب والكراهة – الزواج بأربع نساء ولودات.

الوجه السابع: أنّ الحسن عليه السلام وكذا سائر الأئمّة عليهم السلام كانوا على علم بما سيجري على ذراريهم من التقتيل سعياً من الطّغاة إلى إبادة النسل الطاهر المطهّر، كما وقع ذلك بالفعل لذرّيّته عليهم السلام على يد الدوانيقيّ وغيره من حكّام بني العبّاس عليهم لعائن الله، ومن قبله ما جرى في كربلاء على أبنائه الثلاثة: عبد الله الأكبر، وعبد الله الأصغر، والقاسم، والذين استشهدوا دفاعاً عن أخيه وإمامهم الحسين عليه السلام، فضلاً عمّا جرى على إخوته الأربعة من أمّ البنين: العباس، وعون، وجعفر، وعثمان، وما جرى على أبناء أخيه الحسين عليه السلام، علي الأكبر، وعليٍّ الأصغر (عبد الله الرضيع).

ويعضده: تكثير الإمام موسى بن جعفر عليه السلام لذرّيّته؛ إذ لا وجه فيه ظاهراً غير ذلك.

الوجه الثامن: أنّ الهدف من وراء ذلك هو هدف اجتماعيٌّ، فإنّ من النساء من لا يرغب في الزواج منها أحد؛ لسببٍ أو آخر، وبعد أن يتزوّج منها الحسن عليه السلام وهو سبط رسول الله صلى الله عليه وآله، وابن أمير المؤمنين عليه السلام، وابن سيّدة نساء العالمين، وسيّد شباب أهل الجنّة – فيكون ذلك سبباً في ارتفاع مكانتها اجتماعيّاً بين الناس، وبعد أن تصير طليقة الحسن عليه السلام الذي هذه صفاته تصير مرغوبة للرجال، فيقدمون على الزواج منها، ولا تبقى عانساً.

ويؤيّده: الخبر السادس الذي رواه ابن كثير، من أنّه عليه السلام أحصن سبعين امرأةً، فإنّ إحصان المرأة أن تكون ذات زوج، والظاهر أنّ المراد منه في الخبر هو الإحصان الدائميّ لا المؤقّت، لا سيّما الذي لا يدوم إلّا أيّاماً، فإنّ المرأة بعد الطلاق لا تعود محصنةً، وما كان كذلك فهو بحكم العدم، فلم يبق إلّا أن يوجّه زواجه عليه السلام منهنّ بالوجه المذكور، فإنّه بعد طلاقهنّ وحصول رغبة الرجال فيهنّ سوف يتزوّجون منهنّ زواجاً دائميّاً، فيتحقّق الإحصان بذلك.

وعلى هذا تكون نسبة الإحصان إليه عليه السلام نسبة مجازيّة بعلاقة الأَوْلِ، أو التسبيب.

الوجه التاسع: أنّ الهدف هدف اقتصاديٌّ، وذلك بأن يتزوّج الإمام من المرأة الفقيرة المُعوزة التي ليس لها معيل، ثمّ يطلّقها بعد الدخول؛ لتستحقَّ عليه المهر المسمّى كاملاً، أو قبل الدخول؛ لتستحقَّ عليه نصف المهر المسمّى، أو تستحقَّ عليه المُتعة إن لم يُسمِّ لها مهراً في العقد، ولم يتّفقا بعده على تسميته[٣١].

والإمام إذا سمّى المهر فإنّه يسمّي لها مهراً كبيراً، وإن لم يسمّه بذل لها في المتعة مالاً كثيراً.

ولهذا الوجه شواهد:

الشاهد الأوّل: ما جاء في الخبر الرابع، حيث عُبّر فيه عن الإمام عليه السلام بأنّه كان مِطلاقاً مِصداقاً، والمِصداق صفة تفيد الإكثار في الصَّداق، وهو المهر، كما أنّ المِطلاق صفة تفيد الكثرة في الطلاق.

الشاهد الثاني: ما رواه ابن كثير مرسلاً: وذكروا أنّه طلّق امرأتين في يومٍ: واحدةً من بني أسد، وأخرى من بني فزارة، وبعث إلى كلّ واحدة منهما بعشرة آلافٍ، وبزقاقٍ من عسل، وقال للغلام: ((اسمع ما تقول كلُّ واحدة منهما)). فأمّا الفزاريّة فقالت: جزاه الله خيراً، ودعت له، وأمّا الأسديّة فقالت: متاعٌ قليلٌ من حبيب مفارق، فرجع الغلام إليه بذلك، فارتجع الأسديّة، وترك الفزاريّة[٣٢].

والظاهر أنّ إرجاع الأسديّة بالخصوص لما ثبت بقولها من حبّها الحقيقيّ للإمام، حيث استقلَّت المتعة التي متّعها إيّاها في مقابل البقاء زوجة له عليه السلام.

الوجه العاشر: أنّ كثرة الزواج والتطليق كانت برغبةٍ من النساء وأهلهنّ حُبّاً بالحسن عليه السلام ذاتاً.

ولهذا الوجه شواهد:

١ـ الخبر الثالث المرويّ عن محمد بن سيرين: أنّه خطب الحسن إلى منظور بن ريّان ابنتَه خولة، فقال: والله إنّي لأُنكِحُكَ وإنّي لأعلم أنّك غَلِقٌ، طَلِقٌ، مَلِقٌ، غير أنّك أكرم العرب بيننا، وأكرمهم نفساً.

فإنّه صريح في أنّ علّة تزويجه ﷺ لأنه الأكرم بين العرب – أو أكرمهم بيتاً –، وأكرمهم نفساً، ولم يمنع منظور بن ريّان علمه بأنّ الإمام ﷺ مِطلاق.

٢ـ الخبر التاسع الذي رواه السرخسيّ مرسلاً، قال: وإنّ الحسن بن علي ﷺ استكثر من النكاح والطلاق بالكوفة، حتّى قال عليٌّ ﷺ على المنبر: ((إنّ ابني هذا مِطلاق، فلا تُزوِّجوه))، فقالوا: إنّا نُزوِّجه، ثمّ نُزوِّجه.

فإنّه بإطلاقه ظاهر في أنّ تزويجه لا لعلّة أخرى وراء كونه الحسن ﷺ.

٣ـ ذيل الخبر الأوّل، وهو ما رواه ابن شهر آشوب عن كتاب (رامش اقزاي) لأبي عبد الله المحدّث: أنّ هذه النساء كلّهنّ خرجن خلف جنازته حافيات.

ومن المعلوم أنّ المطلّقات عادة لا يحتفظن للمطلّقين بالمحبّة، ولا أقلّ بعضهنّ، وعلى أفضل التقادير لا يخرجن لتشييع جنازته حال كونهنّ طليقاته، فضلاً عن خروجهنّ حافيات.

إنّ هذا ليدلُّ دلالة واضحة على جلالة قدر الحسن ﷺ في نفوس الناس.

٤ـ الخبر الخامس الذي رواه ابن كثير رواه نقلاً عن الواقديّ: كان الحسن بن عليّ ﷺ كثير نكاح النساء، وكان قَلَّما يحظَيْنَ عنده، وكان قَلَّ امرأة تزوّجها إلّا أحبَّته، وضَنّت به.

٥ـ ما رواه ابن شهر آشوب عن كتاب الإحياء: ورأى يزيدُ امرأةَ عبد الله بن عامر، أمّ خالد بنت أبي جندل، فهام بها، وشكى ذلك إلى أبيه، فلمّا حضر عبد الله عند معاوية قال له: لقد عقدتُ لك على ولاية البصرة، ولولا أنّ لك زوجة لزوّجتك رملة، فمضى عبد الله وطلّق زوجته طمعاً في رملة، فأرسل معاوية أبا هريرة ليخطب أمّ خالد ليزيد ابنه، وبذل لها ما أرادت من الصداق، فأَطلَعَ الحسنَ، والحسينَ، وعبدَ الله بنَ جعفر، فاختارت الحسن، فتزوَّجها[٣٣].

وفي هذا دلالة واضحة على اختصاص الحسن ﷺ من بين أولاد عليّ وفاطمة ﷺ بمحبّة

تختاره المرأة مع احتمال قويّ لتطليقه إيّاها على مثل الحسين عليه السلام مع احتمال بقائها على زوجيّته.

الوجه الحادي عشر: أنّ ذلك كان برغبةٍ من النساء وأهلهنّ لشبه الحسن عليه السلام برسول الله صلى الله عليه وآله، فقد ورد في كتب الفريقين أنّ الحسن عليه السلام كان أشبه الناس بالنبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله، من قبيل: ما رواه المِزّيّ بسنده عن البهيّ مولى الزبير، قال: دخل علينا عبد الله بن الزبير ونحن نتذاكر شبه النبيّ صلى الله عليه وآله من أهله، فقال: أنا أخبركم، أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وآله الحسن بن علي. وروى قريباً منه عن أنس، وأبي حجيفة، وعليّ عليه السلام، فراجع[٣٤].

وما رواه ابن عساكر بسنده عن هانئ بن هانئ، عن عليّ عليه السلام، قال: ((كان الحسن أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وآله من وجهه إلى سُرّته، وكان الحسين أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وآله ما أسفل من ذلك))[٣٥].

الوجه الثاني عشر: أنّ كثرة الزواج والتطليق كانت برغبةٍ من النساء وأهلهنّ طمعاً في مصاهرة جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله، أو أبيه أمير المؤمنين عليه السلام وخليفة المسلمين، أو أمّه فاطمة الزهراء عليها السلام سيّدة نساء العالمين.

ويدلُّ على هذا الوجه: ظهور الخبر العاشر في ذلك، وهو موثّق عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: ((إنّ عليّاً قال وهو على المنبر: لا تزوّجوا الحسن؛ فإنّه رجل مِطلاق، فقام رجل من همدان، فقال: بلى والله لنُزَوِّجَنَّهُ، وهو ابن رسول الله، وابن أمير المؤمنين، فإن شاء أمسك، وإن شاء طلّق)).

فإنّ قول الرجل الهمداني: (وهو ابن رسول الله، وابن أمير المؤمنين) ظاهر في التعليل، وإلّا كان كلاماً أجنبيّاً.

وصريح الخبر السابع في أنَّ علّة تزويجه هو انتسابه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وفاطمة عليها السلام، أعني: خبر يحيى ابن أبي العلاء، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: ((إنّ الحسن بن علي عليه السلام طلّق خمسين امرأةً، فقام علي عليه السلام بالكوفة، فقال: يا معاشر أهل الكوفة، لا تُنكِحُوا الحسن، فإنّه رجل مِطلاق، فقام إليه رجل، فقال: بلى والله لَنُنكِحَنَّهُ؛ فإنّه ابن رسول الله، وابن فاطمة، فإن أعجبته أمسك، وإن كره طلّق)).

وصريح الخبر الثامن في أنّ العلّة هي مصاهرة رسول الله ﷺ، وهو ما رواه ابن كثير مرسلاً: وقد كان عليٌّ عليه السلام يقول لأهل الكوفة: ((لا تزوّجوه، فإنّه مِطلاق))، فيقولون: والله يا أمير المؤمنين، لو خطب إلينا كلَّ يوم لزوّجناه منّا من شاء، ابتغاءً في صهر رسول الله ﷺ.

ويؤيّده: ما رواه الثعلبيّ في تفسيره، عن عطاء الخراسانيّ: قال خطب عمر إلى عليٍّ عليه السلام ابنته أمّ كلثوم، وهي من فاطمة بنت رسول الله ﷺ، فقال: إنّها صغيرة، فقال عمر: إنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنَّ كلَّ نَسَبٍ وصِهْرٍ ينقطع يوم القيامة إلّا نَسَبِي وصِهْرِي، فلذلك رغبت فيها[٣٦].

هذه اثنا عشر وجهاً ممّا قيل أو يمكن أن يقال في توجيه أخبار المسألة.

تحقيق الحال

من كلّ ما تقدم يتّضح: أنّ أولى الوجوه بالاعتماد على ما تقتضيه الصناعة الأصوليّة هو الوجه الأخير؛ لدلالة الأخبار الثلاثة – السابع، والثامن، والعاشر – وأحدها موثّق عبد الله بن سنان، حيث علّلت ذلك برغبة النساء أو أهلهنّ في الارتباط بهذا النسب الطاهر، ومصاهرة هذه الذوات المطهّرة، والإصرار عليه بنحوٍ أوقع أمير المؤمنين عليه السلام في الحرج، ولذا وجدناه عليه السلام يوجّه خطاب النهي من على المنبر إلى الناس، ولو كان ذلك برغبة وتسبيب من ابنه الحسن عليه السلام لكان مقتضى الحكمة والواجب الشرعي أن يخصّه بالخطاب فيما بينه وبين ابنه صلوات الله عليهما.

أمّا أنّ هذا هو مقتضى الحكمة فلأنّها تقتضي تقدير الأشياء بقدرها، وكان يكفيه أن يوجّه الخطاب لابنه الذي يطيعه جزماً لو نهاه، بلا حاجة إلى توجيه الخطاب إلى الناس.

وأمّا أنّ هذا هو مقتضى الواجب الشرعيّ فلأنّ الشرع يوجب على الإمام عليه السلام حفظ كرامة ولده الذي يعلم علم اليقين أنّه سيطيعه لو نهاه فيما بينه وبينه بلا حاجةٍ إلى التعريض به بين الناس، فما بالك بسيّد شباب أهل الجنّة، فضلاً عن أنه إمام معصوم؟! بل يتعيّن اختيار هذا الوجه في خصوص النساء اللّاتي لم يدخل الإمام عليه السلام بهنّ، واكتفينَ منه أو اكتفى أهلهنَّ بمجرّد العقد عليهنّ، فإنّ النسبة والمصاهرة تتحقّق بمجرّده كما هو معلوم.

المختار في المسألة

إنّ ما تقدّم هو ما تقتضيه صناعة الأصول، وهذا إنّما يكون لو كان الكلام يدور حول امرأةٍ واحدة، وكلامنا يدور حول نساء متعدّدات ومختلفات من حيث الأحوال والظروف، وفي مثله يمكن اختيار أكثر من وجه ممّا لا يقدح في مقام الحسن عليه السلام، بأن يكون لكلّ واحدة منهنّ وجهٌ من تلك الوجوه، فواحدة راغبة في شخص الحسن عليه السلام، وأخرى راغبة فيه؛ لأنّه أشبه الخلق برسول الله صلى الله عليه وآله، وثالثة راغبة بمصاهرة سيّد النبيّين، أو سيّد الوصيّين، أو سيّدة نساء العالمين، ورابعة امرأة وَلُودٌ رغب الإمام فيها؛ لتكثير النسل، وخامسة تقرّب الإمام إلى الله تعالى بإعانتها ماليّاً، وهكذا.

والخلاصة: إنّ أخبار المسألة واردة في وقائع خارجيّة، وبعضها محتمل الكذب للتشنيع على الإمام عليه السلام كالخبر الأوّل الذي ذكر فيه عدد من تزوّج بهنّ الإمام عليه السلام، وأنّهنَّ مائتان وخمسون امرأة، أو ثلاثمائة امرأة، وبعضها معلوم الوجه كالسابع والثامن والعاشر، وبعضها مجمل لا يعرف وجهه كالستّة الأولى والحادي عشر، ولا مانع أن يكون الوجه في المجمل أحد الوجوه التي لا تقدح بمقام الإمام عليه السلام.

الخاتمة

شبهات وردود

الشبهة الأولى: من المعلوم الذي دلّت عليه النصوص أنّ الطلاق أبغض الحلال عند الله، من قبيل ما رواه الكلينيّ بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: ((إنّ الله عزّ وجلّ يحبُّ البيت الذي فيه العرس، ويبغض البيت، الذي فيه الطلاق، وما من شيءٍ أبغض إلى الله عزّ وجلّ من الطلاق))[٣٧]، ولازمه لو صحّت أخبار المزواج المطلاق أن يكون الحسن عليه السلام مبغوضاً عند الله، وحيث أنّ هذا منافٍ لضرورة المذهب - بل الدين - فوجب طرحها.

وجوابها: أنّه لا ملازمة بين مبغوضيّة الفعل ومبغوضيّة الفاعل، فربّما كان الفعل مبغوضاً والفاعل محبوباً، كما لو طلّق المؤمن لمسوّغٍ شرعيّ، وإلّا فإنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وهو أحبّ الخلق إلى الله تعالى قد طلّق بعض نسائه، وكذلك بعض أئمّتنا، فقد روى الكلينيّ أنّ أبا جعفر عليه السلام كانت عنده امرأة تعجبه، وكان لها محبّاً، فأصبح يوماً وقد طلّقها، واغتمّ لذلك، فقال له بعض مواليه: جعلت فداك، لم طلّقتها؟ فقال: ((إنّي ذكرتُ عليّاً فَتَنَقَّصَتهُ، فكرهتُ أن أُلصِقَ جمرةً من جمر جهنّم بجلدي))[٣٨].

ومن هذا القبيل ما رواه بسنده عن خطّاب بن سلمة، قال: دخلت عليه - يعني أبا الحسن موسى عليه السلام[٣٩] - وأنا أريد أن أشكو إليه ما ألقى من امرأتي من سوء خلقها، فابتدأني فقال: ((إنّ أبي كان زوّجني مرّةً امرأة سيّئة الخُلُق، فشكوت ذلك إليه، فقال لي: ما يمنعك من فراقها، قد[٤٠] جعل الله ذلك إليك؟))، فقلت: فيما بيني وبين نفسي: قد فرّجت عنّي[٤١].

ومنه: ما رواه بسنده عن الوليد بن صبيح، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: سمعته يقول: ((ثلاثة تُرَدُّ عليهم دعوتهم، أحدهم: رجلٌ يدعو على امرأته وهو لها ظالم، فيقال له: ألم نجعل أمرها بيدك))[٤٢].

ومنه: ما رواه الصدوق بسنده عن محمد بن حمّاد الحارثيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: ((قال رسول الله صلى الله عليه وآله: خمسةٌ لا يستجاب لهم: رجلٌ جعل الله بيده طلاق امرأته، فهي تؤذيه وعنده ما يعطيها ولم يخلّ سبيلها، ورجلٌ أبق مملوكه ثلاث مرّات ولم يبعه، ورجلٌ مرّ بحائط مائل وهو يقبل إليه ولم يسرع المشي حتّى سقط عليه، ورجلٌ أقرض رجلاً مالاً فلم يُشهِد عليه، ورجلٌ جلس في بيته وقال: اللهم ارزقني ولم يطلب))[٤٣].

بل ومنه ما جاء في محكم الكتاب العزيز، حيث توعّد الله تعالى عائشة وحفصة بالتطليق في القصّة المعروفة، فقال لهما عزّ من قائل: ﴿إِن تَتُوبَا إِلَى الله فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ الله هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ * عَسَىٰ رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا﴾[٤٤].

والحاصل: أنّ تطليق المجتبى عليه السلام لا يستلزم مبغوضيّته عليه السلام عند الله، بل الدليل قائم على محبوبيّته، وهو جملة من النصوص المتواترة أو المستفيضة على أقلّ التقادير، ويكفي عن جميعها قول المصطفى صلى الله عليه وآله فيه وفي أخيه الحسين عليه السلام: ((الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة))[٤٥]، وهو لا يجتمع مع مبغوضيّته، كما هو أوضح من أن يبيّن.

الشبهة الثانية: روى الكلينيّ ما دلّ صريحاً على أنّ الله تعالى يبغض الرجل المِطلاق، فقد روى بسنده عن طلحة بن زيد، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: ((سمعت أبي يقول: إنَّ الله عزّ وجلّ يبغض كلَّ مِطلاق ذوّاق))[٤٦].

وما رواه بسنده عن ابن أبي عمير، عن غير واحد، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: ((ما من شيءٍ ممّا أحلّه الله عزّ وجلّ أبغض إليه من الطلاق، وإنّ الله يبغض المِطلاق الذوّاق))[٤٧].

واللازم من هاتين الروايتين إمّا أن يكون الحسن عليه السلام – والعياذ بالله – مبغوضاً عند الله، أو أن تكون الروايتان مدسوستين في كتاب الكافي، فيسقط كتابه عن الاعتبار، أو اعتقاد الكلينيّ بمغوضيّة الحسن عليه السلام عند الله، وهو يتنافى مع ضروريّ المذهب، فيلزم خروجه منه.

وجوابها: إنّ الروايتين المذكورتين مختصّتان بخصوص الذوّاق من المطلّقين لا مطلقاً، وشمولها للسبط الأكبر عليه السلام متفرّع على إثبات كون تطليقه عليه السلام ناشئاً من المزاج والذوق دون غيره من المناشئ العقلانيّة أو الشرعيّة.

وممّا يؤكّد اختصاص الروايتين بالذوّاق ما رواه الكلينيّ نفسه قبل هاتين الروايتين بسنده عن سعد بن طريف، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: ((مرَّ رسول الله صلى الله عليه وآله برجل، فقال: ما فعلت امرأتك؟ قال: طلّقتها يا رسول الله، قال: من غير سوء؟ قال: من غير سوء، ثمّ قال: إنّ الرجل تزوّج، فمرّ به النبيّ صلى الله عليه وآله، فقال: تزوّجت؟ قال: نعم، ثمّ قال له بعد ذلك: ما فعلت

امرأتك؟ قال: طلّقتها، قال: من غير سوء؟ قال: من غير سوء، ثمّ إنّ الرجل تزوّج، فمرّ به النبي ﷺ، فقال: تزوّجت؟ فقال: نعم، ثمّ قال له بعد ذلك: ما فعلت امرأتك؟ قال: طلّقتها، قال: من غير سوء؟ قال: من غير سوء، فقال رسول الله ﷺ: إنّ الله عزّ وجلّ يبغض أو يلعن كلّ ذوّاق من الرجال، وكلّ ذوّاقة من النساء))[٤٨].

الشبهة الثالثة: إنّ كثرة التزويج أمر مستهجنٌ عرفاً، وكلُّ ما كان كذلك وجب التنزّه عنه أخلاقيّاً إن لم نقل شرعاً لاسيّما بالنسبة إلى المعصوم.

وجوابها: أوّلاً: إنّ الكثرة من جهة الاستهجان وعدمه أمرٌ نسبيٌّ، فهو يختلف باختلاف الأزمنة، والأمكنة، والأعراف، فرب زمانٍ أو مكانٍ أو عرفٍ لا تكون الكثرة فيه مستهجنة، ومعه لا يمكن الجزم بأنّ كثرة تزويج الحسن عليه السلام وتطليقه كانت كذلك في زمنه، أو بلده، أو عرفهم سلام الله عليه؛ لاحتمال أنّ عدد من تزوّج منهنَّ يزيد قليلاً على عدد أزواج النبيّ ﷺ، ومثله لا استهجان فيه.

وثانياً: لو أنّ تلك الكثرة بلغت حدّ الاستهجان لاتّخذها بنو أميّة ذريعة للطعن في شخصيّة الحسن عليه السلام، وملأت الدنيا ضجيجاً وزعيقاً.

وثالثاً: إنّ الاستهجان لو كان فهو يختصّ بما إذا كانت الكثرة بداعي الشهوة والولع بالنساء، لا بداعي عنوانٍ طارئٍ أجنبيّ عن الشهوة، كبعض الوجوه الاثني عشر المتقدّمة، ولا جزم بعدم طروء بعضها؛ لأنّه أمر محتمل وجداناً.

الشبهة الرابعة: تقدّم في بعض الوجوه المحتملة أن يكون السبب وراء تزويج المسلمين بناتهم من الحسن عليه السلام هو التناسب مع رسول الله ﷺ، ولو كان الأمر كما احتملتم فلماذا خصّوا ذلك بالحسن دون الحسين عليه السلام؟.

وجوابها: أنّ الجهل بوجه الاختصاص لا يستلزم نفي الاختصاص كما هو أوضح من أن يستدلّ عليه، ويكفي لدفع الشبهة احتمال أيّ وجه لا يتنافى مع مقام الحسن عليه السلام، كالوجه الحادي عشر وهو شبه الحسن عليه السلام برسول الله ﷺ.

الهوامش

١- كذا في المناقب بالقاف، وفي البحار نقلًا عنه بالفاء.
٢- مناقب آل أبي طالب، ج٣، ص١٩٢.
٣- المصدر نفسه، ص١٩٩.
٤- كذا بالنون، ولعلّه مصحّف من: (بيتاً) بالتاء.
٥- مناقب آل أبي طالب، ج٣، ص١٩٩.
٦- البداية والنهاية، ج٨، ص٣٨.
٧- المصدر نفسه، ص٤٣.
٨- المصدر نفسه، ص٣٨.
٩- الكافي ٦: ٥٦، الحديث٥.
١٠- البداية والنهاية، ج٨، ص٣٨.
١١- المبسوط، ج٦، ص٣.
١٢- الكافي ٦: ٥٦، الحديث٤.
١٣- المحاسن، ج٢، ص٦٠١، الحديث٢٠.
١٤- وفيات الأعيان، ج٤، ص٣٠٣.
١٥- قال الفيُّومي: (غَلِقَ الرجلُ غَلَقاً: مثل ضَجِرَ وغَضِبَ وزناً ومعنى) [المصباح المنير، ج٢، ص٤٥١، مادّة: غ، ل، ق] ويستفاد منه أنّ الغَلِق هو الرجل سريع الغضب والضجر، وهو المناسب في المقام.
١٦- قال الرازي: (ورجلٌ مَلِقٌ: يعطي بلسانه ما ليس في قلبه) [مختار الصحاح، ص٢٩٨، مادة: م، ل، ق]
١٧- قاله (قدّه) في هامش خلاصة عبقات الأنوار، ج٤، ص٢٣٦.
١٨- دروس تمهيديّة في القواعد الرجاليّة، ص٢٣٠.
١٩- الحسن بن علي بن أبي طالب، ص١٩-٢٠.
٢٠- سير أعلام النبلاء ٣: ٢٦٢.
٢١- الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ج٣، ٢٨٨.
٢٢- مرآة العقول، ج٢١، ٩٦.
٢٣- الحدائق الناضرة، ج٢٥، ص١٤٨.
٢٤- بحذف إحدى التاءين تخفيفاً.
٢٥- القائل هو الإمام الصادق عليه السلام.
٢٦- القائل هو عبد الله بن سنان الراوي عن الصادق عليه السلام.
٢٧- الكافي، ج٥، ص٣٣٣، الحديث١.
٢٨- المصدر نفسه، الحديث٢.
٢٩-المصدر نفسه، الحديث٣.

٣٠- الكافي، ج٥، ص٣٣٤، الحديث٤.
٣١- المُتعة بضمّ الميم تأتي لمعانٍ ثلاثة في الشرع: (الأوّل): متعة الحجّ، ويقال له: حجّ التمتُّع، لاشتماله على عمرة التمتُّع، وإنّما سُمّيت بذلك؛ لجواز استمتاع الرجل بحليلته بعد الإحلال منها، وقبل الإحرام للحجّ.
(الثاني): النكاح المؤقّت. وقد حرّم عمر بن الخطّاب هاتين المتعتين، مع اعترافه بأنّ الله تعالى قد أحلّهما!!.
(الثالث): ما تستحقّه الزوجة على زوجها بعد الطلاق إذا لم يعيّن لها مهراً في العقد، ولم يتّفقا بعد العقد على تعيينه، فإنّها تستحقُّ عليه حينئذٍ قدراً من المال بحسب حاله، حتى لو كان دون مهر المثل. فانظر منهاج الصالحين، لسماحة آية الله العظمى السيّد علي الحسينيّ السيستانيّ دام ظلّه، ج٣، ص٩٢، المسألة ٢٩٤.
٣٢- البداية والنهاية، ج٨، ص٣٨.
٣٣- مناقب آل أبي طالب، ج٣، ص١٩٩.
٣٤- تهذيب الكمال، ج٦، ص٢٢٤-٢٢٥.
٣٥- ترجمة الإمام الحسن، ص٣٣، الحديث٦١.
٣٦- الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ج٣، ص٢٧٧.
٣٧- الكافي، ج٦، ص٥٤، الحديث٣.
٣٨- المصدر نفسه، :٥٥ ، الحديث ١.
٣٩- التفسير من المصدر.
٤٠-- كذا، ولعلّ الصحيح: (وقد). والأمر سهل.
٤١- الكافي ٦: ٥٥، الحديث٣.
٤٢- المصدر نفسه، :٦٥ ، الحديث ٦.
٤٣- الخصال، ص٢٢٩، باب الخمسة، الحديث٧١.
٤٤- التحريم: ٤-٥.
٤٥- قال السيّد الميلانّي في الأحاديث المقلوبة: ومن الأحاديث المرويّة عن رسول الله ﷺ والثابتة عنه لدى المسلمين في فضل الإمامين السبطين الطاهرين، الحسن والحسين هو قوله ﷺ: ((الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة)).
وقد رواه من أهل السنّة علماء ومحدّثون لا يحصى عددهم كثرة.
فقد أخرج الترمذيّ بسنده عن أبي سعيد الخدريّ، قال: قال رسول الله ﷺ: ((الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة)). سنن الترمذيّ:٥/ ٣٢١.
وأخرج ابن ماجة بسنده عن عبد الله بن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: ((الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة، وأبوهما خير منهما)). سنن ابن ماجة:١/ ٤٤.
وأخرج أحمد بإسناده عن حذيفة، قال: قال رسول الله ﷺ: ((ملك من الملائكة لم يهبط إلى الأرض قبل هذه الليلة، فاستأذن ربه أن يسلّم عَلَيَّ ويبشّرني أنّ الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة، وأنّ فاطمة سيّدة نساء أهل الجنّة)). مسند أحمد:٣/ ٣.

وأخرج الحاكم بسنده عن حذيفة عنه صلى الله عليه وآله قال: ((أتاني جبرئيل فقال: إنّ الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة)). ثمّ قال لي رسول الله: ((غفر الله لك ولأمّك يا حذيفة)). المستدرك:٣/ ٣٨١، وصحّحه الذهبيّ في تلخيصه.

ومن رواته أيضاً ابن حبّان في صحيحه كما في موارد الظمآن: ٥٥١. والنسائيّ في خصائص أمير المؤمنين: ٣٦. والخطيب البغداديّ في تاريخ بغداد ٩ / ٢٣١. وأبو نعيم في حلية الأولياء ٤ / ١٩٠. وابن حجر العسقلانيّ في الإصابة ١ / ٢٦٦. وابن الأثير في أسد الغابة ٥ / ٥٧٤.

وذكره الزركشيّ في التذكرة في الأحاديث المشتهرة، والسيوطيّ في الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة، والسخاويّ في المقاصد الحسنة في الأحاديث المشتهرة على الألسنة، بل أورده الزبيديّ في كتابه لقط اللآلي المتناثرة في الأحاديث المتواترة، [الأحاديث المقلوبة في مناقب الصحابة – السيّد علي الميلاني – الصفحة ٢٧-٢٩]

٤٦- الكافي ٦: ٥٥، الحديث٤

٤٧- المصدر نفسه، :٤٥ ، الحديث ٢.

٤٨- المصدر نفسه، الحديث١.

المصادر والمراجع

* الأحاديث المقلوبة في مناقب الصحابة، آية الله السيد علي الحسينيّ الميلانيّ، نشر: الحقائق، المطبعة: وفا، الطبعة الرابعة، سنة ١٤٣٠هـ.

* البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشيّ البصريّ ثمّ الدمشقيّ (المتوفّى: ٧٧٤هـ)، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦م.

* ترجمة الإمام الحسن عليه السلام من تاريخ مدينة دمشق، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الدمشقيّ المعروف بابن عساكر (المتوفّى: ٥٧١ هـ)، بتحقيق: الشيخ محمد باقر المحموديّ، مؤسّسة المحموديّ للطباعة والنشر.

* الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة، الشيخ يوسف البحرانيّ (المتوفّى: ١١٨٦هـ)، بتحقيق: العلّامة محمد تقي الايروانيّ (قده)، الناشر: مؤسّسة النشر الاسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين بقم المقدّسة، سنة ١٤١٤هـ.

* الخصال، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمّيّ الصدوق (المتوفى ٣٨١ هـ)، صحّحه وعلّق عليه: علي أكبر الغفاريّ، منشورات: جماعة المدرّسين في الحوزة العلميّة - قم المقدّسة، سنة ١٤٠٣هـ.

* خلاصة عبقات الأنوار في إمامة الأئمّة الأطهار، للسيّد علي الحسينيّ الميلانيّ (قدّه)، الناشر: مؤسّسة البعثة قسم الدراسات الاسلاميّة - طهران، طبع سنة ١٤٠٦هـ.

* دروس تمهيديّة في القواعد الرجاليّة، الشيخ باقر الايروانيّ (دام ظلّه)، مؤسّسة انتشار مدين - قم، سنة ١٤٢٦هـ

* الكافي، أبو جعفر محمد بن يعقوب الكلينيّ (المتوفّى: ٣٢٩هـ)، صحّحه وعلّق عليه: علي أكبر غفّاريّ، الناشر: دار الكتب الاسلاميّة - طهران، الطبعة الثالثة، سنة ١٣٨٨هـ.

* الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبيّ (المتوفى: ٤٢٧هـ)، تحقيق: أبو محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعديّ، الناشر: دار إحياء التراث العربيّ، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ.

* المبسوط، أبو بكر محمد بن أحمد السرخسيّ (المتوفّى: ٤٨٣هـ) الناشر: دار المعرفة - بيروت، سنة ١٤١٤هـ.

* المحاسن، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن خالد البرقيّ (المتوفّى: ٢٧٤ هـ أو ٢٨٠ هـ)، المحرّر: جلال الدين المحدّث، الناشر: دار الكتب الاسلاميّة - قم، سنة ١٣٧١هـ.

* مختار الصحاح، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر الرازيّ (المتوفّى: ٦٦٦هـ) المحقّق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصريّة - الدار النموذجيّة، بيروت - صيدا، الطبعة الخامسة، سنة ١٤٢٠هـ.

* مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول، للعلّامة محمد باقر المجلسيّ (المتوفّى: ١١١١هـ)، الناشر: دار الكتب الإسلاميّة - طهران، الطبعة الثانية، سنة ١٤٠٤هـ.

* المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أبو العبّاس أحمد بن محمد بن علي الفيوميّ (المتوفّى: نحو ٧٧٠هـ) الناشر: المكتبة العلميّة - بيروت.

* مناقب آل أبي طالب، أبو عبد الله محمد بن علي بن شهر آشوب (المتوفّى: ٥٨٨ هـ)، قام بتصحيحه وشرحه ومقابلته: لجنة من أساتذة النجف الأشرف، طبع في المطبعة الحيدريّة في النجف، سنة ١٣٧٥هـ.

* وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العبّاس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلّكان البرمكيّ الإربليّ (المتوفّى: ٦٨١هـ) المحقّق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر - بيروت

قواعد في السلوك السياسيّ والاجتماعيّ

عند الإمام الحسن المجتبى عليه السلام

السيد إياد الشريفيّ

ملخص البحث

وفي هذا البحث حاولت تسليط الضوء على جانب من قواعد سلوكيّة سلكها الإمام الحسن المجتبى عليه السلام على وفق ظرفه السياسيّ والاجتماعيّ آنذاك، ومعالجة لذلك الظرف وللتداخل وعدم وجود الحدود الفاصلة بين السلوك السياسيّ والسلوك الاجتماعيّ كان المقصود من قواعد السلوك السياسيّ هو ما يتعلّق بالأحكام السلطانيّة التي مارسها الإمام الحسن عليه السلام بوصفه زعيماً ساس أمر الأمّة، وأمّا ما يشكّل مجموعة التصرّفات والسلوكيّات ذات التأثير في أفراد المجتمع بعيداً عن الطابع السلطانيّ سماه البحث سلوكاً اجتماعيّاً، فكان البحث واقعاً على ثلاثة مطالب هي: المطلب الأول وهو مطلب تمهيديّ أبنت من خلاله مهمّة الإمام المعصوم عليه السلام وطبيعة سيرته بإيجاز، وأمّا المطلب الثاني فقد انعقد لبيان جانب مهمّ ومختصر من قواعد في السلوك السياسيّ عند الإمام الحسن المجتبى عليه السلام، كقاعدة تقديم الأهمّ على المهمّ، وقاعدة ترك تولية الأعلم موجب لتردّي حال الأمّة، وقاعدة إذا كان العداء لله فلا يمكن أن يكون الصلح للدنيا، وقاعدة شرط النجاح في مواجهة العدوّ تقديم المبادئ على المصالح الذاتيّة، وقاعدة الإمام لا يُكره الأمّة على أمر طاعة الله، أمّا المطلب الثالث فقد أوجزت فيه جانباً أساسياً من قواعد السلوك الاجتماعيّ عند الإمام الحسن السبط عليه السلام، كقاعدة التبيين للأمّة، والاقناع بالحكمة، وقاعدة الحلم الاستراتيجي الهادف، وقاعدة خير ما بذلت من مالك ما وقيت به عرضك، وقاعدة الرجوع والتبعيّة لابدّ أن يكون بالقول والعمل ولا يكفي القول وحده.

المقدمة

كثيراً ما تكون الأفكار والمفاهيم والرؤى جميلة جذّابة تستهوي النفوس وتهفو إليها القلوب وتجتذب لها العقول، ولا سيما إذا كانت إلهيّة ربّانيّة منسجمة مع الفطرة البشريّة التي فطر الله الناس عليها.

لكن عندما يحاول العاملون تنزيل تلك والمفاهيم والأفكار إلى ميدان العمل وحيّز التطبيق تصطدم بعقبات الواقع المعيش من الأنا وتزاحم مصالح الأشخاص والفئات والجماعات ذات البعد الضيّق المحدود، فيقع الخلاف والاختلاف، ويظهر التناقض بين النظريّة وتطبيقها، فتأتي النتائج عكسيّة والمردودات مخالفة للتخطيط.

إنّ الله جلّ وعلا لم يرد لشرعه الحنيف أنْ يمرّ بهذا الشرخ القائم بين النظريّة وتطبيقها، بل أراد للمفاهيم والأفكار النظريّة المتكاملة أنْ تحكى حكاية عمليّة نازلة على أرض الواقع بدقّة متناهية كي يتأسّى بها ويتمثّلها المؤمنون بها، فتكون حركة العاملين الذين يريدون السير على وفق رؤى النظريّة الإلهيّة تحمل الروح المؤثّرة بالنفوس المفطورة على حبّ الإيمان الذي زيّنه الله في قلوب الناس، ولأجل ذلك اختار الله تعالى أفذاذاً كُمّلاً من بني الإنسان لا يتكلّفون حكاية الأفكار الربّانيّة وصياغة مفاهيمها بصورة عمليّة صادقة وهادفة، ولا يطلبون بها إلّا وجه الله تعالى، فيقع على أيديهم التطبيق الحيّ والترجمة العمليّة المتكاملة لتلك النظريّة، فتكون الأعمال مكمّلة للأقوال والمفاهيم ومنسجمة معها، أولئك الأفذاذ هم الأنبياء والأئمّة المعصومون عليهم السلام.

كلّ ذلك لئلّا يتعلّل العاملون من بعدهم بعدم إمكانيّة تطبيق تلك النظريّة أو صعوبة مجاراة مفاهيمها للواقع.

وفي هذا البحث سأحاول تسليط الضوء على جانبٍ من قواعد سلوكيّة سلكها الإمام الحسن المجتبى (صلوات الله وسلامه عليه) وأظهرها في سيرته على وفق ما عاشه من ظرف سياسيّ واجتماعيّ معيّن يفرض نوعاً خاصّاً من العلاجات المنسجمة مع روح الشرع الحنيف.

ثمّ إنّه لا يخفى التداخل وعدم الحدود الفاصلة والحقيقيّة بين السلوك السياسيّ والسلوك الاجتماعيّ؛ ذلك أنّ كثيراً ما يكون جانب مهمّ من الأفعال الاجتماعيّة ذات مغزى سياسيّ

وبالعكس، ولكي لا يقع هذا الخلط بين المفهومين خلال هذا البحث فإنّه كان المقصود من قواعد السلوك السياسيّ هو ما يتعلّق بولاية أمر الأمّة من اللحاظ القياديّ والسلطانيّ، وهو النشاطات والفاعليّات التي مارسها الإمام الحسن عليه السلام بوصفه زعيماً وقائداً قد ساس أمر الأمّة ورعى مصالحها وحاول نظم أمرها سواء في ظرف كان فيه متربّعاً على عرش السلطة والزعامة السياسيّة ومالكاً لقراراتها أو بعيداً عنها يمثّل محور المعارضة الهادفة والحقّة، بل حتّى الأقوال التي ذكرها بهذا الخصوص لبيان معنىً ما وتحديد مفهوم معيّن.

وأمّا ما يشكّل مجموعة التصرّفات والسلوكيّات ذات التأثير في أفراد المجتمع بعيداً عن سلوكيات الطابع السياسيّ والسلطانيّ ولو بشكلها المنظور فهو ما أطلق عليه البحث سلوكاً اجتماعيّاً، على أنّ هاتين الجنبتين مصبّهما واحد وغايتهما عند الإمام عليه السلام واحدة وهي صلاح الأمّة وأفرادها طلباً لوجه الله تعالى وتعبّداً له وامتثالاً لأوامره وتحقيقاً للخلافة الحقّة التي جعلها الله تعالى في بني آدم عليهم السلام، ومنسجماً مع الدور الذي فرضه الله لهم عليهم السلام، فهم ساسة العباد وأركان البلاد.

وقد جعلت هذا البحث على مقدّمة سلفت وثلاثة مطالب، وهي:

المطلب الأوّل: وهو مطلب تمهيديّ، أبنت من خلاله مهمّة الإمام المعصوم عليه السلام وطبيعة سيرته بإيجاز.

المطلب الثاني: وانعقد هذا المطلب لبيان جانب مهمّ ومختصر من قواعد في السلوك السياسيّ عند الإمام الحسن المجتبى عليه السلام.

المطلب الثالث: وفيه أوجزت جانباً أساسيّاً من قواعد السلوك الاجتماعيّ عند الإمام الحسن السبط عليه السلام.

ومنه تعالى أستمدّ المدد والعون والتوفيق؛ إذ ﴿**وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ**﴾[1].

المطلب الأوّل : مهمّة الإمام المعصوم عليه السلام وطبيعة سيرته

تشكّل شريعة السماء على وفق المنظور الإسلاميّ ومباني العقل القاعدتين المطلوبتين الأساسيّتين لسيرة الناس عموماً والإمام المعصوم عليه السلام خصوصاً، وكلّما كان الانسان أكثر تمسّكاً بالشرع الحنيف كان الأقرب من الله والأكرم عنده حيث ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ**﴾[٢]، فعلى الناس الانقياد للشريعة الغرّاء وطاعتها، فالمطلوب إنّما هو تفعيل تلك الشريعة وتطبيق تعاليمها بوصفها الأنفع والأصلح لهذا الإنسان ولحلّ عموم مشاكله، فهي من جعل الخالق الحكيم العليم.

ولأن الناس عادة قاصرين عن معرفة تفاصيل أحكام الشرع الحنيف، فقد نصب لهم المولى جلّ وعلا من يوضّح لهم ويفصّل تلك الأحكام ويحكيها بصورتها العمليّة بحسب الزمان والمكان ومقتضيات الظرف، والمنصّبون لذلك هم الأئمّة الهداة عليهم السلام.

ولأن الناس لا يمكنهم الاطّلاع على مكامن النفوس وقابليّاتها وقدراتها ولا على من له تمام الأهليّة في حكاية مفاهيم الشريعة كأطروحة هداية وترجمتها إلى واقع عمليّ، كان جعل الإمام وتنصيبه من مختصّات الله جلّ وعلا حصراً؛ فهو الأعلم بمكامن النفوس وقدراتها وخلوص نواياها وصدقها، ومن هنا جاء قوله تعالى في نبيّه إبراهيم عليه السلام بعد أن ابتلاه واختبره ﴿**وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**﴾[٣] وقوله تعالى ﴿ **وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لما صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ**﴾[٤].

وقد جعل المولى (جلّ وعلا) جملة خصائص وصفات تؤهّل الإمام عليه السلام للقيام بمهمّة الهداية والبيان والتوضيح العمليّ فضلاً عن القوليّ، ومن تلك الخصائص الأساسيّة والمهمّة وفقاً لما ورد من نصوص الشريعة وعلى الخصوص ما جاء في جواب الإمام الحسين عليه السلام لأهل الكوفة إذ قال فيه: ((**فلعمري ما الإمام إلّا الحاكم بالكتاب، القائم بالقسط، الدائن بدين الحقّ، الحابس نفسه على ذات الله، والسلام**))[٥]، فالرواية تشير إلى جملة أمور هي:

أوّلاً: الإمام هو الحاكم بالكتاب

الكتاب هو القرآن الكريم الذي يمثّل الأطروحة المتكاملة والدستور المعصوم المفصّل لكلّ ما يحتاج إليه الناس، هذا الدستور الذي ما جاء إلّا لحفظ مصالح الناس في الدنيا والآخرة

ولهدايتهم من عمى الضلالة ؛ فـ((**إنّ الله عزّوجلّ لم يقبض نبيّه ﷺ حتّى أكمل له الدين وأنزل عليه القرآن فيه تبيان كلّ شيء، بيّن فيه الحلال والحرام، والحدود والأحكام، وجميع ما يحتاج إليه الناس كُملًا، فقال عزّوجلّ: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾**[٦]))[٧].

هذه الأطروحة المتكاملة لا يمكن إدراك كنهها وبيان المراد منها إلّا لمن ملك أداة التبيين والتوضيح والتفصيل بعد الاجمال وهو الذكر الذي لا يملكه إلّا النبيّ محمد وأهل بيته الكرام (صلوات الله عليهم أجمعين)، قال تعالى مخاطباً رسوله الكريم: ﴿**وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾[٨]، فظاهر الآية المباركة أنّ الذكر المنزّل إلى رسول الله ﷺ إنّما كان الهدف والغاية منه، وسبب إنزاله على رسول الله ﷺ هو التبيين للناس ما نزّل إليهم من المولى جلّ وعلا، هذا إذا قلنا أنّ اللام في لتبيّن هي للتعليل، أمّا لو قلنا إنّها للعاقبة فسيكون المعنى الظاهر من الآية المباركة هو لتكون عاقبة إنزال الذكر عليك يا رسول الله هي أن تبيّن للناس ما أنزل إليهم، فأداة تبيين ما نُزّل إليهم إنّما هو الذكر.

وكذا قال تعالى ﴿**فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**﴾[٩].

فيظهر من هذه الآية المباركة والآية السابقة أنّ الذكر من مختصّاتهم ﷺ؛ إذ أنّ القرآن الكريم يمثّل الكون التشريعيّ المطلق الذي لا تنتهي علومه ولا تنقضي عجائبه، ولا تفنى غرائبه، ولا يحيط بعمق معانيه ومعرفة مقاصده، ولا يدرك مكنونه إلّا أهل الذكر الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، والذين أحاطهم الله علماً بأسرار الكون المطلق، يقول أمير المؤمنين ﷺ: ((**أيّها الناس، سلوني قبل أن تفقدوني، فلأنا بطرق السماء أعلم منّي بطرق الأرض**))[١٠]، فقد اجتمع عندهم العلم بالكون المادّيّ ومعارفه إلى جنب العلم بالكون التشريعيّ وبدائعه، ومن هنا كان ما يصدر عنهم من تشريع متوافقاً تماماً مع حقائق الكون المادّيّ لا يخالفه ولا يضادّه.

ثانياً: القائم بالقسط

القسط: هو العدل، وكون الإمام قائماً بالقسط يتضمّن وقوع أفعاله كلّها على السداد والصواب وموافقة الحكمة[١١]، فالعدالة هي اختيار الطريق الوسط والمستقيم، بمعزلٍ عن كلّ إفراط وتفريط وانحراف.

ثالثاً: الدائن بدين الحقّ

فإذا كان الإمام حاكماً بكتاب الله قائماً بالعدل والقسط، كان دائناً لله بدين الحقّ، فهل دين الحقّ إلّا الحكم بالكتاب الذي فيه تفصيل كلّ شيء، وإقامة العدل، ولا بدّ من الإشارة إلى أنّ القدرات الكامنة في نفس الإمام المعصوم إنّما تتجلّى عند حُلكة الظروف وانسداد طرق التشخيص عند الأمّة، عند ذلك تتجلّى قدرة التشريع وحكمته وحاكميّته على يد الإمام المعصوم، فيكون المنجّي للأمّة من الهلكة.

رابعاً: الإمام حابس نفسه على ذات الله

تأسيساً على ما سبق من الخصال، يكون الإمام عليه السلام حابساً نفسه على ذات الله في كلّ حركاته وسكناته، فليس له بعد الله هدف أو غاية، فيكون الأشدّ لصوقا بالله في أحلك الظروف وأكثرها تعقيداً ناكراً بذلك لذاته فضلاً عن غيره أمام إرادة الله تعالى، وبذلك يتمّ تفسير قول رسول الله صلى الله عليه وآله بحقّ ضربة أمير المؤمنين عليه السلام يوم الخندق؛ إذ قال: ((**لضربةُ علي خير من عبادة الثقلين**)) ؛ لأنّها جاءت خالصة لله مجرّدة من كلّ دخالة، فكانت تعادل عبادة الثقلين أو خير منها؛ لما فيها من خلوص النيّة لله تعالى؛ ذلك أنّ أمير المؤمنين علياً عليه السلام لمّا أدرك عمرو بن عبد ودّ لم يعاجله بالقتل، ويبدو أنّه أخذ يجول حوله بعد أن قطع كلتا ساقيه بضربة واحدة، الأمر الذي دفع بأن يعتقد بأنه أوقع في الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وردّهم حذيفة بن اليمان ، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: ((مه يا حذيفة، فإنّ علياً سيذكر سبب وقفته))، ثمّ إنّه ضربه فلمّا جاء سأله النبيّ صلى الله عليه وآله عن ذلك فقال: ((**قد كان شتم أمّي وتفل في وجهي، فخشيت أن اضربه لحظّ نفسي، فتركته حتّى سكن ما بي ثمّ قتلته في الله**))[١٢].

وحينما أصحر الإمام الحسين عليه السلام بنفسه الشريفة وعياله هائماً في ذات الله تعالى، كساه الله من نوره حتّى أنّ أحد الأعداء الحضور يصف الحال حينما صرخ صارخ البؤس مستبشراً بقتل الحسين عليه السلام مبشّراً أمير الضلال بذلك فيقول: (فخرجت بين الصفّين فوقفت عليه، وإنّه ليجود بنفسه، فوالله ما رأيت قط قتيلاً مضمّخاً بدمه أحسن منه ولا أنور وجهاً، ولقد شغلني نور وجهه وجمال هيبته عن الفكرة في قتله)[١٣].

خامساً: العمل بالسنّة وإحياؤها

السنّة تشكّل الركن الثاني من أركان الشريعة بعد القرآن الكريم، ولا تقلّ أهمّيّة عنه في بيان الحكم الشرعيّ وتثبيته في نفوس الأمّة، كما أنّ السنّة هي الموضّحة للكتاب والمبيّنة له والمفصّلة لمجمله، ومهمّة الإمام عليه السلام كما أنّها الحكم بالكتاب والعمل على وفقه كذلك على الإمام أن يقوم بإحياء السنّة وإماتة البدعة التي تتسرّب لمرافق الحياة بعد تركها، فتكون نتيجة تعطيل السنّة هلاك الأمّة كما يقول أمير المؤمنين: عليه السلام[١٤].

ولهذا كان كلّ همّ أئمّتنا الكرام عليهم السلام إقامة السنّة وتأكيد أهمّيّتها كما نراه جليّاً واضحاً في سيرتهم المباركة، وهو مدلول الكثير من الروايات الواردة عنهم (صلوات الله عليهم أجمعين)، وممّا ورد في ذلك ما ذكر عن الإمام علي عليه السلام عندما نهى عثمان عن المتعة وأن يجمع الرجل بين الحجّ والعمرة، فلبّى أمير المؤمنين عليه السلام بحجّة وعمرة معاً فتساءل عثمان مخاطباً الإمام عليه السلام: أتفعلها وأنا أنهى عنها؟ فأجابه الإمام علي عليه السلام قائلاً: ((**لم أكن لأدع سنّة رسول الله صلى الله عليه وآله لأحدٍ من الناس**))[١٥].

وكذا ورد في خطاب أمير المؤمنين عليه السلام لعثمان قوله: ((**فاعلم أنّ أفضل عباد الله عند الله إمام عادل هُديَ وهَدى، فأقام سنّة معلومة وأمات بدعة مجهولة... وأنّ شرّ الناس عند الله إمام جائر ضَلّ و ضُلّ به، فأمات سنّة معلومة وأحيا بدعة متروكة**))[١٦].

ومن ذلك ما قاله الإمام الحسن عليه السلام معرضاً بمعاوية وبحضوره: ((**إنّما الخليفة من سار بكتاب الله وسنّة رسوله، ليس الخليفة من سار بالجور، وعطّل السنن، واتّخذ الدنيا أباً وأمّاً، ملك ملكاً متّع فيه قليلًا، ثمّ تنقطع لذّته، وتبقى تبعته**))[١٧].

وغير ذلك الكثير من النصوص الواردة عنهم صلوات الله عليهم والتي تؤكّد أنّ من مهامّ الإمام المعصوم إحياء السنّة النبويّة وإقامتها.

المطلب الثاني: قواعد في السلوك السياسيّ عند الإمام الحسن عليه السلام

لقد سلك الإمام الحسن عليه السلام جملة من قواعد السلوك في المنحى السياسيّ وإدارة أمور الأمّة بما ينسجم وروح الشريعة، بل أنّ سلوك الإمام الحسن عليه السلام الذي يمثّل فعله سنّة معصوميّة هي

جزء من الشريعة وفقاً للفهم الشيعيّ الإمام يّ الاثني عشريّ، وكذا قوله وتقريره[١٨].

وفي هذا المطلب سوف أحاول تحرّي جملة ممّا حكاه الإمام الحسن عليه السلام من سيرة عمليّة لمفاهيم الشريعة، وكذا ما أشار إليه من أقوال في المعترك السياسيّ الذي شكّل جانباً مهمّاً من حياة الإمام الحسن المجتبى عليه السلام، وأهمّ القواعد المستوحاة من ذلك هي ما يأتي:

القاعدة الأولى: تقديم الأهمّ على المهمّ

تقديم الأهمّ على المهمّ عند دوران الأمر بين أحدهما قاعدة من مقتضيات الفطرة تطابقت عليها آراء العقلاء، وإجماع الفقهاء[١٩] وهي من المرتكزات والمسلَّمات عند العقلاء من المتشّرعة وغيرهم[٢٠]، فلا تفتقر إلى دليل أو برهان كما لا يخفى، فيقدّم متعلّق الواجب الأهمّ على متعلّقه المهمّ ومتعلّق المندوب الأهمّ على متعلّقه المهمّ، فهذه القاعدة تُعّدُ الأساس الذي يُنتهى إليه في ترجيح الأحكام في باب التزاحم[٢١]، ولها تطبيقات كثيرة في أبواب الفقه سواء منها العبادات أو المعاملات.

وهذا الأمر من الواضحات التي لا كلام فيها، إنّما يقع الكلام في تحديد الأهمّ والمهمّ ومصاديق كلّ منهما خارجاً؛ فكثيراً ما تخفى وجوه المصالح والمفاسد على العباد إلّا الأولياء الذين أراد الله لهم الاطّلاع ومعرفة ملاكات الأحكام.

وقد تجلّى تقديم الأهمّ على المهمّ في سيرة الإمام الحسن المجتبى عليه السلام بصورة واضحة في أمر المهادنة مع معاوية بن أبي سفيان، فمسألة الصلح تحمل الكثير من الأهداف ذات البعد الاستراتيجيّ التي ما كان يمكن أن يدركها إلّا من نظر بنور الله في مستقبل الأيّام، فحكت حلماً وصبراً وتخطيطاً استراتيجيّاً وقوّة ذاتٍ وصلابةَ نفسٍ كان يتمتّع بها الإمام المجتبى صلوات الله وسلامه عليه؛ ذلك أنّ القضاء على الإسلام وطمس معالمه وضرب ركائزه الأساسيّة كان من أهمّ متبنّيات البرنامج الأمويّ وحزبه الماسك بالسلطة الشموليّة في الشام وعلى رأسهم معاوية ابن أبي سفيان، وقد صرّح معاوية بهذا المعنى لمن يثق بهم في أكثر من مورد، فهذا مطرف بن المغيرة بن شعبة يحدّث أنّه وَفَدَ مع أبيه المغيرة إلى معاوية؛ إذ كان أبوه يأتي معاوية يتحدّث معه ثمّ ينصرف إليه، فيذكر عقل معاوية معجباً ممّا يرى منه، لكنّه جاء ذات مرّة من عنده ليلة فأمسك عن العشاء، يقول : فرأيته مغتمّاً، فانتظرته ساعة، وظننت أنّه لشيء حدث فينا أو في

عملنا، فقلت له: ما لي أراك مغتمّاً منذ الليلة؟ قال: يا بنيّ، إنّي جئت من عند أخبث الناس، قلت له: وما ذاك؟ قال: قلت له وقد خلوت به: إنّك قد بلغت أَمَلَكَ يا أمير المؤمنين، فلو أظهرت عدْلًا وبسطت خيراً فإنّك قد كبرت، ولو نظرت إلى إخوتك من بني هاشم فوصلت أرحامهم فو الله ما عندهم اليوم شيء تخافه، فقال لي: هيهات هيهات!! مَلكَ أخو تيمٍ فعدل وفعل ما فعل، فو الله ما عدا أنْ هلك فهلك ذكره، إلّا أنْ يقول قائل: أبو بكر، ثمّ ملك أخو عَدِيٍ، فاجتهد وشمّر عشر سنين، فوالله ماعدا أن هلك فهلك ذكره، إلّا أن يقول قائل: عمر، ثمّ ملك أخونا عثمان فملك رجلٌ لم يكن أحد في مثل نسبه، فعمل ما عمل وعمل به فوالله ما عدا أن هلك فهلك ذكره، وذكر ما فعلَ به، وأنّ أخا هاشم يُصْرَخُ به في كلّ يوم خمس مرّات: أشهد أنّ محمداً رسول الله، فأيّ أمل يبقى مع هذا؟ لا أمَّ لك، والله إلّا دفناً دفناً[٢٢].

وقد بانت الثمار الخبيثة لذلك الغرس اللئيم بشهادة بعض مخضرمي تلك المرحلة من حياة الأمّة، فهذا أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ في سنة ثمانين وأيّام الحجّاج الثقفيّ ينفي وجود أيّ شيء كان على عهد رسول الله ﷺ فيقول: ما أعرف اليوم شيئاً كان على عهد رسول الله صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم إلّا قد غيّر إلّا شهادة أنْ لا إله إلّا الله، فقيل له: فالصلاة يا أبا حمزة؟ قال: أو ليس قد أحدثوا في الصلاة ما علمتم[٢٣].

فهكذا كان كلّ همّة معاوية بن أبي سفيان وحزبه الأمويّ دفن الشريعة ودفن ذكر رسول الله صلّى عليه وآله، وأخذ يصرّح بهذا الهدف وهذه الغاية لخواصّه، وكان ممتعضاً جدّاً من دوام ذكر رسول الله محمد ﷺ في الأذان، مضافاً إلى التأسيس لسبّ أمير المؤمنين عليه السلام على منابر المسلمين، بل وبناء المساجد تأسيساً على ذلك وتثبيتاً لهذا المنهج، فقد بنى عبيد الله بن زياد (لعنه الله) مساجد بالبصرة تقوم على بغض علي عليه السلام والوقيعة فيه، وعدّ أربعة مساجد كان بنيانها على هذا الأساس[٢٤].

فكان النيل من أمير المؤمنين عليه السلام وسبّه والوقيعة فيه سنّة وشجت عليها أصولهم وتآزرت عليها فروعهم يُختتم بها خطب الجمعات، تصريحاً لا تلميحاً من على منابر المسلمين، فكان معاوية (لعنه الله) يقول في آخر خطبة الجمعة متجرئاً على الله ورسوله: اللهمّ إنّ أبا تراب ألحد في دينك، وصدّ عن سبيلك فالعنه لعناً وبيلاً، وعذّبه عذاباً أليماً وكتب بذلك إلى الآفاق.

وكانت هذه الكلمات يُصّرح بها على المنابر إلى خلافة عمر بن عبد العزيز، حتّى أنّ خالد ابن عبد الله القسريّ أمير العراق في خلافة هشام كان يلعن أمير المؤمنين علياً عليه السلام على المنبر صراحة مفتخراً بصلفه وجراءته فيقول: اللهم العن علي بن أبي طالب بن عبد المطّلب بن هاشم، صهر رسول الله صلى الله عليه وآله على ابنته وأبا الحسن والحسين! ثمّ يقبل على الناس، فيقول هل كنّيت! فبلغ المقام من الاستنكار في نفوس البعض من بني أميّة حتّى أنّ قوماً منهم قالوا لمعاوية: إنّك قد بلغت ما أملت، فلو كففت عن لعن هذا الرجل! فقال: لا والله حتّى يربو عليه الصغير، ويهرم عليه الكبير، ولا يذكر له ذاكر فضلًا !))[٢٥].

ناهيك عن وضع الأحاديث كذباً على رسول الله صلى الله عليه وآله وتحريفاً للدين الحنيف، فهذا أبو هريرة وضع من الأحاديث التي لم تقف عند الطعن في الإمام علي عليه السلام، بل تعدّى ذلك إلى وضع أحاديث ترفع من شأن آل أبي العاص عامّة ومعاوية خاصّة[٢٦].

لهذا وغيره راح الإمام الحسن عليه السلام يواجه هذا البرنامج الضلاليّ الذي اجتهد من خلاله أعداء الله للقضاء على الإسلام وفكر الشريعة المقدّسة وإعادتها جاهليّة جهلاء كما كانت، فكان منه عليه السلام ما يلي:

١-اسقاط العلّة التي توهم أنّ هناك تنافساً على سلطة دنيويّة

ففي خبر المغيرة الذي مرّ آنفاً دلالة واضحة على أنّ خطوة الصلح التي خطاها الإمام الحسن المجتبى عليه السلام وإن كانت بحسب ظاهرها تراجع عن الموقع القياديّ وعن الزعامة السياسيّة للأمّة، لكنّها بحسب الواقع كانت خطوة جريئة إلى الأمام لكشف زيف معاوية وحزبه حزب الشيطان إلى مقرّبيه والمستفيدين من حكومته فضلاً عن غيرهم.

فواحدة من أهمّ غايات الصلح إسقاط المبرّرات التي تدعو الحزب الأمويّ عامّة ومعاوية خاصّة للنيل من حزب الله المتمثّلين بآل البيت عليهم السلام وشيعتهم.

وقد أبان الإمام الحسن عليه السلام لخطوته المباركة أكثر من علّة وسبب كاشفاً لمحبّيه وأتباعه بعض الأوجه وبحسب ما يقتضيه المقام وحال المستفهم والسائل كما سيتّضح من خلال طيّات البحث.

٢-بيان منزلة أهل البيت عليهم السلام .

إنّ الركيزة الأساس بعد القرآن الكريم كانت وما زالت وستبقى متمثّلة بالعترة الطاهرة عليهم السلام، والإمام الحسن عليه السلام ما ترك فرصة يمكن معها التصريح أو التلميح بمنزلة أهل البيت عليهم السلام في الشريعة إلّا واستثمرها لبيان تلك المنزلة وتأكيدها في جميع المناسبات المؤلمة وغيرها، ففي صبيحة استشهاد أمير المؤمنين عليه السلام أكّد منزلة أهل البيت عليهم السلام وأنّهم المرتبطون برسول الله صلى الله عليه وآله وهم عترته وأنّ مودتهم هي أجر رسول الله، فقال: ((ثمّ قال: أنا ابن البشير، أنا ابن النذير، أنا ابن الداعي إلى الله بإذنه، أنا ابن السراج المنير، أنا من أهل بيت أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، أنا من أهل بيت افترض الله حبّهم في كتابه فقال عزّوجلّ: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ الله غَفُورٌ شَكُورٌ﴾[٢٧]، فالحسنة مودّتنا أهل البيت))[٢٨].

وحينما اعترض سفيان بن أبي ليلى على الصلح وخاطب الإمام بقوله: السلام عليك يا مذلّ المؤمنين، وبعد أن أبان له الإمام وجه ذلك سأله عليه السلام عن السبب الذي جاء به فقال: حبّك، فلم يلمه الإمام الحسن عليه السلام على ما بدر منه، بل قال له: ((والله لا يحبّنا عبد أبداً ولو كان أسيراً في الديلم إلّا نفعه حبّنا، وأنّ حبّنا ليساقط الذنوب من بني آدم كما يساقط الريح الورق من الشجر))[٢٩].

٣- بيان أن أهل البيت عليهم السلام هم المعوّل عليهم في تفسير القرآن

لمّا كان أئمّة أهل البيت عليهم السلام هم أهل الذكر الذين أمر الله تعالى المسلمين بالرجوع إليهم وسؤالهم عمّا هو مشكل عليهم وهم العارفون بكتاب الله تعالى، كان الإمام الحسن المجتبى عليه السلام كثيراً ما يؤكّد هذا المعنى ويبيّنه في كلماته، فقد خطب الناس بعد البيعة له بالأمر فقال: ((نحن حزب الله الغالبون، وعترة رسوله الأقربون، وأهل بيته الطيّبون الطاهرون، وأحد الثقلين اللذين خلّفهما رسول الله صلى الله عليه وآله في أمّته، والتالي كتاب الله فيه تفصيل كلّ شيء، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فالمعوّل علينا في تفسيره لا نتظنّى تأويله، بل نتيقّن حقائقه، فأطيعونا فإنّ طاعتنا مفروضة؛ إذ كانت بطاعة الله عزّوجلّ ورسوله مقرونة، قال الله عزّوجلّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ﴾[٣٠]، ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾[٣١] ... الخ))[٣٢].

٤- تبني السلوك الإسلامي في مقابل التكبّر والطغيان

ويتمثّل ذلك في أمور كثيرة منها: جلوسه على باب داره تواضعاً وحضوراً بين أوساط الأمّة، ومنها: الحجّ ماشياً حتّى كانت سنّة منه (صلوات الله وسلامه عليه)؛ إذ حجّ خمساً وعشرين حجّة ماشياً وأنّ النجائب لتقاد معه[٣٣]، يقول محمد بن إسحاق واصفاً الحال: ما بلغ أحد من الشرف بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ما بلغ الحسن بن علي، كان يبسط له على باب داره فإذا خرج وجلس انقطع الطريق فما مرّ أحد من خلق الله إجلالاً له، فإذا علم قام ودخل بيته فمرّ الناس، ولقد رأيته في طريق مكّة نزل عن راحلته فمشى، فما من خلق الله أحد إلّا نزل ومشى، حتّى رأيت سعد ابن أبي وقّاص قد نزل ومشى إلى جنبه[٣٤].

هذا الخلق والشرف تمنّاه معاوية لنفسه يوم أصيب ورأى قرب الأجل وحلول ساعة الرحيل والفراق، وأيقن العذاب الأبديّ وجزاء أعمال السوء كما نقل عنه ذلك عبد الله بن عباس إذ قال: (ما آسي على شيء إلّا على أن أحجّ ماشياً)[٣٥].

القاعدة الثانية: ترك تولية الأعلم موجب لتردّي حال الأمّة

العلم ركيزة أولى وأساسيّة من ركائز الإيمان والعمل، فلا قيمة للعمل من دون علم، وسياسة الأمّة وتدبير أمرها ورعاية مصالحها داخليّاً وخارجيّاً، وصيانتها من غوائل الأعداء وكيدهم ومكرهم والنظر في عواقب الأمور بعين البصيرة يعدّ من أهمّ الأعمال وأدقّها للنهوض بواقع الناس، ولا تدار تلك الأمور بالجهل وقلّة المعرفة، بل لابدّ أن يكون ولاة أمرها من أهل البصيرة والعلم والمعرفة، لئلّا تكون تلك الأمّة في معرض الانهيار: ((**فَإِنَّ الْعَامِلَ بِغَيْرِ عِلْمٍ كَالسَّائِرِ عَلَى غَيْرِ طَرِيقٍ - فَلَا يَزِيدُهُ بُعْدُهُ عَنِ الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ إِلَّا بُعْداً مِنْ حَاجَتِهِ - وَالْعَامِلُ بِالْعِلْمِ كَالسَّائِرِ عَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ - فَلْيَنْظُرْ نَاظِرٌ أَسَائِرٌ هُوَ أَمْ رَاجِعٌ**))[٣٦].

ومن هنا كان النبيّ الأكرم ﷺ قد أكّد المعنى من خلال قوله: ((**ما ولت أمّة أمرها رجلاً وفيهم من هو أعلم منه إلّا لم يزل أمرهم يذهب سفالاً حتّى يرجعوا إلى ما تركوا**)).

فقد استشهد الإمام الحسن عليه السلام بهذا الحديث الشريف في كلام طويل له وبمحضر من معاوية وعلى رؤوس الأشهاد الذين جمعهم معاوية بعد خطبهم زاعماً أنّ الإمام الحسن بن علي عليهما السلام كان قد رآه أهلاً للخلافة دون نفسه الشريفة، فما إن فرغ من كلامه حتّى قام الإمام الحسن عليه السلام فحمد الله تعالى بما هو أهله، ثمّ ذكر المباهلة ومجيء رسول الله ﷺ من الأنفس بأمير المؤمنين، ومن الأبناء به وبالحسين، ومن النساء بأمّها فاطمة (صلوات الله عليهم أجمعين).

ثمّ ذكر الإمام عليه السلام آية التطهير وأنّ رسول الله ﷺ جمعهم في كساءٍ خيبريّ لأمّ سلمة (رضي الله عنها) فقال: ((**اللهمّ هؤلاء أهل بيتي وعترتي، فأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً**))، وما كان أحد في الكساء غيرهم عليهم السلام، وكذا قال عليه السلام: ((**لم يكن أحد يجنّب في المسجد ويولد له فيه إلّا النبيّ ﷺ وأبي ، تكرمة من الله (تعالى) لنا، وتفضيلاً منه لنا.**

وقد رأيتم مكان منزلنا من رسول الله ﷺ، وأمر بسدّ الأبواب فسدّها، وترك بابنا، فقيل له في ذلك، فقال: « أما إنّي لم أسدّها وأفتح بابه، ولكنّ الله (عزّ وجلّ) أمرني أن أسدّها وأفتح بابه».

وإنّ معاوية زعم لكم أنّي رأيته للخلافة أهلاً ولم أر نفسي لها أهلاً، فكذب معاوية، نحن أولى الناس بالناس في كتاب الله وعلى لسان نبيّه ﷺ، ولم نزل أهل البيت مظلومين منذ قبض الله تعالى نبيّه ﷺ، فالله بيننا وبين من ظلمنا حقّنا، وتوثّب على رقابنا، وحمل الناس علينا، ومنعنا سهمنا من الفيء، ومنع أمّنا ما جعل لها رسول الله ﷺ.

وأقسم بالله لو أنّ الناس بايعوا أبي حين فارقهم رسول الله ﷺ لأعطتهم السماء قطرها، والأرض بركتها، وما طمعت فيها يا معاوية، فلمّا خرجت من معدنها تنازعتها قريش بينها، فطمعت فيها الطلقاء وأبناء الطلقاء أنت وأصحابك ..... إلى أن قال عليه السلام: وإنّي قد بايعت هذا [٣٧] ﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾))[٣٨].

وفي هذا الموقف يحمّل الإمام الحسن عليه السلام الأمّة أنّها هي التي اختارت معاوية ومن على شاكلته سواء بصورة مباشرة أو بصورة غير مباشرة من خلال خذلانها للحقّ وأهله.

القاعدة الثالثة : إذا كان العداء لله فلا يمكن أن يكون الصلح للدنيا

وهذه القاعدة من أرصن قواعد العمل السياسيّ الهادف والمبدئيّ، ذلك أنّ السياسة بمنظور أهل بيت العصمة عليهم السلام ليست هي فنّ الممكن وإن خالف القيم والمبادئ، كما أنّها ليست مبتناة على مبدأ الغاية تبرّر الوسيلة، أو اقتناص الفرص وكسب المكاسب من أيّ وجه، بل السياسة بمنظورهم عليهم السلام حفظ مصالح الأمّة على أساس ثوابت الشرع الحنيف دون مخالفة الكتاب والسنّة، ومن هنا فإنّ من كان عدوّاً لهم على أساس إلهيّ ربّانيّ لا يمكن أن يصطلحوا معه لأمرٍ دنيويّ ومصالح آنيّة، لذلك رفض الإمام الحسن عليه السلام تزويج زينب بنت عبد الله بن جعفر من يزيد بن معاوية حينما أتاه مروان خاطباً وقد جمع الحيّين من بني هاشم وبني أميّة وعلى حكم أبيها في الصداق وقضاء دينه بالغاً ما بلغ، وعلى صلح الحيّين قاصداً بني هاشم وبني أميّة، موهماً ومتوهّماً أنّ يزيد بن معاوية كفو من لا كفو له، وزاعماً أنّه من يغبط بني هاشم بيزيد أكثر ممّن يغبط يزيد بهم، ويزيد ممّن يستسقي الغمام بوجهه، فكأنّه يصف رجلاً محجوباً عن الأنظار.

فتكلّم الإمام الحسن عليه السلام مجيباً بعد أن حمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: ((**أمّا ما ذكرت من حكم أبيها في الصداق، فإنّا لم نكن لنرغب عن سنّة رسول الله صلى الله عليه وآله في أهله وبناته، وأمّا قضاء دين أبيها فمتى قضت نساؤنا ديون آبائهنّ؟ وأمّا صلح الحيّين فإنّا عاديناكم لله وفي الله فلا نصالحكم للدنيا** ..... إلخ))[٣٩].

القاعدة الرابعة: شرط النجاح في مواجهة العدوّ تقديم المبادئ على المصالح الذاتيّة

لم ولن تُبنى الدول إذا كان القائمون عليها يفضّلون مصالحهم الذاتيّة أو الفئويّة الضيّقة على مصلحة الكيان والدولة؛ لأنّ الأهداف عند ذاك لا تكون عادلة وشمولية، بل ذاتيّة ومحدودة جدّاً والآفاق ضيّقة لا يُبصر منها إلّا ما كان يدور مدار النفس ومكاسبها، وهذا الأمر جارٍ في الدول والكيانات الوضعيّة، وهو واضح للعيان لا يحتاج إلى برهان.

أمّا في الدولة التي ترفع راية الهدى وتريد نشر قيم السماء والتي يدبّر أمورها المعصوم أو من يقوم مقامه، فلابدّ من أن تتلاشى المصالح الآنيّة والشخصيّة والفئويّة الضيّقة ويكون المدار

هو تحقيق مبادئ السماء وقيمها، فيكون الدين والآخرة أمام الدنيا لتشحذ بذلك الهمم وتكبر الأهداف، و يطلب العون والنصر من عند الله تعالى بالنوايا الصادقة والأهداف السامية، فعند ذاك يتحقّق وعد الله تعالى ﴿**وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ**﴾[٤٠].

هذه القاعدة ذكرها الإمام الحسن عليه السلام عندما قام خاطباً بعد استشهاد أبيه أمير المؤمنين عليه السلام فقال بعد حمد الله جلّ وعزّ: ((**وكنتم في مبتدئكم إلى صفّين ودينكم أمام دنياكم، فأصبحتم اليوم ودنياكم أمام دينكم، ألا وإنّا لكم كما كنّا ولستم لنا كما كنتم**))[٤١].

في إشارة منه عليه السلام إلى أنّ ما حقّقوه من انتصارات في أوائل صفّين ومواجهة العدوّ إنّما كان لصدق النوايا وكون مدار الحركة هو الله تعالى ومبادئ السماء وقيمها، فكان أن قاربوا النصر النهائيّ لولا الخديعة، لكنّهم عندما قدّموا مصالحهم ومكاسبهم على دينهم تقاعسوا لقاء العدوّ وجبنوا عن مواجهته على الرغم من وجود المعصوم عليه السلام بين ظهرانيّهم، فالقناعة والعزيمة إذا لم تكن راسخة في النفوس فإنّ وجود القائد الصالح والمعصوم لوحده لا يكفي .

القاعدة الخامسة: الإمام لا يُكرِه الأمّة على أمر طاعة الله

من القواعد العمليّة الجليّة والظاهرة في حركة أئمّة الهدى عليهم السلام عموماً والإمام الحسن المجتبى عليه السلام خصوصاً أنّهم لا يفرضون على الأمّة أن تطيع الله تعالى أو تطيعهم بالقهر والغلبة، بل الأمّة مختارة في ذلك ولها تمام الحرّيّة، يقول الإمام الحسن بن علي أمير المؤمنين (صلوات الله عليهما): ((**إِنّ اللهَ تَعَالَى لَا يطاع بإكراه وَلَا يعْصى بِغَلَبَة وَلم يهمل العباد من المملكة**))[٤٢].

نعم، إذا قام الإمام بالأمر وأصبح هو الحاكم الفعليّ فإنّه لا يتخلّى عن إقامة الحدود وإصلاح المعوج من أمور المسلمين، لكن إذا أطبقت الأمّة أو السواد الأعظم منها على أمرٍ فالإمام يعظ وينصح وعلى الأمّة الطاعة، غاية الأمر أنّ الأمّة إذا اختارت طريق الطاعة نالت رضا الله وربحت الدنيا والآخرة، وإلّا فإنّ الأمّة ستقع في طريق الزيغ والضلال والانحراف وتكون قد ظلمت نفسها بسوء اختيارها وعرّضت نفسها للبلاء والشدّة في الدنيا كما وصف الحال سلمان المحمّديّ عند عدم تولية القوم أميرَ المؤمنين عليه السلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله إذ قال: ((أما والله لو ولّيتموها علياً لأكلتم من فوقكم ومن تحت أرجلكم، فأبشروا بالبلاء وأقنطوا من الرخاء))[٤٣]،

فالطاعة للإمام العادل تؤتي أكلها خيراً وصلاحاً في الدنيا والآخرة، كما أنّ الطاعة للإمام غير العادل وغير المنصوب من الله توجب العذاب في الدنيا والآخرة، فقد روى الإمام الباقر عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله ما نصّه: ((**قال الله عزّ وجلّ: لأعذّبنّ كلّ رعيّة في الإسلام دانت بولاية إمام جائر ظالم ليس من الله وإن كانت الرعية عند الله بارّة تقيّة، ولأعفونّ عن كلّ رعيّة في الإسلام دانت بولاية كلّ إمام عادل من الله وإن كانت الرعيّة في أعمالها ظالمة مسيئة**))[٤٤].

وقد سار الإمام الحسن المجتبى عليه السلام بهذه السيرة في رعيّته ولم يكرههم على أمرٍ غير راغبين فيه وإن كان حقّاً صراحاً لا لبس فيه، فنراه عليه السلام يعرض على رعيّته أمر الصلح الذي دعا معاويةُ إليه موضّحاً حقيقة الأمر لهم، وأنّ المصالحة والمهادنة معه تقود إلى الذلّ والهوان وعدم النصفة فقال مخاطباً الناس: ((**ألا وإنّ معاوية دعانا إلى أمر ليس فيه عزّ ولا نصفة، فإنْ أردتم الموت رددناه عليه وحاكمناه إلى الله جلّ وعزّ بظبا السيوف، وإنْ أردتم الحياة قبلناه وأخذنا لكم الرضا**))، فناداه القوم من كلّ جانب: البقيّة البقيّة[٤٥]، كاشفين بذلك عن تخاذلهم وجبنهم وإخلادهم إلى الأرض ولم يجبرهم الإمام على المواجهة والحرب.

وقد وصف حالهم في محلّ آخر حينما قال لهم: ((**إنّا والله ما ثنانا عن أهل الشام شكّ ولا ندم وإنّما كنّا نقاتل أهل الشام بالسلامة والصبر، فشيّبت السلامة بالعداوة، والصبر بالجزع، وكنتم في مبتدئكم إلى صفّين ودينكم أمام دنياكم، فأصبحتم اليوم ودنياكم أمام دينكم، ألا وإنّا لكم كما كنّا ولستم لنا كما كنتم...**))[٤٦]، فلم يكن أمر الصلح والمهادنة من اختيار الإمام الحسن عليه السلام، بل كان في جانبه المهمّ من اختيار الأمّة وتخاذلها عن نصرة الحقّ، وكان لسان حال الإمام يحكيه قوله: ((**فأسأل الله أن لا يزيدنا في الدنيا الزائلة شيئاً ينقصنا به في الآخرة ممّا عنده من كرامته**))[٤٧].

المطلب الثالث : قواعد في السلوك الاجتماعيّ عند الإمام الحسن المجتبى عليه السلام

جاء في الحديث الشريف عن رسول الله صلى الله عليه وآله: ((**ولو كان الفضل شخصاً لكان الحسن عليه السلام**))[٤٨]، وفي نسخة ((العقل)) بدل ((الفضل)).

هذا الحديث الشريف يشكّل شهادة صدق من نبيّ الأمّة صلى الله عليه وآله بحقّ الإمام الحسن المجتبى عليه السلام، وهو تقرير حالة خلقيّة راسخة وقائمة في نفس الإمام الحسن السبط المجتبى عليه السلام

وأنّه يتمتّع بكلّ خصائص الفضل، فلو كان لتلك الخصائص والشمائل من صورة تتشخّص بها لكان ذلك هو الإمام الحسن المجتبى عليه السلام، والنبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله كما أضفى الشرعيّة على كلّ ما يفعله الإمام الحسن السبط عليه السلام في الجانب القياديّ وزعامة الأمّة، وأنه إمامٌ مفترض الطاعة بجعل من الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله حينما قال: ((**الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا**))[٤٩]، أضفى الشرعيّة وأسّس للفضل والفضيلة لكل ما يصدر من الإمام الحسن عليه السلام في الجانب الاجتماعيّ والأخلاقيّ بقوله السالف الذكر.

والمتتبّع لسيرة الإمام الحسن المجتبى عليه السلام وسلوكه الاجتماعيّ يجد أنّه منبع لكلّ فضيلة ومكرمة في هذا الجانب، وفيما يلي جملة من تلك القواعد التي سلكها الإمام الحسن المجتبى عليه السلام في أفعاله أو أشار إليها في أقواله وهي ما يأتي:

القاعدة الأولى: التبيين للأمّة والاقناع بالحكمة

إنّ تخلّي الإمام الحسن المجتبى عليه السلام عن الزعامة السياسيّة وقيادة الأمّة من موقع السلطة فتح الباب لكثير من التساؤلات والاستفسارات وعلى الخصوص من المحبّين المخلصين للإمام عليه السلام، الأمر الذي كان يستلزم رعاية الأمّة ببيان الوجه في تلك الخطوة ولم يترك الإمام المجتبى أمّة جدّه وأتباعه وشيعته يتكهّنون الأسباب الكامنة وراء ذلك، ولم يعتزل أمّته أو يعتكف أو يبدي امتعاضه من الناس وتذمّره من الحال، بل أنّ الإمام عليه السلام راح يكشف عن الدوافع لهذه الخطوة وبوجوه عدّة؛ ذلك لأنّ الحقوق الأساسيّة للأمّة على رعاتها النصيحة لهم وبيان وجوه التبدّل في الرأي وقبول النقد واحتواء الموقف وعدم التسرّع والغضب من اعتراض المعترضين رغم أنّ الرعاة معصومون، فرقابة الأُمّة على الجهاز الحاكم لا يختصّ بالولاية أو الحكومة والمحافظة التي يرأسها غير المعصوم، بل حتّى في جهاز المعصوم، وهي ليست بمعنى تتصادم مع العصمة.

فتجلّت هذه القاعدة في سيرة الإمام الحسن عليه السلام في مسألة الصلح مع معاوية بن أبي سفيان، وقد بيّن أسباب هذا الصلح بعدّة وجوه وبحسب السائل، وحتماً أنّ ذلك كان من باب مخاطبة الناس على قدر عقولهم، فمع سفيان بن أبي ليلى النهديّ الذي يعدّ من حوّاري الإمام الحسن عليه السلام[٥٠] ذكر الإمام عليه السلام وجهاً بيّن فيه المفروغيّة من هذا الأمر وأنّه كان مقدّراً من الله تعالى لا على نحو الجبر

طبعاً لكن لتخاذل الأمّة وخوائها في مواجهة عدوّه إذ قال الإمام الحسن عليه السلام في بيان أحد وجوه العلّة الداعية إلى المهادنة: ((**إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله رفع له ملك بني أميّة، فنظر إليهم يعلون منبره واحد فواحد، فشقّ ذلك عليه، فأنزل الله تعالى في ذلك قرآناً قال له: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ ۚ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾**))[٥١].

وفي رواية أخرى أبان علّة أخرى للمهادنة إذ قال عليه السلام: ((**إنّما هادنت حقناً للدماء وصيانتها وإشفاقاً على نفسي وأهلي والمخلصين من أصحابي**))[٥٢].

ولعلّ المقصود هو الإشفاق على كلّ هؤلاء من الأسر والتوهين والإذلال في إشارة إلى الخيانات التي حصلت من الكثير من جيشه.

ولعلّه هو المقصود بالأمر العظيم الذي أشار إليه الإمام الباقر عليه السلام في كلام وجّهه لسدير فقال: ((**إنّه أعلم بما صنع لولا ما صنع لكان أمر عظيم**))[٥٣].

وفي مقام آخر كان جواب الإمام بصورة أخرى، فعندما سأله أبو سعيد عقيصاً عن سبب مداهنته لمعاوية ومصالحته، والحال أنّ الحقّ له دونه وأنّ معاوية ضالّ باغ؟ فكان جواب الإمام عليه السلام أن قال: ((**يا أبا سعيد، ألستُ حجّة الله تعالى ذكره على خلقه وإماماً عليهم؟ قلت: بلى، قال: ألست الذي قال رسول الله صلى الله عليه وآله لي ولأخي الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا؟ قلت: بلى، قال: فأنا إذن إمام لو قمت، وأنا إمام لو قعدت، يا أبا سعيد، علّة مصالحتي لمعاوية علّة مصالحة رسول الله صلى الله عليه وآله لبني ضمرة وبني أشجع ولأهل مكّة حين انصرف من الحديبية، أولئك كفّار بالتنزيل ومعاوية وأصحابه كفّار بالتأويل، يا أبا سعيد إذا كنت إماماً من قبل الله تعالى ذكره لم يجب أن يسفّه رأيي فيما أتيته من مهادنة أو محاربة وإن كان وجه الحكمة فيما أتيته ملتبساً، ألا ترى الخضر عليه السلام لمّا خرق السفينة وقتل الغلام وأقام الجدار سخط موسى عليه السلام فعله؛ لاشتباه وجه الحكمة عليه حتّى أخبره فرضي هكذا أنا، سخطتم عليّ بجهلكم بوجه الحكمة فيه ولولا ما أتيت لما ترك من شيعتنا على وجه الأرض أحد إلاّ قتل**))[٥٤].

القاعدة الثانية: الحلم الاستراتيجيّ الهادف

قال الإمام علي عليه السلام: ((**ولا عزّ أرفع من الحلم**))[٥٥]، وعن الإمام الحسن: عليه السلام: ((**الحلم زينة**)[٥٦].

الحلم في واقعه خلق يكون نتاج قوّة كامنة في الجوانح تقود إلى الأناة والتثبّت في الأمور، فينتج توازناً واعتدالاً في تصرّف القوّة الغضبيّة وسيطرة عليها ظاهرة على الجوارح ويمنع قيامه وحصوله النفس الإنسانيّة من الوقوع في انفعال وجزع وطيش وعدم ضبط بسبب ما يرد عليها من المكروهات المؤذية لها، فلا تطيش تلك النفس في المؤاخذة ولا يصدر منها قول أو فعل مخالف للعقل والشرع والذوق واللياقة.

(وهو أرفع وأعظم ما يوجب العزّ في الآخرة برفع الدرجات وفي الدنيا عند الخلائق بوجوه الاعتبارات، ولذلك قال أمير المؤمنين عليه السلام: ((**الحلم عشيرة**))، يعني كما أنّ الرجل يتمنّع بالعشيرة يتمنّع بالحلم ويُوقّر لأجله)[٥٧].

وربّما يرى البعض أنّ الحلم من الضعف، والرجل القويّ الغيور لا يتحمّل إيذاء الناس، وقبول الظلم أفحش من الظلم، وربّما يُتمسّك بقول الله تعالى ﴿**فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ**﴾[٥٨]، وأنّ السكوت عن الظلم والرضا به يوجب تجرّي الظالم، فإذا علم أنَّ الناس مأمورون بالسكوت زاد في ظلمه، لكن في الواقع أنّ لكلّ من الحلم وطلب الحقّ مقاماً خاصّاً به، والقدر المسلّم أنّ الإنسان لا ينبغي له أن ينقاد لعواطفه المترتّبة على شهوته وغضبه بحيث يسلب عنه الاختيار ويجري وفقاً لما تقتضيه قوّته الواهمة، بل يجب أن يكون مالكاً لنفسه ساعة الغضب ويكون تصرّفه موجّهاً وغير عبثيّ، فيكون ردّه على المعتدي بمقتضى العقل لا لإرضاء عواطفه ومتابعة هواه وشهواته، فإنّه بهذا ينماز عن الحيوان، والحلم هو الذي يبقى في الآخرة؛ لأنّه من مقتضيات العقل، والعقل يبقى بجميع ما يقتضيه.

هذه الميزة النفسيّة العالية يتمتّع بها كلّ عاقل بنسبة معيّنة، وبحسب قوّة تماسكه الداخليّ، والإمام المعصوم عليه السلام يقف على قمّة هذا الهرم الأخلاقيّ؛ ذلك لما يحمله من طاقة نفسيّة عالية، وتماسك داخليّ رصين، ومعرفة وقراءة جليّة لمستقبل الأمور، وهذه الأمور من مقتضيات كون المعصوم عليه السلام أفضل الناس.

ولابدّ من الإشارة الى أنّ الحلم لابدّ أن يمازج الشجاعة وإلّا كان جبناً برداء حلم، ومن أشجع من أهل بيت النبوّة عليهم السلام وذرّيّة الرسول صلى الله عليه وآله، فقد دعا أمير المؤمنين عليه السلام محمد بن الحنفيّة يوم الجمل، فأعطاه رمحه وقال له: اقصد بهذا الرمح قصد الجمل، فذهب فمنعوه بنو ضبّة، فلمّا رجع إلى والده انتزع الحسن عليه السلام رمحه من يده وقصد قصد الجمل وطعنه برمحه ورجع إلى والده وعلى رمحه أثر الدم، فتمغّر وجه محمد من ذلك، فقال أمير المؤمنين عليه السلام لولده محمد: **((لا تأنف، فإنّه ابن النبيّ وأنت ابن علي))**[٥٩].

فهذه الشجاعة منه كانت مشوبة بالحلم الهادف ذي الغرض الربّانيّ، وكان واحداً من أعمدة نشر الشريعة وقيامها، فقد روي ((أنّ شاميّاً رآه راكباً فجعل يلعنه والحسن لا يردّ، فلمّا فرغ أقبل الإمام الحسن عليه السلام فسلّم عليه وضحك، فقال: **أيّها الشيخ، أظنّك غريباً، ولعلّك شبّهت، فلو استعتبتنا**[٦٠] **أعتبناك، ولو سألتنا أعطيناك، ولو استرشدتنا أرشدناك، ولو استحملتنا أحملناك، وإن كنت جائعاً أشبعناك، وإن كنت عرياناً كسوناك، وإن كنت محتاجاً أغنيناك، وإن كنت طريداً آويناك، وإن كان لك حاجة قضيناها لك، فلو حرّكت رحلك إلينا وكنت ضيفاً إلى وقت ارتحالك كان أعود عليك؛ لأنّ لنا موضعاً وجاهاً عريضاً ومالاً كثيراً.**

فلمّا سمع الرجل كلامه بكى، ثمّ قال: أشهد أنّك خليفة الله في أرضه، الله أعلم حيث يجعل رسالته، وكنت وأبوك أبغض خلق الله إليّ، والآن أنت أحبّ خلق الله إليّ، وحوّل رحله إليه، وكان ضيفه إلى أن ارتحل وصار معتقداً لمحبّتهم))[٦١].

لقد كان الإمام الحسن عليه السلام يتمتّع بطاقة نفسيّة هائلة يواجه بها مثل هذه المواقف، فيبدو صبوراً في الشدائد وقوراً في الهزاهز مظهراً مكامن الحقّ على لسانه الصادق الناطق عن جَنانه الثابت ذي النور الثاقب، فهو القائل لمن قال له إنّ فلاناً يقع فيك: **((ألقيتني في تعب، الآن أستغفر الله لي وله))**[٦٢].

قال معاوية يوماً للإمام الحسن المجتبى عليه السلام: أنا خير منك يا حسن، قال: وكيف ذلك يا بن هند؟ قال: لأنّ الناس قد أجمعوا عليّ ولم يجمعوا عليك، قال: **هيهات، هيهات، لشرّ ما علوت يا ابن آكلة الأكباد، المجتمعون عليك رجلان، بين مطيع ومكره، فالطائع لك عاص لله، والمكره معذور بكتاب الله، وحاش لله أن أقول: أنا خير منك، فلا خير فيك، ولكنّ الله برّأني من الرذائل كما برّأك من الفضائل))**[٦٣].

وخطب معاوية بالكوفة حين دخلها، والحسن والحسين عليهما السلام جالسان تحت المنبر، فذكر علياً أمير المؤمنين عليه السلام فنال منه حسداً ولؤماً، ثمّ نال من الإمام الحسن السبط عليه السلام، فقام الحسين ليردّ عليه، فأخذه الحسن بيده فأجلسه، ثمّ قام فقال: ((**أيّها الذاكر علياً، أنا الحسن وأبي علي، وأنت معاوية وأبوك صخر، وأمّي فاطمة وأمّك هند، وجدّي رسول الله، وجدّك عتبة بن ربيعة، وجدّتي خديجة وجدّتك قتيلة، فلعن الله أخملنا ذكراً وألأمنا حسباً، وشرّنا قديماً وحديثاً، وأقدمنا كفراً ونفاقاً**، فقال طوائف من أهل المسجد: آمين))[٦٤].

القاعدة الثالثة: خير ما بذلت من مالك ما وقيت به عرضك

وصف الله تعالى المال بأنّه ﴿زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[٦٥]، والزينة أمر يزول ويتلاشى ولا يكون هدفاً للعاقل.

نعم، لو طلب فيه رضا الله تعالى وثواب الآخرة كان وسيلة لغاية سامية، وهذا ممّا لاشكّ فيه حيث قال تعالى حكاية قوم قارون لقارون: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾[٦٦]، وجعل الله من البرّ إيتاء ﴿الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ﴾[٦٧]، والكثير من الآيات والروايات الدالّة على أهمّيّة النفقة واجبة ومستحبّة وأنّها تكون خير ذخر لصاحبها يوم لا ينفع مال ولا بنون إذا أنفقها في سبيل الله تعالى.

لكنّ الإمام الحسن يلفت النظر إلى أمر مهمّ في الحياة الدنيا جاء مخصّصاً لتلك العمومات الدالّة على ضرورة الإنفاق طلباً لوجه الله تعالى، فقد رويَ أنّه عليه السلام أعطى شاعراً مبلغاً من المال فقال له رجل من جلسائه: سبحان الله! أتعطي شاعراً يعصي الرحمن، ويقول البهتان ! فأجابه الإمام الحسن عليه السلام قائلاً: ((يا عبد الله، إنّ خير ما بذلت من مالك ما وقيت به عرضك، وأنّ من ابتغاء الخير اتّقاء الشّر))[٦٨]، وبذلك يؤسّس الإمام عليه السلام لقاعدة اجتماعيّة رصينة مفادها أنّ الإنفاق أحياناً يكون لصيانة العرض ودفع الشرّ، بل من مسالك وموارد ابتغاء الخير اتّقاء الشرّ، وهذه القاعدة أسّس لها القرآن الكريم في سهم المؤلّفة قلوبهم من أجل تقليل خطرهم على الإسلام والمسلمين.

القاعدة الرابعة : الاتباع لابدّ أن يكون بالقول والعمل ولا يكفي القول وحده

قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ* ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللهَ غَفُورٌ شَكُورٌ**﴾[٦٩]، جعل الله تعالى في هاتين الآيتين أجر رسول الله صلى الله عليه وآله على أمته مودتهم لذوي قرباه وأهل بيته عليهم السلام وعدّ تلك المودة عملاً صالحاً وحسنة يزادون عليها حسنى ويستحقون البشرى على أساس ذلك كما تشير الآيتان المباركتان المذكورتان آنفاً الى هذه المعاني الجليلة ، ويحاول بعض المسلمين أن يحصر معنى المودة بالمحبة المجردة عن كل مسؤولية واتباع ، لكن أئمة أهل البيت عليهم السلام يؤكدون ضرورة أن تكون تلك المودة ممزوجة بالمتابعة والعمل الصالح الذي يحكي شخصية رسالية صالحة وهادفة ، وداعية صامتة ، لا شخصية محبة فارغة المحتوى تكون عليهم شيناً ولا تكون لهم زيناً ، فادّعاء المحبة والمودة لا يكفي إذا لم يكن مترجما بالعمل الصالح والمتابعة لهم عليهم السلام، فالعمل هو الترجمان لا لقلقة اللسان والدعاوى الفارغة الجوفاء.

والأحاديث الواردة عنهم عليهم السلام بهذا الاتّجاه كثيرة، فعن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنّه حينما أوصى بعض شيعته قال لهم: ((**كونوا لنا دعاة صامتين، قالوا : وكيف ذلك يا بن رسول الله؟ قال: تعملون بما أمرناكم به من طاعة الله وتنتهون عمّا نهيناكم عنه ومعاصيه، فإذا رأى الناس ما أنتم عليه علموا فضل ما عندنا فسارعوا إليه**))[٧٠].

وثبّت هذا المعنى الإمام الحسن عليه السلام كقاعدة قويمة وركن أساس من أركان مودّتهم ومحبّتهم كما ورد ذلك في مكاتبة الحسن البصريّ له عليه السلام يسأله فيها عن القدر التي قدّم فيها اسمه على اسم الإمام (صلوات الله عليه) قائلاً ((من الحسن البصري إلى الحسن بن رسول الله صلى الله عليه وآله: أمّا بعد، فإنّكم معاشر بني هاشم الفلك الجارية في اللجج الغامرة، ومصابيح الدجى، وأعلام الهدى، والأئمّة القادة، الذين من اتّبعهم نجا، والسفينة التي يؤول إليها المؤمنون وينجو فيها المتمسّكون، قد كثر يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله عندنا الكلام في القدر واختلافنا في الاستطاعة، فتعلّمنا ما نرى عليه رأيك ورأي آبائك فإنّكم ذرّيّة بعضها من بعض، من علم

الله علّمتم، وهو الشاهد عليكم وأنتم شهداء على الناس، والسلام)).

فكان جواب الإمام الحسن (صلوات الله وسلامه عليه) أن كتب له ((من الحسن بن علي إلى الحسن البصريّ، أمّا بعد، فقد انتهى إليّ كتابك عند حيرتك **وحيرة من زعمت من أمّتنا، وكيف ترجعون إلينا وأنتم بالقول دون العمل**، واعلم أنّه لولا ما تناهى إليّ من حيرتك وحيرة الأمّة قِبَلَك لأمسكت عن الجواب، ولكنّي الناصح ابن الناصح الأمين، والذي أنا عليه... الرواية))[٧١].

وفي جواب الإمام عليه السلام دلالة واضحة صريحة على أنّه لا يمكن الرجوع إليهم بالادّعاء دون متابعتهم بالعمل، إذ استفهم الإمام عليه السلام مستنكراً الرجوع بالقول دون العمل، ثمّ أكّد عدم كون الأمّة أمّتهم بقوله عليه السلام: ((وحيرة الأمّة قِبَلَك)) ولم ينسبها لأهل البيت عليهم السلام، وكان قبل هذا وذاك قد قال: ((من زَعَمتَ من أمّتنا))، فالإمام يرى من يتابعهم بالادّعاء دون العمل ليس من أمّتهم وإن ادّعى الانتساب لأمّتهم، فدعواه لا تتعدّى حدود الزعم المجرّد، فلا بدّ أن يقرن الادّعاء والقول بالعمل والمتابعة الحقّة.

وفّقنا الله تعالى لمتابعتهم قولاً وفعلاً، وختم لنا دنيانا على موالاتهم ومحبّتهم إنّه سميع مجيب.

لهذا ولغيره قال ابن عباس عند استشهاد الإمام الحسن عليه السلام: (أوّل ذلّ دخل على العرب موت الحسن عليه السلام)[٧٢].

فالسلام عليه يوم ولد ويوم استشهد ويوم يبعث حيّاً.

الهوامش

١- سورة هود : آية (٨٨).
٢- سورة الحجرات : آية (١٣).
٣- سورة البقرة : آية ١٢٤.
٤- سورة السجدة : آية ٢٤.
٥- الإرشاد، الشيخ المفيد (قدّس سّره) : ٢ / ٣٩ .
٦- سورة الأنعام : آية ٣٨ .
٧- الكافي: الشيخ الكلينيّ (قدّس سّره):١/ ١٩٩ .
٨- سورة النحل: ٤٤.
٩- سورة النحل: ٤٣ .
١٠- نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام : ٢ / ١٣٠ .
١١- ينظر مدارج السالكين بين منازل إيّاك نعبد وإيّاك نستعين، ابن قيّم الجوزيّة (ت٧٥١هـ) : ٣ / ٤٢٣ .
١٢- مناقب آل أبي طالب ابن شهر آشوب: ١ / ١٨٣.
١٣- بحار الأنوار، العلّامة المجلسي (قدّس سره): ٤٥ / ٥٧. وقريب منه في مثير الأحزان، الشيخ ابن نما الحلّي (قدّس سره): ٥٧.
١٤- نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام بشرح الشيخ محمد عبده: ٢ / ١٤ .
١٥- ينظر سنن النسائيّ، النسائيّ : ج٥ / ص ١٤٨ .
١٦- نهج البلاغة ، خطب الإمام علي عليه السلام : ٢ / ٩٦.
١٧- الخرائج والجرائح، قطب الدين الراونديّ: ٢٣٦ .
١٨- ينظر ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة، الشهيد الأوّل (قدّس سره): ١ / ٤٧ .
١٩- ينظر مهذّب الأحكام في بيان الحلال والحرام، السيد عبد الأعلى السبزواريّ (قدّس سره): ١١ / ٢٢٥
٢٠- ينظر المصدر نفسه: ١٠ / ٢٢٣.
٢١- ينظر أصول الفقه، الشيخ محمد رضا المظفّر (قدّس سره): ٣ / ٢١٧ .
٢٢- ينظر مروج الذهب ومعادن الجوهر، المسعوديّ: ٣ / ٤٥٤.
٢٣- ينظر قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد، أبو طالب المكّيّ: ٧ / ١٩٨.
٢٤- الغارات ، إبراهيم بن محمد الثقفيّ الكوفّي: ٢ / ٥٥٨.
٢٥- ينظر شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ج٤ / ٥٨.
٢٦- ينظر شيخ المضيرة أبو هريرة، محمود أبو رية: ١٩٩.
٢٧- سورة الشورى : آية ٢٣ .
٢٨- الإرشاد ، الشيخ المفيد (قدس سره) : ٢ / ٨ .
٢٩- اختيار معرفة الرجال (رجال الكشّيّ)، الشيخ الطوسي (قدس سره): ١ / ٣٢٩.

٣٠- سورة النساء: ٥٩ .
٣١- المصدر نفسه: ٨٣ .
٣٢- الأمالي، الشيخ المفيد (قدّس سره) : ٣٥٠.
٣٣- مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب: ٣ / ١٨٠.
٣٤- إعلام الورى بأعلام الهدى، الشيخ الطبرسّي (قدّس سره): ج١ / ص٨.
٣٥- مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب (قدس سّره): ٣ / ١٨٠.
٣٦- نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام، شرح: الشيخ محمد عبده: ٢ / ٤٤
٣٧- سورة الحجّ: آية (١١١). ٣٨- ينظر الأمالي، الشيخ الطوسي (قدّس سره): ٥٦٠.
٣٩- بحار الأنوار، العلامة المجلسي (قدّس سره): ٤٤ / ١٢٠.
٤٠- سورة الحجّ: آية ٤٤.
٤١- تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ج١٣ / ص٢٦٨.
٤٢- التعرّف لمذهب أهل التصوّف ، أبو بكر محمد بن أبي إسحاق البخاريّ الحنفيّ: ٤٨.
٤٣- بحار الأنوار، الشيخ المجلسّي (قدّس سّره): ج٢٢ / ص٣٨٧.
٤٤- الكافي، الشيخ الكلينيّ (قدّس سّره): ج١ / ص٣٧٦.
٤٥- تاريخ مدينة دمشق، المؤلف، ابن عساكر: ج١٣ / ص٢٦٨.
٤٦- المصدر نفسه.
٤٧- مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الأصفهاني: ٣٦ .
٤٨- مائة منقبة، محمد بن أحمد بن علي بن الحسن القمّيّ (ابن شاذان): ١٣٦ .
٤٩- الفصول المختارة، الشيخ المفيد (قدّس سره): ٣٠٣.
٥٠- حيث جاء في الخبر الوارد عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام أنّه: ((ثمّ ينادي المنادي أين حوّاري الحسن بن علي بن فاطمة بنت محمد بن عبد الله رسول الله؟ فيقوم سفيان بن أبي ليلى الهمدانيّ وحذيفة بن أسيد الغفاريّ))، اختيار معرفة الرجال، الشيخ الطوسّي (قدّس سره):١ / ٤٣.
٥١- سورة الاسراء : ٦٠.
٥٢- تنزيه الأنبياء عليهم السلام، الشريف المرتضى (قدّس سره): ٢٢٢.
٥٣- علل الشرائع، الشيخ الصدوق (قدّس سره): ج١ / ص٢١١.
٥٤- المصدر نفسه
٥٥- الكافي ، الشيخ الكليني (قدس سره) : ج٨ / ص١٩
٥٦- معدن الجواهر ، أبي الفتح الكراجكي: ٦٣
٥٧- شرح أصول الكافي ، المولى محمد صالح المازندراني : ١١ / ٢٤٤ .
٥٨- سورة البقرة : ١٩٤ .
٥٩- مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب (قدّس سّره): ٣ / ١٨٥ .

٦٠- استعتبته فأعتبني: أي استرضيته فأرضاني، مجمع البحرين، الشيخ الطريحيّ (قدّس سره): ٢ / ١١٤ .
٦١- مناقب آل أبي طالب ، ابن شهر آشوب (قدس سره) : ٣ / ١٨٤.
٦٢- التذكرة الحمدونية ، ابن حمدون : ج٢ / ص١٢٠ .
٦٣- المصدر نفسه : ١٨٤.
٦٤- شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٦ / ٤٧ .
٦٥- سورة الكهف : ٤٦ .
٦٦- سورة القصص : ٧٧ .
٦٧- سورة البقرة : ٧٧ .
٦٨- شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ج١٦ / ١٠ .
٦٩- سورة الشورى: آية ٢٢، ٢٣.
٧٠- شرح الأخبار، القاضي النعمان المغربي : ٣/ ٥٠٦ .
٧١- كنز الفوائد، أبو الفتح الكراجكيّ:
٧٢- شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد : ج١٦/ ١٠ .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم
* اختيار معرفة الرجال (رجال الكشّيّ)، الشيخ الطوسيّ (قدّس سرّه)، الوفاة : ٤٦٠، تصحيح وتعليق: مير داماد الاستراباديّ، تحقيق: السيّد مهدي الرجائيّ، سنة الطبع: ١٤٠٤، المطبعة: بعثت – قم، الناشر: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث.
* الإرشاد، الشيخ المفيد (قدّس سرّه) الوفاة: ٤١٣، تحقيق: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لتحقيق التراث، الطبعة: الثانية، سنة الطبع: ١٤١٤ – ١٩٩٣م، الناشر: دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت – لبنان .
* أصول الفقه، الشيخ محمد رضا المظفّر(قدّس سرّه)، الوفاة: ١٣٨٣، الناشر: مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرّفة.
* إعلام الورى بأعلام الهدى، الشيخ الطبرسيّ (قدّس سرّه) الوفاة: ٥٤٨، تحقيق: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ربيع الأوّل ١٤١٧، المطبعة: ستارة – قم، الناشر: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث – قم المشرّفة.
* الأمالي، الشيخ الطوسيّ (قدّس سرّه)، الوفاة: ٤٦٠، تحقيق: قسم الدراسات الإسلاميّة – مؤسّسة البعثة، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤١٤، الناشر: دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع – قم.
* الأمالي، الشيخ المفيد (قدّس سرّه)، الوفاة: ٤١٣، تحقيق: حسين الأستاد ولي، علي أكبر الغفاريّ، الطبعة: الثانية، سنة الطبع: ١٤١٤ – ١٩٩٣م، الناشر: دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت – لبنان.
* أنساب الأشراف، أحمد بن يحيى بن جابر (البلاذريّ)، الوفاة: ٢٧٩، تحقيق: الشيخ محمد باقر المحموديّ، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٣٩٧ – ١٩٧٧م، الناشر: دار التعارف للمطبوعات، بيروت لبنان.
* بحار الأنوار، العلّامة المجلسيّ (قدّس سرّه) الوفاة: ١١١١، تحقيق: محمد الباقر البهبوديّ ، الطبعة: الثانية المصحّحة، سنة الطبع: ١٤٠٣ – ١٩٨٣م، الناشر: مؤسّسة الوفاء – بيروت – لبنان ، ملاحظات: دار إحياء التراث العربيّ.
* تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، الوفاة: ٥٧١، تحقيق: علي شيري، سنة الطبع: ١٤١٥، المطبعة: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت – لبنان، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت – لبنان.
* التذكرة الحمدونيّة، ابن حمدون، الوفاة: ٥٦٢، تحقيق: إحسان عبّاس و بكر عبّاس، الطبعة: الأولى، سنة الطبع:١٩٩٦م، الناشر: دار صادر للطباعة والنشر.
* التعرّف لمذهب أهل التصوّف، أبو بكر محمد بن أبي إسحاق البخاريّ الحنفيّ.
* تنزيه الأنبياء عليهم السلام، الشريف المرتضى (قدّس سرّه)، الوفاة: ٤٣٦، الطبعة: الثانية، سنة الطبع: ١٤٠٩ – ١٩٨٩م، الناشر: دار الأضواء – بيروت – لبنان.
* الخرائج والجرائح ، قطب الدين الراونديّ، الوفاة: ٥٧٣، المجموعة: مصادر الحديث الشيعيّة ـ القسم العامّ، تحقيق: مؤسّسة الإمام المهديّ عليه السلام/ بإشراف السيّد محمد باقر الموحّد الأبطحيّ، الطبعة: الأولى، كاملة محقّقة، سنة الطبع: ذي الحجّة ١٤٠٩، المطبعة : العلميّة – قم ، الناشر: مؤسّسة الإمام المهديّ – قم المقدّسة.
* ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة، الشهيد الأوّل (قدّس سرّه)، الوفاة: ٧٨٦، تحقيق: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: محرّم ١٤١٩، المطبعة: ستاره – قم، الناشر:

مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث – قم.
* سنن النسائيّ، النسائيّ، الوفاة: ٣٠٣، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٣٤٨ - ١٩٣٠م، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان.
* شرح أصول الكافي، المولى محمد صالح المازندرانيّ، الوفاة: ١٠٨١، تحقيق: مع تعليقات : الميرزا أبو الحسن الشعرانيّ، ضبط وتصحيح: السيّد علي عاشور، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤٢١ - ٢٠٠٠م، المطبعة والناشر: دار إحياء التراث العربيّ للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت – لبنان.
* شرح الأخبار، القاضي النعمان المغربيّ، الوفاة: ٣٦٣، تحقيق: السيّد محمد الحسينيّ الجلاليّ، المطبعة: مطبعة مؤسّسة النشر الإسلاميّ، الناشر: مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرّفة.
* شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، الوفاة: ٦٥٦، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، سنة الطبع: ١٩٦٢م، الناشر: دار إحياء الكتب العربيّة.
* شيخ المضيرة أبو هريرة، محمود أبو ريّة، الوفاة: ١٣٨٥، الطبعة: الثالثة، الناشر: منشورات مؤسّسة الأعلميّ للمطبوعات - بيروت – لبنان.
* علل الشرائع، الشيخ الصدوق (قدّس سرّه) الوفاة: ٣٨١، تقديم: السيّد محمد صادق بحر العلوم، سنة الطبع: ١٣٨٥ - ١٩٦٦م، الناشر: منشورات المكتبة الحيدريّة ومطبعتها - النجف الأشرف.
* الغارات ، إبراهيم بن محمد الثقفيّ الكوفيّ الوفاة: ٢٨٣، تحقيق : السيّد جلال الدين الحسينيّ الأرمويّ المحدّث.
* الفصول المختارة، الشيخ المفيد (قدّس سرّه)، الوفاة: ٤١٣، تحقيق: السيّد نور الدين جعفريّان الأصبهانيّ، الشيخ يعقوب الجعفريّ، الشيخ محسن الأحمديّ، الطبعة: الثانية، سنة الطبع: ١٤١٤ - ١٩٩٣م، الناشر: دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت – لبنان .
* قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد، أبو طالب المكّيّ، الوفاة: ٣٨٦، تحقيق: ضبطه وصحّحه: باسل عيون السود، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤١٧ - ١٩٩٧م، المطبعة: الناشر: دار الكتب العلميّة - بيروت – لبنان.
* الكافي: الشيخ الكلينيّ، الوفاة: ٣٢٩، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاريّ، الطبعة: الخامسة، سنة الطبع: ١٣٦٣ ش، المطبعة: حيدري، الناشر: دار الكتب الإسلاميّة – طهران.
* كشف اليقين، العلّامة الحلّيّ، الوفاة: ٧٢٦، تحقيق: حسين الدرگاهيّ، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤١١.
* كنز الفوائد، أبو الفتح الكراجكيّ، الوفاة: ٤٤٩، الطبعة: الثانية، سنة الطبع: ١٣٦٩ ش، المطبعة: غدير، الناشر: مكتبة المصطفويّ، قم، طبعة حجريّة.
* مائة منقبة، محمد بن أحمد بن علي بن الحسن القمّيّ (ابن شاذان)، الوفاة: ٤١٢، الطبعة: الأولى المحقّقة المسندة، سنة الطبع: ذي الحجّة ١٤٠٧، المطبعة: أمير، قم، تحقيق ونشر: مدرسة الإمام المهديّ عجل الله فرجه بالحوزة العلميّة، قم المقدّسة.
* مثير الأحزان ، الشيخ ابن نما الحلّيّ (قدّس سرّه) الوفاة: ٦٤٥، سنة الطبع: ١٣٦٩ - ١٩٥٠م، الناشر: المطبعة الحيدريّة - النجف الأشرف.
* مدارج السالكين بين منازل إيّاك نعبد وإيّاك نستعين، محمد بن أبي بكر بن أيّوب بن سعد شمس الدين ابن قيّم الجوزيّة (ت٧٥١هـ)، المحقّق: محمد المعتصم بالله البغداديّ، الناشر: دار الكتاب العربيّ – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦هـ - ١٩٩٩م.
* مروج الذهب ومعادن الجوهر، المؤلّف:

المسعوديّ، الوفاة: ٣٤٦، الطبعة: الثانية، سنة الطبع: ١٤٠٤ - ١٣٦٣ ش - ١٩٨٤م، الناشر: منشورات دار الهجرة إيران – قم.
* مسند أبي يعلى، أبو يعلى الموصليّ، الوفاة: ٣٠٧، تحقيق: حسين سليم أسد، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤٠٨ - ١٩٨٨م، الناشر: دار المأمون للتراث.
* معدن الجواهر، أبو الفتح الكراجكيّ، الوفاة: ٤٤٩، تحقيق: السيّد أحمد الحسينيّ، الطبعة: الثانية، سنة الطبع: ١٣٩٤، المطبعة: مهر استوار، قم.
* مقاتل الطالبيّين، المؤلّف: أبو الفرج الأصفهانيّ، الوفاة: ٣٥٦، الطبعة: الثانية، سنة الطبع: ١٣٨٥ - ١٩٦٥م، الناشر: منشورات المكتبة الحيدريّة ومطبعتها، النجف الأشرف، ملاحظات: مؤسّسة دار الكتاب للطباعة والنشر، قم، إيران.
* مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب، الوفاة: ٥٨٨، تحقيق: تصحيح وشرح ومقابلة: لجنة من أساتذة النجف الأشرف، سنة الطبع: ١٣٧٦ - ١٩٥٦م، المطبعة: الحيدريّة - النجف الأشرف، الناشر: المكتبة الحيدريّة - النجف الأشرف.
* مهذّب الأحكام في بيان الحلال والحرام، السيّد عبد الأعلى السبزواريّ (قدّس سرّه) الوفاة: ١٤١٤، الطبعة: الرابعة، سنة الطبع: ١٤١٣، الناشر: مكتب آية الله العظمى السيّد السبزواريّ (قدّس سرّه)، ملاحظات: إخراج مؤسّسة المنار.
* نهج البلاغة ، خطب الإمام علي ﷺ، الوفاة: ٤٠، شرح الشيخ محمد عبده، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤١٢، المطبعة: النهضة، قم، الناشر: دار الذخائر - قم – إيران، طبعة جديدة مصحّحة ومنقّحة.
* نهج البلاغة، خطب الإمام علي ﷺ، الوفاة: ٤٠، شرح : الشيخ محمد عبده، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤١٢ - ١٣٧٠ ش، المطبعة: النهضة – قم، الناشر: دار الذخائر، قم ، إيران.
* الهداية الكبرى، الحسين بن حمدان الخصيبيّ، الوفاة: ٣٣٤، الطبعة: الرابعة، سنة الطبع: ١٤١١ - ١٩٩١م، المطبعة والناشر: مؤسّسة البلاغ للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت – لبنان.